

فقل!

كشف شبهات المُرْجِفين والمُخَذِّلين عن الجهاد

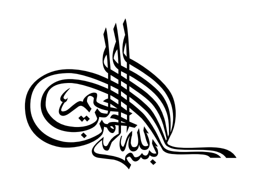
تأليف

الشيخ: محمّد وائل حلواني رحمه الله

المعروف بـ (ميسرة الغريب)

الإصدار الثاني مع زيادات مهمّة

(ذو الحِجّة ١٤٢٣ هـ)



رَبِّ اِهْدِنِي لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدَاً

قـالـوا... فـقـل!

كشف شبهات المُرْجِفين والمُخَذِّلين عن الجهاد

الإصدار الثاني مع زيادات مهمة (ذو الحِجّة ١٤٢٣هـ)

* **المُخَذِّل**: المُثبِّط عن القتال.

* **المُرْجِف**: مَن يُشيع أقوالاً تَدُل على ظهور العدو والخوف منهم، أو قوتهم وضعف المسلمين، أو هلاكهم، ونحوه.[١]

- *وجَعَلْتُ العنوان بصيغة الجمع "**قالوا**" إشارة إلى كثرتهم، وجعلت الجواب بالإفراد "**فقل**" إشارةً إلى الوَحْدة الغربة التي جاء الحديث المبشِّر بها قائلاً: (طوبى للغرباء..ناسٌ صالحون في ناسِ سوءٍ كثير، مَنْ يَعْصِيهم أكثر ممن يُطِيْعُهم).*

[١] (راجع "المُطْلِع" لأبي الفتح البَعْلي، و"تحرير ألفاظ التَّنبيه" للنووي).

المقدمة والإهداء

إن الحمدَ لله الذي خاطَب صَفْوة خلقه قائلاً: (...إنما بعثْتُك لأبتليَك وأبتليَ بك، وأَنزلْتُ عليك كتاباً لا يَغسله الماء، تَقرؤه نائماً ويقظانَ، وإنَّ الله أَمَرني أن أُحَرِّق قريشاً فقلت: ربِّ! إذاً يَثْلَغوا رأسي فَيَدَعُوه خُبْزَةً! قال: استخرِجْهم كما استخرجوك، واغزُهم نُغْزِك، وأنفق فسننفقَ عليك، وابعث جيشاً نبعث خَمْسةً مثله، وقاتلْ بمن أطاعك مَن عصاك...) أخرجه مسلم، والصلاة والسلام على سيد المجاهدين، على مَن صفته عند أهل الكتاب "الضحوك القَتَّال"؛ فلما جاءه رجل فقال: (يا رسول الله أَذال الناس الخيل ووضعوا السلاح وقالوا: لا جهاد! قد وَضعَت الحرب أوزارها! فأقبلَ رسول الله ﷺ بوجهه وقال: كذَبوا! الآن جاء دور القتال، ولا تزال من أمتي أُمَّةٌ يقاتلون على الحق، ويُزيغ الله لهم قلوب أقوامٍ ويَرزقهم منهم حتى تقومَ الساعة وحتى يأتي وعْدُ الله، والخيلُ معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة...) النَّسائي بسند صحيح، وعلى آله وصحبه الذين عَلِموا أن ذُروة سنام هذا الدين هو (الجهاد)، فكان الجهادُ سِمَتَهم البارزةَ، وجاء في صفتهم على لسان عدوهم جاسوس الروم: "بالليل رهبان، وبالنهار فرسان"، أما بعد:

في زَحْمة التحريفات لمدلولات النصوص في هذه الأيام على يد عملاءَ علماءَ مختصين، أو على أيادي أدعيائهم من المُجَدِّدِين!!! صار الدفاع عن شرع الله واجباً على الأعيان؛ إذْ لم يَكْفِ ما يَقوم به بعض الفِئام، وهذا ظاهر للعِيان.

وفي هذا الصَّخَب الداوي من صدى الحوادث الكثيرة المريرة التي تلدها الليالي الحبالى في هذا الزمان، وفي هذا التيار المتدفق الفيّاض من الدعوات التي يُهتَف بها في أرجاء الكون، مُجَهَّزَةً بكل ما يُغْري ويَخدع من الآمال والوعود والمظاهر....

أتقدّم بدعوتي...

إلى الحكّام والأعلام والإعلام والأقلام والعوام.

إلى الشباب الظامئ إلى المجد التليد...

إلى الأمة الحَيْرى على مُفْتَرق الطريق...

إلى كل مسلم يؤمن بالسيادة في الدنيا، والسعادة في دار القرارأُقَدِّم:

رسالة الماضي القوي الملتهب إلى الحاضر الفَتِيِّ المضطرب...

أيها الشباب...

أيها الهائم يبغي الحياة.

أيها التائق لنصرة دين الله.

أيها المُقَدِّم روحَه بين يدي مولاه.

هنا الهداية والرشاد.

هنا الحكمة والسداد.

هنا نَشْوة البَذْل ولذة الجهاد.

فلْتُسارع إلى الكتيبة الخرساء!!

ولْتَعْمَل تحت راية سيد الأنبياء.

﴿ ...حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ... ﴾ البقرة١٩٣

أتقدّم بدعوتي...

هادئة.....

لكنها أقوى من الزوابع العاصفة!

متواضعة.....

لكنها أعز من الشُّمّ الرواسي...!

خالية من المظاهر الزائفة، والبَهْرَج الكاذب.

لكنها محفوفَةٌ بجلال الحق، وروعة الوحي.

مجردة عن المطامع والأهواء والغايات الشخصية،

لكنها تُورث المؤمنين بها،

والصادقين في العمل لها السيادةَ في الدنيا وأعلى الجنة في الآخرة.

-وأقول في كل هذا: "إن شاء الله" تَبَرُّكاً-

حيّ على الجهاد

حيّ على الجهاد

حيّ على الجهاد

حيّ على الجهاد

حيّ على الجهاد

حيّ على الجهاد

حيّ على الجهاد

فإلى الذين يُكْلَمون في سبيل الله فلا يتكلمون، ويَتألّمون فلا يَتَمَلْمَلون، ويَذُبّون عن شـرع الهـادي ولا يَتَذَبْذبون... إلى ورَثة الدم القاني الذي سَطّر في سماء المجد آياتِ الفخار... إليكم هديتي:

قالوا.... فقل!

كتبه المُقَصِّر ابن المُقَصّر: محمّد وائل حلواني

المعروف بـ (ميسرة الغريب)

ملحوظة: نُشر هذا الكتاب مسبقاً باسمٍ آخر هو (حارث عبد السلام المصري) بسبب ظروف الشيخ الأمنية حينها

قـالـوا... فـقـل!

كشف شبهات المُرْجِفين والمُخَذِّلين عن الجهاد

١- إن **قالوا** لك: "ما هو الجهاد"؟! **فقل** لهم:

١- صريح جواب الصادق المصدوق ﷺ لما سأله صحابي (...قال: فأيُّ الهجرة أفضل؟ قال ﷺ: الجهاد، قال: وما الجهاد؟: قال ﷺ: أن تقاتل الكفار إذا لَقِيْتَهم؛ قال: فأي الجهاد أفضل؟ قال ﷺ: مَن عُقِر جواده وأُريق دمه) أخرجه أحمد وهو صحيح، وعند أحمد وأبي داود وهو حسن: (أيُّ الجهاد أفضل؟ قال: من جاهد المشركين بماله ونفسه؟ قيل: فأي القتل أشرَفُ؟ قال: من أُهريق دمه وعُقر جوادُه)، إذاً فدفع المال الهائل لا يكفي عن الجهاد بالنفس، فكيف بمن يجلس يَدْرُس أو يُدَرِّس لكي يُنتِجَ المال أو يُيَمِّمَ شطر الخليج؟.

٢- نعم الجهاد أنواع (بالسِّنان والمال واللسان والبَنان)، وإن شئت فقل: هو قتالي وماليّ وتبليغي، لكنّ المتبادِر عند إطلاقه أنه "القتال"، ففي عُرف السلف الصالح "الجهاد: هو القتال"، وهذه هي عائشة رضي الله عنها تسأل: (يا رسول الله: هل على النساء من جهاد؟ قال: عليهن جهاد لا قتال فيه؛ الحج والعمرة) إسناده صحيح: ابن ماجه وابن خزيمة.

وفي رواية البخاري (نرى الجهاد أفضلَ الأعمال أفلا نجاهد؟...)، فكانت تفهم أن الجهاد هو القتال.

٣- (لَغَدْوة أو رَوحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها) متفق عليه، فليس يعني هنا "في سبيل الله" أنك تخرج من مسجدك وتُبَلِّغ الناس... لا! هذا إخراجٌ للنصوص عن معناها الشرعي، فكلمة "في سبيل الله" عندما يريدها رسول الله ﷺ لها معنى واحد وهو "القتال"، إلا إن أتى دليلٌ واضح أنه يريد سواها.

٤- وهل عنى سائر الصحابة الكرام بكلمتهم المشهورة:

نحن الذين بايعوا محمداً   على الجهاد ما بقينا أبداً

هل عَنَوا إلا الجهاد بمعناه القتاليّ؟!

٥- وهكذا فهمه العلماء كما في "عِبَر وبصائر" للشيخ الدكتور عبد الله عزام رحمه الله صـ٩ وما بعدها: (اتفق الفقهاء الأربعة أن الجهاد هو القتال والعون فيه لإعلاء كلمة الله:

أ- الحنفية: فتح القدير ١٨٧/٥ "الجهاد: دعوة الكفار إلى الدين الحق وقتالُهم إن لم يَقبلوا"، "يقال: "كتاب المغازي".. وهو قصد العدو للقتال، خُصَّ في عرفهم بقتال الكفار"، وقال الكاساني في البدائع ٩٧/٧: "بذل الوسع والطاقة بالقتال في سبيل الله عز وجل بالنفس والمال وغير ذلك"، ونحوه السرخسي في شرح "السِّيَر الكبير".

ب- المالكية: راجع أقرب المسالك للدردير، وحاشية العدوي...

ج- الشافعية: قال ابن حجر العسقلاني "وشرعاً: بذل الجهد في قتال الكفار" ٧٧/٦، ونقل عن ابن الجوزي وابن دقيق العِيد نحوه.

د- الحنبلية: "قتال الكفار" مطالب أولي النهى ٤٩٧/٢، وكذا في عمدة الفقه ومنتهى الإرادات: "الجهاد: القتال وبَذل الوسع منه لإعلاء كلمة الله تعالى") اهـ بتصرف وزيادات.

٦- وقال ابن رشد في مقدماته ٣٦٩/١: (وجهاد السيف قتالُ المشركين على الدين، فكل من أتعب نفسه في ذات الله فقد جاهد في سبيله، إلا أن الجهاد في سبيل الله إذا أُطلق فلا يقع بإطلاقه إلا على مجاهدة الكفار بالسيف حتى يدخلوا في الإسلام أو يُعْطوا الجزية عن يد وهم صاغرون)، فهو إجماعٌ لا خلاف فيه أنها إذا أُطْلِقت في الكتاب والسنة وكلام الفقهاء فلا تنصرف إلا على القتال، وإن شئتَ فقل: فإنها أول ما تنصرف على القتال، ولا يجوز صرفها إلى سواه إلا بصارف معتبَر، لأن عُرْف السلف الصالح هكذا.

٧- المغني (٣٣٤/٦): (سبيل الله عند الإطلاق إنما يَنصرف إلى الجهاد؛ فإن كل ما في القرآن من ذكر "سبيل الله" إنما أُريد به الجهاد إلا اليسير).

٨- وفي "فتح الباري": (المتبادِر عند الإطلاق من لفظ سبيل الله الجهاد).

٩- ونقل السيوطي في "تنوير الحوالك" عن الباجي قوله: (جميع أعمال البر هي سبيل الله إلا أن هذه اللفظة إذا أُطلقت في الشرع اقتضت الغزو أي العدو) اهـ

١٠- وبشكل آخر: إنّ من يترك المحرمات يقال عنه: "صائم"؛ لأنه صام عن المحرمات لكنْ أفَيَعْني هذا أنه قد أُعفيَ من الصيام الأصلي صيامِ رمضان؟! وقد قال ربنا: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ﴾ البقرة٢١٦، كما قال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ البقرة١٨٣، ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾؟ البقرة٨٥.

١١- ويأبى أقوام إلا أن يُمَيِّعوا مدلولَ الجهاد فيقولون: "نحن في جهاد!!" ليُبَرِّروا قعودهم عن القتال، فتنظر في حياتهم وإذ بهم: هذا موظف يُعيل أسرَته، وهذا تاجر، وذاك عامل، وهذا فلاح، وذاك

يَدْرُس في الأزهر أوكلية شرعية أو الطبَّ أو الاقتصادَ أو العلومَ السياسية أو ... وكلُّهم يرى نفسه مجاهداً، ويجوز له القعود عن القتال!.. أَجَلْ مُجاهد! وهو في بلده يأكل ويشرب ويَدْرس أو يعمل، بل يتواقَح آخرُ فيجدُ أنّ ما هو فيه أفضلُ من القتال نفسِه! وهؤلاء المُخَرِّفون المُحَرِّفون لا بد لهم من زيادةٍ في البيان من الكتاب والسنة وسيرةِ التابعين بإحسان بعون الحَنّان المَنّان.

٢- فإن قالوا لك: لماذا تُحَرِّض على القتال الآن... لماذا الخروج للجهاد، فزماننا غيرُ زمانهم، ولكل زمان فقهاؤه؛....ليس جهاد اليوم بالسيف والسكين بل بالحضارة؛ فحرِّض على تعلُّم علم الاقتصاد والفلسفة والاجتماع والسياسة والإعلام والحوار والزراعة والتجارة والصناعة والطب والهندسة والسياحة والتكنولوجية والعَصْرَنة، وما لفَّ لفَّه! لأن هذا كلَّه جهاد، فلابد من البُنَى التحتية أولاً قبل المعركة العسكرية! فقل لهم:

١- لماذا القتال؟ لأن الجَبَّار من فوق سبع سموات أمر نبيه ﷺ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ ﴾ الأنفال٦٥، في حينِ أنك تُثبِّطُ عنه، وحتى تَخدعَ ضعافَ الإيمان تدَّعي أنك تُعِدُّ للقتال، والواقع يُكذِّبك!

- أمَا قال ربنا: ﴿ فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ ﴾ النساء٨٤ ، ولم يَقُل: فادرس الاقتصاد أو الهندسة ولو كنت وحدك!

- أمَا أمَرَنا ربنا: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ ﴾ محمد٤ ، ﴿ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ ﴾؟ التوبة٥ ولم يقل فَعَقْدُ المحاضرات وإقامةَ الندوات لدفع الشبهات... أم أنكم لم تَلْقَوا الكافرين بعد؟!

- أمَا ورد في كتاب الله من آيات الجهاد ما يزيد على ١٠٠ آية ما بين آياتٍ تَدُلُّ على فرض الجهاد ووجوبه على المسلمين، وآياتٍ تُرَغِّب فيه وتبين فضله وما أعده الله للمجاهدين من الثواب في الآخرة؟ وعامة الآيات المدنية عظَّمت أمر الجهاد وذمت التاركين له ووسمتهم بالنفاق ومَرَض القلوب.

٢- لماذا التحريض على القتال؟ نُحَرض على القتال لأنـــه الآن أضحى فرض عين باتفاق العلماء،

فهو كالصلاة والصيام ويُقَدَّم -في حال التعارض- على الصلاة عند الأئمة الثلاثة إلا الحنابلة، وهو مقدَّم على الصيام عند الجميع فتاركه إذاً مذنبٌ مرتكبُ كبيرة كما قال "ابن حجر الهيتمي"، وقد ذكر "القَرَافي" أن الواجباتِ أو الحقوقَ إذا تعارضت قُدِّم المُضَيَّق منها على المُوَسَّع؛ لأن التضييق يُشعر باهتمام الشرع أكثرَ من غيره، فَيُقَدَّم ما يُخشى فواتُه على ما لا يُخْشى فواته، وإن كان أعلى منه مترلة.

- واتفق الفقهاء على أن الجهاد يتحول إلى فرض عين بتعيين الخليفة لشخصٍ ما؛ فلو فرضْنا أنْ ثَمَّــةَ رجلٌ ممن يشار إليه بالبنان ذو نشاط دعَوي كبيرٍ وشهرةٍ عظيمة ونفْعٍ للمســلمين وفي زمــن الخلافــة الراشدة، ثم جاء الخليفة وقال له: اخرج إلى الجهاد -وهو فرض كفاية-! فهل يجوز لهذا الداعية الكــبير والعالم النِّحْرير أن لا ينصاع أو أن يقول: إن مُقامي هنا أنفع -من وجهة نظره- فلا يخرج؟! باتفــاقٍ: لا، حتى وإن رأى ذاك النَّشِط أن مصلحة المسلمين في مُقامه.

إذاً انظر! هذا إذا قال لك الخليفة: اخرج للقتال! فكيف إذا قال لك هذا ربُّ الخليفة ورسولُ ربِّ الخليفة ﷺ: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ التوبة٤١ ، والمصلحة في النفير؛ إذ هو فرضٌ على الأعيان اليوم، وعلى الفــور لا على التراخي، والآية صريحة أن النفير بالمال والنفس، وليس بالمال فقط أو بالكلام والدعاء فحسبُ، هذا فضلاً عن أن "النفير" لغةً لا يحتمل أكثر من معنىً -في موضوعنا-، ودونكم كتبَ اللغــة ومطــوَّلات الفقه.

- الجهاد إذا صار فرضَ عين يخرج الولد بغير إذن أبويه، فهل تُجيز لدارس الفلسفة أو الاقتصاد أو الإعلام أو... أن يخرج مسافراً لذلك بدون إذن أبويه الآن؟! ولو أمَرَت أمٌّ ابنها أن لا يذهب إلى امتحان "الاقتصاد" أفلا يجب أن يُطيعَها؟

لكنها إن أمَرَت بترك الجهاد في حال تعيُّنه لا تُطاع؟ إذاً أيُّهما أهم: القتال أم دراسة الاقتصاد؟! أفلا ترى معي الآن أنّ هذه الإعدادات هنا في بلدك ليست إلا أوهاماً كضباب يحجُب الرؤيــة!! إنمــا الإعدادُ الحقيقيُّ إعدادُ القتال، وما سواه فتَبَعٌ له وهو يلزمُنا ولا ريب، لكن العقرب تحتاج ضربةً علــى الرأس لا شِعْراً ودواوينَ وقصصاً ورواياتٍ تُنْشَر في أسواق العقارب علَّهم يتركون خُبثهم!!

و لم يبقَ إلا أن يُفاجئونا بأن الدارسة في "معهد فندقي" أيضاً إعدادٌ في سبيل الله، وكلنا على ثغرٍ من ثغور الإسلام!!!!

ولا تَعْجَب يا صاحبي فعصرنا عصر العجائب، وعَزِّ نفسك بحديث: (...وإعجابَ كلِّ ذي رأيٍ برأيه) –قال الترمذي: حسن غريب–

– وإذا صار الجهاد فرضَ عين يخرج المرء ولو بغير إذن دائنه كما نص عليه الفقهاء، فهل تُسَوِّغ لنفسك أن تَخرج لدراسة الاقتصاد في "ألمانية" مثلاً دون أن تَفِيَ دَيَنَك بحجة أن دراستك وإعدادك الفكريَّ خيرٌ من الإعداد القتالي أو أفضلُ أو أولى من القتال ذاتِه!!؟ أم أن "الأحكام تتبدل بتبدل الأزمان"؟!

وإليك أقوال العلماء في إذن الدَائن:

١ــ في المغني لابن قدامة ١٧١/٩ (وأما إذا تعين عليه الجهاد فلا إذن لغريمه؛ لأنه تَعَلَّق بعينه فكان مقدَّماً على باقي ذمته كسائر فروض الأعيان، ولكن يستحب له أن لا يتعرض لمظان القتل من المبارزة والوقوف في أول المقاتِلة؛ لأن فيه تغريراً بتفويت الحق، وإن ترك وفاءً أو أقام كفيلاً فله الغزو بغير إذنٍ، نصَّ عليه أحمد فيمن ترك وفاءً...) أي الغزو عندما يكون فرض كفاية والله أعلم.

٢ــ ابن تيمية: (إذا دخل العدو بلاد الإسلام فلا ريب أنه يجب دفعه على الأقرب فالأقرب، إذ إن بلاد المسلمين كلها بمنزلة البلدة الواحدة، وأنه يجب النفير إليه بلا إذن والد أو غَريم).

ــ والجهاد عندما يصبح فرضَ عين يُقَدَّم على الصلاة عند الأربعة إلا الحنابلةَ، ويأثَم بتركه كما يأثَم بترك الصيام، فهل عمَلكم من دراسة وحوار ومهرجاناتٍ وندواتٍ ... مقدَّمٌ على الصلاة والزكاة والصيام في حال تعارضها؟! إذاً فكيف تقولون: إن ما تفعلونه أفضل من القتال الآن وأنفع للمسلمين؟! أوَحقاً أنتم حريصون على مصلحة المسلمين أكثرَ من الله ورسوله وجماهير العلماء؟!!!

وفي حاشية الدسوقي ١٠/٢: (إذا كان الغزو واجباً على الأعيان فإنه أفضل من الحج ويُقَدَّم عليه).

ــ وأتساءل: لو وُجد امتحان مدته /٦/ ساعات من قَبل أذان الظهر حتى العشاء، وستفوت /٣/ صلوات فهل تبيحون للمرء تركَها بحجة أنه عندما يفتح عيادة طبية في المستقبل *البعيد* سيجعل ٣٠% من وارداته لأطفال الحجارة؟! أم هل تُجيزون لدارس الهندسة أن يتخلف عن صلاة الجمعة إن كان وقت امتحانه مُمتدًّا على طول وقتها؟

لكن المجاهد الحقيقي في أرض المعركة يُشْرع له ترك الصلاة إن عجَز عنها مع القتال كما حَدَث في غزوة الخندق.

ــ وبدقة أكثر: إن كان المرء سيدخل في جامعة "أوربية" لكن لا بد من أن يُشْرَب قطراتٍ من مادة ما تفحص جسمه في أيام رمضان، وإن لم يخضع للفحوصات سيُمنع من تلك الكلية الوهمية أفَتُبيحون له ذلك؟! لكن الجهاد إذا ما صار فرض عين قُدِّم على الصيام باتفاق جميع العلماء فيجوز لــه الفطــر! إذاً فأيهما أولى القتال أم ...!؟

ــ وبشكل آخَرَ أخير: لو كان الامتحان يَشترط أن يتجرد المرء من ثيابه لــيُفحص أمــام جهــاز كمبيوتر ومراقبين فنيين بأشعةٍ خاصة، فهل تُبيحون له ذلك بحجة أنه سيدخل "كلية الذرة" فيتعلم كيف يصنع قنبلة ذرية فنستطيع بذلك أن نهزم إسرائيل؟!

كفانا أوهاماً يا ناس!

يُحِلُّــــــون الحــــــــرام إذا أرادوا وقــد بــان الحــلال مــن الحــرام

ــ وأمَامَنا قضيتان الحذرَ الحذرَ أن تلتبسا ببعضهما، الأُولى: معرفة حكم الجهاد اليوم أَفَرْضٌ هو أم لا؟ والثانية: تطبيقُ هذا الحكم، وشتان بين من يُنكر الفرض ولا يطبقه وبين من يُقِرُّ به لكنه يَعترف أنه مقصر وآثم!

- فالجهاد عند الجمهور فرض كفاية يَتأدّى بمرة في السنة، ويكفي دليلاً قوله ﷺ لعمه أبي طالب عند موته: (أريد منهم كلمة واحدةً تَدين لهم بها العرب وتُؤَدّي إليهم العجم الجزية، قال: كلمةٌ واحدة!! قال: كلمةٌ واحدة، ..."لا إله إلا الله" فقالوا: إلهاً واحداً ما سمعْنا بهذا في المِلَّة الآخرة، إنْ هذا إلا اختلاق) أحمد والترمذي وهو حسن، ومثله ما أخرجه مسلم وغيره (من مات و لم يَغْزُ، و لم يُحَدِّث نفسه بالغزو مات على شعبة من نفاق)، لكن الجهاد قد يتحول إلى فرض عين، وحتى لو كان في أيامنا فرضَ كفاية، فلم تَتِمَّ الكفاية من القتال بعدُ في أيامنا؛ لذا قلنا: إن الجهاد القتالي هو الفريضة الغائبة اليوم، وإليك مقالاتِ أهل الذكر:

١ــ قال القرطبي في تفسيره ١٥٢/٨: (...فرضٌ أيضاً على الإمام إغزاءُ طائفة إلى العدو كلَّ سنة مرة، يَخرج معهم بنفسه أو يُخرج من يثق به ليدعوهم إلى الإسلام ... ويَكُفَّ أذاهم ويُظهرَ دين الله عليهم حتى يَدخلوا في الإسلام أو يعطوا الجزية عن يَدٍ، ... ويغزو بنفسه -أي المسلم- إن قدَر وإلاّ جهَّز غازياً...).

٢ــ مقدمة ابن خلدون: ٢٣٠/١-٢٣١ (والمِلة الإسلامية لَمَّا كان الجهاد فيها مشــروعاً لعمــوم الدعوة وحَمْلِ الكافَّة على دين الإسلام طوعاً أو كرهاً اتُّخِذت فيها الخلافة والمُلك...، وأما ما ســوى

الملة الإسلامية فلم تكن دعوتهم عامة ولا الجهاد عندهم مشروعاً إلا في المُدافعة فقط، فصار القائم بــأمر الدين فيها لا يَعْنيه شيء من سياسة المُلك ...... لِما قدَّمْناه لأنهم غير مكلَّفين بالتغلب على الأمم كمــا في الملة الإسلامية، وإنما هم مطالَبون بإقامة دينهم في خاصتهم، ولذلك بقِيَ بنو إسرائيل من بعد موسى ويُوشَع صلوات الله عليهما نحوَ أربعِمائة سنة لا يَعتنون بشيء من أمر المُلك إنما همُّهــم إقامــةُ دينــهم فقط.......).

٣- ابن كثير في تفسيره: ٤٠٢/٢-٤٠٣ (أمَر اللهُ تعالى المؤمنين أن يقاتلوا الكفار أولاً فأولاً، الأقربَ فالأقربَ إلى حَوْزَة الإسلام، ولهذا بدأ رسول الله ﷺ بقتال المشركين في جزيرة العرب، فلما فَرَغ منهم وفتح الله عليه مكة والمدينة والطائفَ واليمن واليمامة وهَجَر وخيبر وحَضْرَمَوْتَ وغيرَ ذلك من أقــاليم جزيرة العرب، ودخل الناسُ من سائر أحياء العرب في دين الله أفواجاً، شَرَع في قتال أهــل الكتــاب؛ فتجهَّز لغزو الروم الذين هم أقربُ الناس إلى جزيرة العرب، وأولى الناس بالدعوة إلى الإسلام؛ لأنهم أهل الكتاب فَبَلَغ تبوك... ثم عاجَلَته المَنيّة...... وقام بالأمر بعدَه وزيرُه وصديقه وخليفته أبو بكر الصــديق رضي الله عنه وقد مال الدين مَيلة كاد أن يَنْجَفِل، فثبَّته الله تعالى به فَوَطَّد القواعد وثبّت الدعائم ورَدَّ شارِدَ الدين وهو راغمٌ، ورَدَّ أهل الردة إلى الإسلام، وأخذ الزكاة ممن منعها من الطَّغام، وبيَّن الحق لمن جهله،... ثم شَرَع في تجهيز الجيوش الإسلامية إلى الروم عبَدة الصُّلبان، وإلى الفرس عبدة النيران، ففــتح الله الــبلادَ وأرغم أنف كسرى وقيصر ومن أطاعَهما من العباد ...... وكان تمامُ الأمر على يدي الفاروق الأواب شهيدِ المحراب، ...فأرغم الله أُنوف الكفرة الملحدين، وقَمَع الطغاة المنافقين، واستولى على الممالك شرقاً وغرباً، وحُمِلت إليه خزائن الأموال من سائر الأقاليم بُعداً وقرباً، ...... ثم ... أجمع الصــحابة علــى عثمان بن عفان رضي الله عنه شهيدِ الدار...... فظهر الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، وعلَــت كلمــة الله وظهر دينه وبلغت الملة الحنيفية من أعداء الله غاية مآربها، **وكلما علَوا أمةً انتقلوا إلى بعدَهم ثم الــذين يلونهم** من العتاة الفجار **امتثالاً** لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ﴾ التوبة١٢٣ ، وقوله تعالى: ﴿وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗ﴾ التوبة١٢٣؛ أي ولْيَجِد الكفارُ منكم غِلظــةً علــيهم في قتالكم لهم؛ فإن المؤمن الكامل هو الذي يكون رفيقاً لأخيه المؤمن غليظاً على عدوه الكافر كقوله تعالى: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾ الفتح٢٩ ، وقــال تعــالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٧٣﴾ التوبة٧٣ ، وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ قال: (أنا الضحوك القتَّال) يعني أنه ضحوك في وجه وَلِيِّه قتَّال لِهامَة عدوه...... وهكذا الأمر لما كانت القــرون

الثلاثة الذين هم خير هذه الأمة في غاية الاستقامة والقيام بطاعة الله تعالى لم يزالوا ظاهرين على عدوهم، و لم تزل الفتوحات كثيرةً، و لم تزل الأعداء في سَفال وخَسار، ثم لما وقعت الفتن والأهواء والاختلافات بين الملوك طمع الأعداء في أطراف البلاد وتقدموا إليها، فلم يُمانَعوا لِشُغل الملوك بعضِهم ببعض، ثم تقدموا إلى حَوْزة الإسلام، فأخذوا من الأطراف بلداناً كثيرة، ثم لم يزالوا حتى استحوَذوا على كثير من بلاد الإسلام،... فكلما قام مَلِكٌ من ملوك الإسلام وأطاع أوامر الله وتوكل على الله فتح الله عليه من البلاد واسترجع من الأعداء بحسَبه وبقدْر ما فيه من وَلاية الله،...) إلى آخر كلامه النفيس.

٤ــ وفي تبيين الحقائق للزيلعي الحنفي ٣/٢٤١: (الجهاد فرض كفاية ابتداءً؛ يعني: يجب علينا أن نبدأهم بالقتال وإن لم يقاتلونا).

٥ــ وفي أحكام القرآن للتَّهَانوي: ٢/٣٣٠ طبعة كراتشي (أجمعوا على أنه إذا كان الكفار قارِّين في بلادهم "و لم يَهجُموا على دار الإسلام" فعلى الإمام أن لا يُخْلِيَ سنةً من السنين عن غزوة يغزوها بنفسه أو بسراياه حتى لا يكون الجهادُ معطلاً؛ لأن النبي ﷺ والخلفاء الراشدين لم يُهملوا الجهاد، فإذا قام به فئة من المسلمين بحيث يحصل بهم دفع شر الكفار وإعلاء كلمة الله سقَط عن الباقين، وحينئذ لا يجوز للعبد أن يخرج بغير إذن المولى، ولا للمرأة بغير إذن الزوج ولا للمديون بغير إذن الدائن، ولا للولد إذا منعه أحد أبويه؛ لأن بغيرهم مَقْنَعاً فلا ضرورة إلى إبطال حقوق العباد، وإن لم يَقم به أحد أَثِمَ جميع الناس إلاّ أولي الضرر منهم، وأجمعوا على أنه يجب على أهل كل قطر من الأرض أن يقاتلوا من يَلوهم من الكفار فإن عجَزوا ساعَدَهم الأقرب فالأقرب، وكذلك إن تهاونوا مع القدرة يجب القيام به إلى الأقرب فالأقرب إلى منتهى الأرض كذا في المظهري (٢/٢٠٣) وإلى الله المشتكى من صنيع سلاطين أهل الإسلام في زماننا حيث عطَّلوا الجهاد أبداً وإنما يقومون به دفاعاً فقط، وقد قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في أول خطبته: "ما ترك قوم الجهاد إلاّ ذلوا"، وايم الله قد صدق) اهـ كلام التهانوي.

٦ــ ابن النحاس في تهذيب مشارع الأشواق صـ ٣٥: (اعلم أن جهاد الكفار في بلادهم فرض كفاية باتفاق العلماء... وأقل الجهاد في كل سنة مرة ... ولا يَجوز أن تَخلو سنة من غَزوٍ وجهاد إلا لضرورة... وقال إمام الحرمين الجويني: المختار عندي مسلك الأصوليين، قالوا: الجهاد دعوة قهرية، ولذلك تجب إقامته حسب الإمكان، حتى لا يبقى في الأرض إلا مسلم أو مسالم، ولا يختص الجهاد بمرة في السنة، ولا يُعَطَّل إذا أمْكَنَتْ الزيادة... وقال ابن قدامة في المغني: أقلُّ ما يُفعلُ الجهادُ في كل عام مرة، إلا إذا تعذر ذلك، وإن دَعَتْ الحاجة إلى القتال أكثرَ من مرة في العام وَجَبَتْ؛ لأنه فرضُ كفاية، وفرض

الكفاية يجب كلّما دَعَتْ إليه الحاجة) اهــ، فإن كان في المسلمين ضَعْفٌ صار واجبُهم الإعدادَ القتالي؛ لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

٧ــ إعانة الطالبين (شافعي) ١٨٠/٤: (وتحصُل الكفاية بأن يَشحن الإمام الثغور بمكافئين للكفار مع إحكام الحصون والخنادق وتقليد الأمراء أو بأن يَدخل الإمام أو نائبه دار الكفر بالجيوش لقتالهم)، وفي ١٨١/٤: (..فرض كفاية في كل عام إذا كان الكفار حالّين في بلادهم لم ينتقلوا عنها).

٨ــ مغني المحتاج (شافعي) ٤ /٢٠٩ حتى٢٢٠: (أما بَعْدَه ﷺ فللكفار حالان: أحــدهما يكونــون ببلادهم مستقرين بها غير قاصدين شيئاً من بلاد المسلمين ففرض كفاية كما دل عليــه سِــيَرُ الخلفــاء الراشدين وحكى القاضي عبد الوهاب فيه الإجماع... ويحصل فرض الكفاية بأن يَشحن الإمام الثغــور بمكافئين للكفار مع إحكام الحصون والخنادق وتقليد الأمراء أو بأن يدخل الإمام أو نائبــه دار الكفــر بالجيوش لقتالهم...).

٩ــ تجنيد الأجناد لابن جَمَاعة صــ ٣٨: (وأقل ما يجب كلَّ سنة مرةً إذا كان بالمسلمين قوة، فإن دَعَتْ الحاجة إلى أكثرَ منها وجب بقدر الحاجة، ولا يجوز أن يُخليَ سنة من الجهاد إلا لعذر من ضعف المسلمين أو نحوه.... ويَبدأ بقتال من يليه من الكفار ما لم يقصده الأبعد قبله) اهــ، ولا يخفى أن وجود الضعف يلزم منه الإعداد لنصير في مستوى المطلوب وإلا فكل مستطيعٍ مقصرٍ يكون آثماً؛ كلٌّ بقَدَره.

١٠ــ فتح القدير لابن الهمام في بداية كتاب السِّيَر: (قوله: وقتال الكفار الذين لم يُسْلِموا وهم مــن مشركي العرب أو لم يُسلموا و لم يُعْطوا الجزية من غيرهم واجبٌ إن لم يبدؤونا لأن الأدلة الموجبة له لم تقيد الوجوب ببداءهم، وهذا معنى قوله للعمومات ... فالمراد إطلاق العمومات في بداءهم وعــدمها، خلافاً لما نُقل عن الثوري .... ولقد استُبْعِد ما عن الثوري وتمسكه بقوله تعالى: فإن قاتلوكم فاقتلوهم، فإنه لا يخفى عليه نَسْخه، وصريحُ قوله في الصحيحين وغيرهما (أُمِرْتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله الحديثُ يوجب أن نبدأهم بأدنى تأمل)) اهــ، وهذا الذي يراه "الكمال" بأدنى تأمل خَفِيَ علــى دكتورٍ ألّف في "الجهاد"، وراح يَسْتَدل من كلامٍ آخرَ لابن الهمام مَبتوراً عن باقي كلامه.

١١ــ وقال الجصاص في أحكام القرآن ١٩١/٣ (ولا نعلم أحداً من الفقهاء يَحْظُر قتال من اعتزل قتالنا من المشركين وإنما الخلاف في جواز ترك قتالهم لا في حظره؛ فقد حصل الاتفاق من الجميع علــى نسخ حظر القتال لمن كان وصفه ما ذَكَرْنا).

١٢ــ السيل الجرار للشوكاني ٥١٨/٤: (أما غزو الكفار ومناجزة أهل الكفر وحملُهم على الإسلام أو تسليم الجزية أو القتل فهو معلوم من الضرورة الدينية ولأجله بَعث الله رسله وأنزل كتبــه ومــازال

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم منذ بعثه الله سبحانه إلى أن قَبَضَه إليه جاعلاً هذا الأمر مِن أعظم مقاصده ومن أهم شؤونه، وأدلةُ الكتاب والسنة في هذا لا يتسع لها المقام، ولا لبعضها، وما ورد في موادعتهم أو تَركهم إذا تَركوا المُقاتَلة فذلك منسوخ بإجماع المسلمين).

– وما سَبَقَ كلُّه في جهاد الطلب، وحكمه فرضُ كفاية، أما جهادُ الدَّفْع فقد أجمع علماء الأمة من المحدثين والفقهاء والمفسرين قديماً وحديثاً على أن الجهاد يُصبح فرض عين في ثلاث حالات:

الأولى: إذا حَصَر العدو بلداً من بلاد المسلمين أو احتلها.

والحالة الثانية: إذا حضر الرجل الصفَّ في معركة بين المسلمين والكفار.

والحالة الثالثة: إذا استنفره الإمام الشرعي.

وإليك البيانَ بالتفصيل من أقوال أهل العلم:

١ـــ قال القرطبي في تفسيره ١٥١/٨ عند قوله تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا ...﴾ التوبة٤١، (وقد تكون حالةٌ يجب فيها نفير الكل... وذلك إذا تعيّن الجهاد بغلبة العدو على قطر من أقطار المسلمين.. وجب على جميع أهل تلك الديار أن ينفروا وأن يخرجوا إليه خفافاً وثقالاً شباباً وشيوخاً كُلٌّ على قَدْرِ طاقته، من كان له أب بغير إذنه،... ولا يتخلف أحد يقدر على الخروج من مُقِلٍّ أو مُكْثِرٍ، فإن عجز أهل تلك البلدة عن القيام بعدوهم كان على من قاربهم وجاورهم أن يخرجوا على حسب ما لَزِمَ أهل تلك البلدة حتى يَعْلَموا أن فيهم القدرةَ على القيام بهم ومدافعتهم... فالمسلمون كلهم يَدٌ على من سواهم حتى إذا قام بدفع العدو أهلُ الناحية التي نزل العدو عليها... سقط الفرض عن الآخرين، ولو قارب العدو دار الإسلام و لم يدخلوها لزمهم أيضاً الخروج إليه حتى يَظْهَر دين الله وتُحمى البَيْضَة ... *ولا خلاف في هذا*، فإن قيل: كيف يصنع الواحد إذا قصَّر الجميع؟ ... قيل له: يَعْمَد إلى أسير واحد فيَفْديه ...).

٢ـــ الجَصَّاص في أحكام القرآن ١١٤/٣: (ومعلوم في اعتقاد جميع المسلمين، أنه إذا خاف أهل الثغور من العدو، و لم تكن فيهم مقاومة لهم، فخافوا على بلادهم وأنفسهم وذراريهم أن الفرض على كافة الأمة أن يَنْفِرَ إليهم من يَكُفُّ عادِيَتهم عن المسلمين، وهذا لا خلاف فيه بين الأمة، إذ ليس مِن قَول أحد من المسلمين إباحةُ القعود عنهم حتى يستبيحوا دماءَ المسلمين وسَبْيَ ذراريهم).

٣ـــ وقال ابن حجر الهيتمي في الزواجر ٣٥٩/٢ دار الحديث: (الكبيرة ٩٠ـــ٩١ـــ٩٢) (٩٠- تركُ الجهاد عند تعيُّنه بأن دخل الحربيون دار الإسلام أو أخذَ مسلماً وأَمْكَن تخليصُه منهم ٩١- ترْكُ الناسِ

الجهادَ من أصله ٩٢- تركُ أهل الإقليم تحصينَ ثغورهم بحيث يُخافُ عليها من استيلاء الكفار بسبب ترك ذلك التحصين)، ثم قال: (تنبيه: عدُّ هذه الثلاثة ظاهرٌ -أي من الكبائر- لأن كل واحد منها يحصل به من الفساد العائد على الإسلام وأهله ما لا يُتَدارك خَرْقُهُ، وعليها يُحمل ما في هذه الآية والأحاديث من الوعيد الشديد فتأمَّلْ ذلك فإني لم أر أحداً تَعرّض لهذا مع ظهوره).

٤ــ في أحكام القرآن للتهانوي ٣٣١/٢ طبعة كراتشي: (إذا هجم الكفار على بلد من بلاد المسلمين صار الجهاد فرض عين على كل مكلف لا عذر له، *وأجمعوا* على أنهم إذا هجم العدو دار قوم من المؤمنين يجب على كل مكلف من الرجال حراً كان أو عبداً غنياً كان أو فقيراً ممن لا عذر له من أهل تلك البلدة الخروجُ إلى الجهاد، وحينئذ يكون من فروض الأعيان، فلا يظهر فيه حق العبد كالمولى والدائن والأبوين كما في الصلاة والصوم، وقال أبو حنيفة رحمه الله: تخرج المرأة دون إذن زوجها؛ "لأنه لا دَخْل للزوج في فروض الأعيان"؛ فإن وقع بهم الكفايةُ سقط عمن وراءهم، وإن لم يقع بهم الكفاية يجب على مَن يَليهم إعانتُهم، وإن قعد من يليهم يجب على مَن وراءَهم، الأقربُ فالأقربُ والله أعلم "من المظهري").

٥ــ وفي بدائع الصنائع للكاساني (حنفي) ٩٨/٧ (وإن ضَعُفَ أهل ثَغْر عن مقاومة الكفرة، وخيف عليهم من العدو فعلى من وراءَهم من المسلمين الأقربُ فالأقربُ أن ينفروا إليهم وأن يُمِدُّوهم بالسلاح ... والمال، لِما ذكرنا أنه فرض على الناس كلِّهم ممن هو من أهل الجهاد، لكن الفرض يسقط بحصول الكفاية بالبعض...... فأما إذا عمَّ النفير بأن هجم العدو على بلد فهو فرض عين يُفترض على كل واحد من آحاد المسلمين ممن هو قادر عليه لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا ...﴾ التوبة ٤١ ...... يَخرج... بغير إذن؛...... لأن حق الوالدين لا يَظهر في فروض الأعيان كالصوم والصلاة......).

٦ــ قال في الدر المختار (حنفي): (وإياك أن تتوهم أنّ فرضيّته (أي جهاد الطلب) تسقط عن أهل "الهند" بقيام أهل "الروم" مثلاً، بل يُفرض على الأقرب فالأقرب من العدو إلى أن تقع الكفايةُ، فلو لم تقع إلا بكل الناس فُرِض عيناً كصلاةٍ وصومٍ ...).

ونقل شارحه ابن عابدين ٢١٩/٣ عن علماء الحنفية: (وإن ضَعُفَ أهلُ ثغر عن مقاومة الكفرة، وخيف عليهم من العدو، فعلى من وراءَهم من المسلمين الأقربُ فالأقربُ أن ينفروا إليهم وأن يُمدوهم بالسلاح و... والمال...) ثم قال: (وحاصله: أن كل موضع خيف هجوم العدو منه فُرِض على الإمام أو

على أهل ذلك الموضع حفظُه، وإن لم يقدروا فُرض على الأقرب إليهم إعانتهم إلى حصول الكفاية بمقاومة العدو).

ــ وفي صــ ٢٢١/٣: (وفَرْضُ عينٍ إن هَجم العدو فيخرج الكل ولو بلا إذن) وشــرَح ابــن عابدين: (أي على من يَقْرب من العدو، فإن عجَزوا أو تكاسلوا فعلى من يليهم، حتى يُفترَض على هذا التدريج على كل المسلمين شرقاً وغرباً... وفي البَزَّازية: مسلمة سُبِيَت بالمشرق وَجَبَ على أهل المغرب تخليصها من الأسر).

٧ــ قال الشيخ وهبي سليمان غاوجي في تعليقه على ملتقى الأبحر(حنفي) ٣٥٥/١: (ولا شــك في فرضية الجهاد فرض عين على المكلفين من المسلمين اليوم، ولا يبقى عليهم إلاّ النفير العــام إليــه (وإذا استُنْفِرتُم فانفروا)، وعسى أن يكون ذلك قريباً).

٨ــ وفي الروضة للنووي (شافعي)٢١٤/١٠حتى ٢١٦: (الضرب الثاني: الجهاد الذي هو فرض عين فإذا وطئ الكفار بلد المسلمين أو أَطَلُّوا عليها ونزلوا بابَها قاصدين و لم يدخلوا صار الجهاد فرض عــين على التفصيل الذي نبينه إن شاء الله تعالى... ولا يجب في هذا النوع اســتئذان الوالــدين وصــاحب الدين... حتى إذا لم يكن في أهل البلدة كفايةٌ وجب على هؤلاء أن يَطيروا إليهم... وهذا معــنى قــول البَغوي: إذا دخل الكفار دار الإسلام فالجهاد فرض عين على من قَرُب وفرض كفاية في حق من بَعُد... وكيف يجوز تمكين الكفار من الاستيلاء على دار الإسلام مع إمكان الدفع؟! والله أعلم).

٩ــ قال ابن النحاس في تهذيب مشارع الأشواق في فضائل الجهاد صــ٣٦٩: (وإذا غزا الأعداء بلاد المسلمين، و لم يخرج المسلمون -أي أصحاب البلد- لقتالهم كان قعودهم عن الجهــاد كفــرارهم مــن الزحف وتوليتِهم الأدبار، هذا إذا كانوا أكثر من الأعداء أما إذا قلَّ المسلمون فلا يَعصون -أي بعــدم الخروج لمواجهة العدوّ- ولهم أن يتحصّنوا بانتظار المدَد من إخوانهم المسلمين) ا.هــ فيأثم من يســتطيع عونَهم و لم يفعل، ومَن عَجَز عن القتال وجب عليه الإعداد الحقيقي له، ولــيس الإعــداد للــزواج أو الامتحان!!! وهذا واضح.

ــ وفي صــ٣٥: (ويجب الجهاد على أعور، وذي صُداع، ومن به وَجَع ضرس، وحُمَّى خفيفــة، وعلى ذي عَرَج يسير... وإذا نزل العدو بقعة من بلاد المسلمين، فيجب علــى المســلمين في المنــاطق الأخرى مساعدةُ المسلمين في تلك البقعة... وعندما يترل الكفار بلدةً للمسلمين، وجَبَتْ مساعدة أهل تلك البلدة على كلِّ مَن كان على بُعْدِ مسافة قصرٍ عنهم، إن كفى هؤلاء وأَغْنَوا، وإن لم تكــن بهــم كفاية وَجَبَ النفير على الباقين الذين هم أَبْعَدُ منهم، وإن خرج للكفار من تحصُل بهم الكفاية، ســقط

الحرج عن الباقين، ولكنْ فاتَهم الأجر العظيم والثواب الجزيل... وإذا احتل الكفار جبلاً أو سهلاً أو مكاناً في دار الإسلام بعيدٍ عن البلدان والأوطان، وليس فيه سكان، فإنه يأخذ حكم تلك البلدة التي يحتلها الكفار، ويجب على المسلمين النفير لتحرير ذلك المكان!... وقال القرطبي: لو اقترب الكفار من دار الإسلام و لم يدخلوها لَزِمَ المسلمين الخروجُ إلى الكفار، حتى يظهر دين الله، وتُحْمى البلاد، وتُحْفَظ الحدود والثغور) اهـ.

١٠ــ مُغني المحتاج (شافعي) ٤ / ٢٠٩ حتى ٢٢٠: (...ثم شَرع المصنِّف في الحال الثاني من حال الكفار وهو ما تضمنه قوله: يدخلون بلدة لنا أو يَنزلون على جزائر أو جبل في دار الإسلام ولو بعيداً عن البلد، فيلزم أهلَها الدفعُ بالممكن منهم، ويكون الجهاد حينئذ فرضَ عين... فإن أمكنَ أهلَها تأهُّبٌ استعداداً لقتالٍ وَجَبَ على كل منهم.. بحسَب القدرة، حتى على فقير بما يقدر عليه ووَلَدٍ ومَدين -وهو من عليه دَين- وعبدٍ بلا إذن من أبوين ورَبِّ دَين ومِن سيد، ويَنْحَلُّ العَجْز عنهم في هذه الحالة؛ لأن دخولهم دار الإسلام خَطْبٌ عظيم لا سبيل إلى إهماله، فلا بد من الجِدِّ في دفعه بما يمكن، وفي معنى دخولهم البلدة ما لو أَطَلُّوا عليها...

ثم ما مَرَّ: حُكْم أهل بلدة دخلها الكفار...، ومَن هو دون مسافة قصرٍ من البلدة التي دخلها الكفار حكمُه كأهلها، فيجب عليهم المُضِيُّ إليهم إن وَجَدوا زاداً، ولا يُعتبر -أي لا يُعَدّ عدم وجوده عُذراً- المركوب لقادرٍ على المشي على الأصح، هذا إن لم يكن في أهل البلد التي دخلوها كفايةٌ.

والذين هم على المسافة للقصر فأكثرُ يلزمُهم -في الأصح- إن وَجدوا زاداً ومركوباً الموافقةُ بقَدْرِ الكفاية إن لم يَكْفِ أهلُها ومن يَليهم؛ دفعاً عنهم وإنقاذاً لهم.

تنبيه: أشار بقوله بقَدْر الكفاية إلى أنه لا يجبُ على الجميع الخروج،... والأصح: إن كفى أهلُها لم يلزمهم، **ولو أَسَروا -أي الكفار- مسلماً فالأصح وجوب النهوض إليهم،** وإن لم يدخلوا دارنا؛ لخلاصه إن توقّعْناه، بأن يكونوا قريبين، كما ننهض إليهم عند دخولهم دارَنا، بل أولى؛ لأن حُرمة المسلم أعظمُ من حرمة الدار) اهـ النقل من "مغني المحتاج".

١١ــ ابن تيمية: (إذا دخل العدو بلاد الإسلام فلا ريب أنه يجب دفعه على الأقرب فالأقرب؛ إذ إن بلاد المسلمين كلها بمنزلة البلدة الواحدة، وأنه يجب النفير إليه بلا إذنِ والد أو غريم).

١٢ــ وفي كشَّاف القِناع للبُهُوتي (حنبلي) ٣٧/٣ دار الفكر: (ومن حضَر الصّفَّ من أهل فَرْضِ الجهاد - وهو الذكر الحر المكلف المستطيع المسلم...- كأَنْ حَضَره عدو أو حضر بلدَه عدو أو احتاج إليه بعيد

في الجهاد أو تقابلَ الزحفان المسلمون والكفار أو استنفره من له استنفاره –ولا عُذرَ– تَعَيَّنَ عليه أي صار الجهاد فرض عين عليه).

* وفيما سبق كفاية لمن يريد الحق، ولك أن تتحقق بنفسك من كتب مَن تشاء من أهل العلم الأثبات لترجُم الشك باليقين؛ فتصل إلى عَرَفات التسليم؛ فلا تكونن من المُرْجفين المُخَذِّلين.

٣– لماذا القتال؟ لئلا تكون فينا صفة المنافقين؛

فـ (من مات و لم يَغْزُ و لم يُحَدِّث نفسه بالغزو مات على شُعبة من النفاق) مسلم، وهذا في فرض الكفاية فكيف بفرض العين؟ و﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾ النساء١٤٥.

قال في ٤/١٨٠ إعانة الطالبين: (واعلم أنه ينبغي لكل مسلم أن ينويَ الجهاد في سبيل الله ويُحَدِّثَ نفسه به حتى يَسْلَم من الوعيد الوارد ... وينبغي الإكثار من سؤال الشهادة).

٤– لماذا القتال ؟ لئلا يُعَذِّبنا اللّه عذاباً أليماً:

﴿إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ التوبة٣٩ ، والنفير معروف، ومن ورائه القتال، و لم يَقُل تعالى: إلا تدرسوا يُعذِّبْكم... فلماذا نَقلب الموازين؟ ولو صار كل شباب البلد من المُبَرِّزين في دراستهم هل سيخرج اليهود من بيت المقدس؟ فبأيِّ عقل يا ناسُ تفكرون؟

ــ (ما تَرَك قوم الجهاد إلا عَمَّهم الله بعذاب) قال المنذري: الطبراني بإسناد حسن؛ فهل تَجْرؤ أن تقول: إن من يترك الدراسة أو دروسَ التجويد سيُعَمُّ بالعذاب؟!

ــ (من لم يَغْزُ أو يُجَهِّز غازياً أو يَخلُف غازياً في أهله بخير أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة) أبو داود بإسناد قوي، فهل تعتقد أنك بترك دراستك الاقتصادَ أو الهندسةَ أو بترك عملك في المتجر أو المعمل هل تعتقد أن الله سيصيبك بقارعة كما سيصيبك بها بتركك الغزو في سبيل الله؟ وانتبه فالكلام هنا عن الغزو= جهاد الطلب، فكيف بجهاد الدَّفْع؟

ــ (من تعلّمَ الرمي ثم تركَه فليس منا أو فقد عصى) مسلم، فكيف بمن لم يَرْمِ في حياته! وفي رواية أبي داود والترمذي: (...ومن ترك الرمي بعدما عَلِمَه رغبةً عنه فإنها نعمة تركها، أو قال: كَفَرَها) والحديث حسن؛ فكيف تُرَغِّبُ وتُفَضِّل شيئاً على القتال وتُزَهِّد بالقتال، ثم تُؤَكِّد على ذلك؟! وكان العلماء الأقدمون كأحمد وغيره يَرمون وقد طعنوا في السنِّ خشية أن يَدخلوا في عموم مَن تعلَّم ثم نسي.

* شبهة: زماننا غير زمانهم، وإثبات عدم جدوى الإعداد السلمي لوحده!

٥- لماذا القتال؟ لنحقق أمر اللّه في إرهاب العدو والإغلاظ عليهم؛

فتُرفعَ عنا الذلة، وتعودَ لنا العزة والمَهابة في قلوب أعدائنا، فنحيا الحياة اللائقة، ونَتّقي فسادَ الأرض الحاصلَ من ترك القتال، فالقتال هو السبيل المنطقي الوحيد اليوم للتمكين، وإليك الدليلَ:

ــ أمَا أَمرَ ربنا نبيَّه ﷺ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ! جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ ... وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡ﴾؟ التوبة٧٣

أمَا قال للمؤمنين: ﴿وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةً﴾ التوبة١٢٣، ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾؟ الأنفال٦٠

أمَا ذَكَر صفة الصحابة الكرام ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ﴾؟! الفتح٢٩ فأين شدّتكم؟ أين غلظتكم؟.. في تصانيفكم ودراستكم وشِعركم وقصصكم وندواتكم وكلِّ إعدادكم السلمي المزعوم؟!

أم أنكم حقاً تَحْسبون ما تصنعونه لوناً من ألوان الشدة وإرهاب العدو؟!

هل تعلمون فيمن نزلت هذه الآية: ﴿وَلَا يَأۡتُونَ ٱلۡبَأۡسَ إِلَّا قَلِيلًا ١٨﴾؟ الأحزاب١٨، فأنتم لا قليلاً ولا كثيراً، بل كثيراً وكثيراً ما تُثبِّطون المجاهدين.

أين إغاظتكم للكفار وإرهابكم لهم؟! إن الغِلظة لا توجد حقيقةً إلا مع الرشاش!

وهل أنتم حقاً مقتنعون أن العدو يَرْهَب كتاباً تنشرونه تُنَدِّدون به وتَشْجُبون وتُجَعْجِعون -عفواً: تُجاهدون- على الطريقة الحديثة؟

لكنه تَرْتَعِد فَرائِصُه خوفاً إنْ سَمع مسلماً رَفع السلاح ولو كان سكيناً، كيف لا؟ تخاف البـاز عُصفوراً يُقَلِّم ظِفْرَ مِخْلَبه، والسيف أصدق إنباءً من الكتب والكلام الكذبِ!

ـــ وأيهما أعظم أثراً في قلوب الأعداء: شابٌّ دَبّر عمليةَ تفجيرٍ لليهود مثلاً فنَجَحَ لكنهم اعتقلوه فأعدموه أم شابٌّ دخل "كلية العمارة والفنون الجميلة" وكان الأوّلَ في مراحل السنوات كلِّها؟

ماذا ينفع مجموعٌ كاملٌ تَدخل به فَرعاً لا يُعيد الأرض المحتلة، وقد اكتظَّت بلادنا بالأطباء والمهندسين والصيادلة، لكنها نَدَرَتْ من المجاهدين.

وما فائدة "العَمَارة" في القتال؟ وكم واحداً نحتاج من هؤلاء الأوائل في دُفْعاتهم حتى يَقتنع الناس بجدوى الإسلام ومصداقية المُلتزمين كي يكونوا معهم ضد حكوماتهم المنحرفة؟

وهل كلُّ المُلتزمين عندهم المُؤهِّلات الخَلْقية لهذا التبريز المطلوب؟

وهل الوقت المبذول لهذا التبريز يُعادِل المكاسب منه والتي -على حسَب ما نرى- لم تَـزِد علـى كلمات الثناء والإطراء من غير الملتزمين؛ حتى إذا ما أظهرَ الشاب توجُّهَه الإسلامي في الثوابت فحسْب كـ (رفْض فصل الدين عن الدولة، حجاب المرأة، رفْض الصلح الدائم مع اليهود،..) ترى مدْحَهم عادَ ذمّاً؟

فأيُّ معنًى لِلْحَثّ -بشكل غير مباشِر- على دراسةِ أو حِفْظِ ما لا يُفيد قطعاً في ميدان القتال (كتاريخ الحزب الحاكم ومنجزاته وأسماء علماء الكيمياء في العالَم وأول من اخترع القطار، وكم كيلو متراً تقطع عقارب "بيغ بن" في السنة ...) ثم يتخرَّجُ "مجاهدُنا" (!) بأرطالٍ من المعلومات، لكنه لا يعرف حتى الآن صنع قنبلةٍ تُرهِب العدو من المواد الكيميائية التي بين يديه!! فأيُّ إعداد هذا أيها العقلاء؟؟!!

ثم يُصِرُّون أن التبريز في هكذا كلياتٍ سيساهم في تحرير فلسطين!!!! واللهُ المستعان.

ـــ وصِفَةُ رسولنا ﷺ: (الضَّحوك القتَّال) راجع بداية ابن كثير، وليس الضحوك صاحب المهرجان والقصة والرواية والمطبعة الفلانية، ومركزُ كذا للتسويق، ومجمع الدراسات للعلوم الإسلامية الفلاني، إنما (قتَّال)...(قتَّال)، نعم قتَّال بوزن فَعّال مبالغةً في القتل.

وفي السيرة (البداية والنهاية ٤٦/٣) أنه ﷺ قال لقريش -وهو في مكة قبل أن يُكتَب عليهم القتال-: (جئتُكم بالذَّبح)، ولم يَقُل: بالحوار والندوات والمؤتمرات والمظاهرات السلمية!

نعم تُعْرَضُ الدعوة قبل البدء بالقتال، ولكن لا يَسُوغ لمسلم أن يُلغيَ القتال فيَصير الإسلام بلا ذروة، بل المسلم أولُ مُطَبِّقٍ لآية الإرهاب ﴿تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾ الأنفال ٦٠ ، وقـد قـال ﷺ: (نُصِرْتُ بالرُّعب مسيرةَ شهر...) صحيح، فهل إعدادكم يُرعِبُ العدو؟

أمّا اليوم فاليهود تريد أن تذبحنا، فإن انتفضنا فنحن غير مؤدبين!

فتراهم يلقبون المجاهدين بألقابٍ شائنة كالإرهابيين والمتطرفين والمتشـددين ونحوهـا، إرهـابيون ومتطرفون لأنهم يُضَحُّون بأنفسهم في قتال الصهاينة والروس والبوذيين والأمريكيين ومن على شاكلتهم.

أصبح الدفاع عن الأعراض همجيّة!

فإذا كان الإرهاب هكذا فنحن إرهابيّون، والإرهاب فريضة في دين الله! بل ما مـن شـك أننـا وإخوانَنا المجاهدين إرهابيون بهذا المعنى؛ أي: نُرهب أعداء الله تنفيذاً لأمره سبحانه وتعالى.

ـ وقال ﷺ وهو على المنبر: (وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة، ألا إنّ القوة الرمـيُ، ألا إن القـوة الرمي، ألا إن القوة الرمي) مسلم وأبو داود، وعند البزّار(عليكم بالرمي؛ فإنه خيرُ أو مِنْ خيرِ لَهْـوِكم)، وفي أوسط الطبراني: (فإنه من خير لَعِبِكم) وإسنادهما جيد قوي؛ فأين القوة في إعدادكم الموهوم الـذي لا يُخيف الكفار؟

ـ وهو القائل ﷺ: (بُعِثْتُ بالسيف بين يدي الساعة حتى يُعبَد الله وحده لا شريك له، وجُعِلَ رزقي تحت ظل رمحي، وجُعل الذل والصَّغار على مَن خالف أمري، ومَن تَشبّه بقوم فهو منهم...) أحمد وهو صحيح، ولم يقل: بُعثْتُ بالحوار والعَوْلَمَة واستعطافِ الأمم المتحدة؟

ـ أَلَمْ يُشَخِّصْ لنا طبيب هذه الأمة ﷺ الداءَ ويَصفِ الدواءَ؟ أمَا قال عن سبب غُثائيّتِنا، وأسـبابِ الوَهَنِ الذي ابتُليَتْ به الأمة وعدمِ مَهابة أعدائنا لنا: (حبُّكم الدنيا وكراهيتكم القتال) إسناده جيد كما في روايةٍ لأحمد، وليس كراهيةَ الدراسة أو كراهية النجاحِ في الامتحان أو كراهية نيلِ درجة "ممتـاز" في الكليـة، فعلام لا نأخذُ الدواء ونعود إلى القتال؟!

نعم (يُوْشِكُ الأمم أنْ تَداعى عليكم كما تَداعى الأَكَلَة إلى قَصْعَتها! فقال قائل: ومِنْ قِلَّـةٍ نحـن يومئذ؟! قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غُثاء كغُثاء السَّيل، ولَيَنْزِعَنَّ اللهُ من صدور عدوكم المَهابَـةَ منكم، ولَيَقْذِفَنّ اللهُ في قلوبكم الوَهْن، فقال قائلٌ: يا رسول الله وما الوهْن؟ قال حب الدنيا وكراهيـة الموت) أبو داود وهو صحيح، فعلام نُغْمِض أعيننا ونَغُضُّ طَرْفَنا عن العِلّة الأولى: تركِ القتال؟!

يا من تَحُثُّون على كثير مما لا يُساهم حقيقة في إخراج المحتل من بلاد المسلمين إن الطبيب لم يَقُل: أزمتُكم تربوية أو اقتصاديةٌ أو اجتماعية أو إعلامية! أو مِن عدم التبريز في الجامعات أو لقلة مهندسـي

العمارة! إنما (كراهيتكم القتال)، والطبيب كان يتكلم عن حالة مستقبلية ستصيب الأمة فشخَّص الـداء ووصف لنا الدواء، ونرى الآن بأعيننا كيف يَطفو كثيرون كالغثاء في طروحاتهم لحل أزمة المسلمين.

وتصوَّر أنت غثاء السيل! سترى أول صفتين مشتركتين لكل الغثاء بأنواعه جميعاً وعلى كافة المستويات هما: السطحية والعشوائية! وهكذا كثير من المُنَظِّرين اليوم!

يُلْقون الحلول شرقيةً أو غربية بسطحية وعشوائية؛ سطحيةٍ لا تغوص إلى ذات السرطان وتكتفي بـ"المُسَكِّنات"، بل تُقْنع نفسها بحجج عرجاء أن هذا المُسَكِّن هو العلاج الفعال للداء العُضال.

يسير هذا الغثاء مع جبروت ماء النهر، وصارالجيد اليوم مَن يُحاول اعتزال الصدام إلى إحدى جَنَبات النهر، أما السطحيُّ فيَكتفي بالقنوات السلمية والإعدادات الوهمية؛ فمنهم من يَكتب في كشف حقيقة النهر وظلمه وغطرسته ظاناً أن هذا يُعفيه من فراره من القتال، ومنهم يُقنعه الشيطان أن أسلم الحلول أن تمدح النهر عساه يُشفق يوماً ما على هذا الغثاء الهائم، فإذا ما قام امرؤٌ واستند إلى آياتٍ غفيرة وأحاديث وفيرة داعماً منهجه بوقائع تاريخية كثيرة، إذا ما قام ببناء سدٍّ لإيقاف النهر أو على الأقل بالإعداد لبناء السدّ أو على أقلَّ من الأقل: على التحريض لبناء السدّ رأيتَ كلَّ هذا الغثاء اتحد وَحدة تاريخية ليَصوغ عبارة واحدة شديدة وحاسمة: "متهوِّر"!

وكلُّ هذا الغثاء يَشترك بـ "كراهية القتال" وإن اختلفت الأسباب؛ فمنهم جُبْناً، ومنهم لبعد نظره!!! لأن أكثر من محاولةٍ في أنهارٍ أخرى باءت بالفشل حين حاولوا بناء سدٍّ لنهرهم المتغطرس، إذاً فالحل السديد عنده أن نتحاشى بناء السدود ولْنكتفِ بما وضعه لنا النهر من حدود!!!

إني لأفتح عيني حين أفتحها على كثير ولكن لا أرى أحداً!

*وقْفَة خاصة مع الحضارة والاقتصاد والإعلام والزراعة ونحوها...

ـــ هل كان الرعيل الأول الحفاةُ العراةُ أصحابَ حضارة -بالمعنى المعاصر-؟!

إنهم في نَظَر أصحاب الحضارة في يومهم —الفرس- أوباشٌ أَجْلافٌ خَرجوا كالوحوش من أَجْل لقمة العيش، لكنهم بتمسكهم بأمر رسولهم ﷺ بالغزو والجهاد ساروا رغم افتقادهم للحضارة من منظور معاصريهم.

فليست الحضارة زَرْكَشَاتٍ وتَنْمِيقَاتٍ، فهل نعدُّ الأمويين الذين انحرفوا -من حيثُ المجموعُ- عن هدي السلف الصالح هل نعدهم بما عندهم من حضارة -حَسَبَ مفهوم العصر- هل نَعُدُّهم خيراً ممن سَبَقهم من السلف الصالح؟

وهل المأمون المعتزلي بعصره الحضاري الذهبي -كما في كتب التاريخ في مدارس بلادنا العربية- هل المأمون الذي عَذَّب علماء السنة بفِكْره الضالّ خيرٌ ممن سَبَقَه؟

وهل بَنو عُبَيْدٍ الفاطميون بعهدهم الراقي من حيث الزخارفُ والفنُّ الإسلامي -على حد تعبيرهم- هل هم إلا زنادقةٌ مارقون من الدين عند المحققين من جهابذة السِّيَر والتاريخ حتى وإن صحَّ نسبهم المزعوم؟!!

نعم هكذا هم عند علماء الإسلام المؤرخين كالذهبي وابن كثير والسّخاوي ومن تَبِعهم بإحسان من علماء السنة.

ومَعاذ الله أن نهوِّن من شأن الإعلام في زماننا، فالجهاد باللسان والقلم مما يؤثِّر كثيراً، وهذا يشمل كل قول يكون من شأنه تقوية معنويات الجند، وتحطيم معنويات العدو كالشعر والخطابة وإشاعة انتصارات المسلمين وهزائم أعدائهم، ومن ذلك رفع الأصوات بالتكبير والذكر عند الحملة على العدو، وتحميس الجيوش وتشجيعهم ووعدهم بالانتصارات وهزيمة أعدائهم، وكذلك الدعاء لهم بالنصر والتأييد..إلخ، ومواقعُ الإنترنت اليوم تسدُّ مَسدّاً طيباً، ولذا كان الرسول ﷺ يهتم بهذا النوع من الجهاد -أي الجهاد باللسان- فيأمر شعراء المسلمين كحسان وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك بأن يَهْجوا خصومه من الكفار كما جاء عند مسلم: (اهجوا قريشاً فإنه أشد عليها من رَشْقٍ بالنبل)، وقال ﷺ لحسان: (اهجهم وروح القدس معك).

ولكنْ هل انتظر الفاتحون الأوائل يوم خَرجوا في مشارق الأرض ومغاربها أن يتيسر لهم إعلامٌ إسلامي متميز بين فارس والروم؟ وكم مُحللاً سياسياً واجتماعياً كان لديهم؟ وكم قناةً فضائيةً كانوا يَبُثُّون على الموجات الطويلة والقصيرة والموجات العرجاء؟ وهل كان المذيعون على آخر "موضة"؟...... حقاً! لقد هَزُلَتْ!!

أَلَم يكن للهنود الحُمْر حضارةٌ؟ فأين هي أمام ضربات البرتغال والإسبان؟

ألم يكن للهند حضارة؟ فماذا نَفَعَت أمام ضَرَبات بريطانية؟

فإذا ساد منطق القوة خَرِسَتْ قوة المنطق، وإذا عَلَتْ حضارةُ القوة تلاشَتْ قوة الحضارة؟ وهل سيُحَرِّرُ الأرضَ /٥٠/ طبيباً أم /٥٠/ عسكرياً؟! وهل سادت "أمريكة" في مطلع القرن الحادي والعشرين بحضارتها أم بقوتها؟

ولو كنتم صادقين هل كنتم تَحُثون النَّشْءِ الجديد على تعلُّم الخط العربي بفنونه لأنه من الجمال و(إن الله جميل يحب الجمال)؟ أم كنتم وَجَّهْتموهم –وبشدة– إلى كل ما يَخدم قضية القوة التي تَرْكُل المعتدين خارج البلاد؟

فإن قلتَ: يا قومنا وهل تنفع الخطوط العربية والزركشات الإسلامية!! لفكِّ أسْر المأسورين أو طَرْد المحتلين؟ لقالوا بلسان الحال: يا ضعيفَ النظر! نحن نُعِدّ للمستقبل لتخطيط "لافتة" أمير المؤمنين!!! وقل أنت بلسان فمك: "اللهم فاحفظ علينا العقل والدين".

ولو كانوا صادقين لرَكَّزوا في مجال الطب على ما يفيد المجاهدين من جراحة عظمية و... لا على التوليد وتحديد النسل وجراحات التجميل! اللهم إلا أن ينووا بها تغيير ملامح المُلاحَقين الدَّوْليين الإسلاميين!! فَبها ونِعْمَتْ.

وإلى عُبّاد الحضارة أتوجّه بسؤال: إذا هاجم العدو أرضَ مدينتك هل تخرج لقتاله بما تستطيع أم تهرب لتتحَضَّر وتُكمل دراستك؟ وهل في الإسلام إقليمية؟ إن بلاد الإسلام واحدة! فهل نقول لأطفال الحجارة: اخرجوا وادرسوا الاقتصاد والاجتماع فَحَرْبُنَا حرب حضارة لا سلاح؟!! سبحان الله!

ولو تجاوَزَت اليابان حدودها المسموحة اليوم كيف سيكون مصيرها رغم عِظَمِها الحضاري والاقتصادي؟! فماذا استفادت إذا كانت حتى الآن لا حول لها ولا قوة عسكرياً؟

ـــ (إذا تبايَعْتم بالعِينة وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد سلّط الله عليكم ذلاً لا يَنْزِعُه حتى تَرْجعوا إلى دينكم) أبو داود بإسناد حسن، وقال الشيخ شاكر: صحيح، وفي رواية: (إذا ضنَّ الناس بالدينار

والدرهم ... أَنْزَل الله بهم بلاء...) الدّارمي والبيهقي وهو صحيح،فالذل لانشغالهم بالمال والاقتصـــاد وتـــركهم القتال، فكيف تأتي وتُفَضِّل الإعداد الاقتصاديَّ على الإعداد القتالي؟

إنما الإنصاف أن تأخذ من المال ما يكفي للقتال ثم تنطلقَ، والسلاحُ في الأسواق السوداء مُتوفِّر فأين الإعداد العسكري؟ أين التدريب والتمرين أيها المجاهدون!؟ ﴿وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُـرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً﴾ التوبة٤٦ ، ففي المعركة القتالية نحتاج القدرةَ الماليةَ لشراء السلاح، والقدرةَ البشريةَ التي تَستعمله، فكل مـــا يحقق هذين سريعاً فهو إعدادٌ قتالي، وإلا فلو مَيَّعْنا مدلول الإعداد ليشمل الأشعار والقصصَ البطوليـــة والرواياتِ...، فهذه حيلة شيطانية، مع أن العدو إذا هَجَم على بلدٍ إسلاميٍّ ضعيفٍ إعلامياً وَجَـــب – باتفاق العقلاء والمجانين- الخروجُ لقتاله بالسلاح (كلاشن -RPG-...) لا بِقَرْضِ الشعر ونَثر النثـــر ونَسْج القصص، فإنْ عَجَزَ أهله تَحوّل فرضُهم إلى الإعداد لإخراج العدو -بالدبابات والـــــ ....- لا لإخراج شبكة بَثٍّ فضائيٍّ أو إذاعةِ صوت المسلمين أو لرَدِّ شبهات المستشرقين أو لتحرير المجـــلات أو لتوزيع الأشرطة، فصحيح أننا لن نَخرج لقتالهم بالسيف والخنجر لكننا أيضاً –وقطعاً- لن نخرج لقتالهم بإذاعة صوت المسلمين أو بالاقتصادي العظيم أو بدكتور الاجتماع القدير أو بالمهندس النِّحْرير... وهل يُغني هؤلاء شيئاً أمام المدفع والـــ RPG ......؟

فذِلَّتنا أولاً مِن ترك الجهاد لا من تخلفنا الاقتصادي أو السياسي أو الإعلامي أو التكنولـــوجي وإن كان تخلُّفنا في هذه المجالات مصيبةً! وحَدِّث عن البحر ولا حَرج، ومَعاذَ الله أن نقول: إننا لا نحتاج إلى الإعلام أو لا تحتاج إلى التبريز في الجامعات لكنّ حاجَتنا إلى القتال أكبرُ!

تماماً كغريقٍ صار له أسبوعان لم يأكل، أوَكنت تأتيه بطعام أم تُنقذه من غَرَقه؟! وهو جائع قـــارَب الموتَ من جوعه!!

ومَن ابتُلي ببعوضة وعقرب أيلحق البعوضة ويذَرُ العقرب؟! نعم إن استطعنا دفعَهما كليهما فَبِهـــا ونِعْمَتْ!! وإلا نُقَدِّمُ الأهمَّ!

أجيبـــوا: هل تُحَلُّ أزمتنا الاقتصادية من رِبًا ورُشًا وسرقاتٍ هل تُحَلُّ بتصنيف الكتـــب أو دراسة الاقتصاد أم بقوةٍ تَرْدَعُ هؤلاء......؟ فأين هي؟

ولو سألْنا حَضَرات المُثَبِّطين عن القتال: كم اقتصادياً بارعاً نحتاج حتى تتنفّسَ أمتنا الصعداءَ؟! إنـــه عَدد لا نهائي؟! ويظل الشيطان يُسَوِّل حيناً بعد حين، فكلما جَمَعَت الأمة مالاً قال: هـــذا لا يكفـــي للقتال؛ استمِرَّ في الجمع لشراء السلاح.... وهكذا ينقضي العمر، وتأتي ساعةُ "ولاتَ حينَ مَنْدَم".

هاهو رسولنا ﷺ -ولنا فيه أسوة حسنة- لَمّا وجَب الجهاد خرج رغم عُسرته وضعفه الاقتصادي خرج وصحابتَه، حتى سُميت "غزوةَ العُسرة"، ومع أن كل التحليلات السياسية والعسكرية -في أيامهم!!- كانت تشير أنها نهاية دولة الإسلام، لكن رسولنا الحكيم صاحب الخبرة والحكمة الذي لا يَجرؤ أحدٌ أن يَصِفَه بالتهور لم يجلس يُعِدُّ اقتصادياً أو إعلامياً أو حضارياً و...، بل أخذ ما استطاع من عُدَّة وانطلق بخلاف الكاذبين في عصرنا!! الذين سيَبْقَون يُعِدُّون -بزعمهم- حتى يدخلوا القبور! ويا ليتهم يُعِدّون حقاً! وهل الذي يُعِدّ حقيقة يجعل بيتَه بهذا الأثاث الفاخِر! رحم الله صحابة رسولنا ﷺ في غزوة العُسرة لّما أعَدّوا حقاً قبل المعركة! وبذلوا النفس والنفيس.

ومن قبلها أمَا خرجوا في بدرٍ عسى أن يَظفروا بقافلة قريش؟ فهم خرجوا ليَغْنَموا وما كان عندهم اقتصاد الدول الصناعية الكبرى.

بل إن رزق رسولنا ﷺ وأمّتِه عامةً جُعل تحت ظل رمحه، فليس الاقتصاد القوي شرطاً لنجاح المعركة وإلا وقَعْنا في "مسألة الدَّور" أنت لن تقاتل حتى تصبح الأمة ذات مقدرةٍ مالية (بأشكالها)، ورسولنا ﷺ يَذكر أننا نصبح ذوي مال بالقتال، فمتى سنقاتل؟

ومَن قال: إن الإعداد الاقتصادي لا يكون مع الإعداد العسكري؟!!! وهل أترك الصلاة لعجزي عن الصيام؟! أفأترك القتال لضعفِ قوتي الإعلامية؟

ومَن الذي قال: إن القتال لا يمكن بدون إعداد إعلامي واقتصادي!؟ ألَم تبدأ الحرب ضد الشيوعية في بلاد الأفغان بثلاثين رجلاً، وفي الشيشان باثني عشر رجلاً؟ ومِن قبلها كنا في "حُنين" أكثرَ عُدداً وعَديداً فكان الانتكاس لنا حليفاً! فما المانع من أن تقاتل وتحاول -بما يسّر الله- نشرَ حقك؟!

وكم واحداً في بلادنا يموت جوعاً حتى ترانا صباحَ مساءَ نشكو ونبكي من قلة دخلنا في بلادنا؟ ألم يدَّخِر أكثرنا مؤْنة سنة أو أكثر؟ أم أننا ما عُدْنا نَقْنَع بما يسدُّ الرّمَق ويستر العورة؟ وتأمل هذه النصيحة النبوية ذات النِّظرة البعيدة (ستُفتَح عليكم أرَضون، ويَكفيكم الله، فلا يَعْجِز أحدكم أن يلْهوَ بأسهمه) مسلم.

ـ أما نَستحي أن نُحَرّض الناس على الزراعة بحجة النهوض بالاقتصاد لنتمكن من القتال بينما رسولنا ﷺ صاحبُ الخِبرة والعصمة والحكمة والاتزان يقول لّما رأى شيئاً من آلة الحَرْثِ بباب أحد الأنصار: (لا يَدْخُلُ هذا بيتَ قوم إلا أَدْخَلَه الله الذلَّ) البخاري، تَأَمَّلْ! رآه فقال ما قال، وكان الجهاد وقتَها فرض كفاية، والكفايةُ وقتَها كانت قائمةً، ورغم ذلك حَذَّر! وقد قال العلماء: إن الانشغال بالزراعة وقتَ تعيُّنِ الجهاد سببُ الذل، بينما صار بعرف الُمجَدّدين في عصرنا صار الذي يعمل في

الزراعة مُجاهداً -على الطّراز الحديث- إن نوى الإعداد، رغم تحذير ربِّنا تعالى للأنصار الذين تركوا الجهاد وانشغلوا بالزراعة بقوله: ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾ البقرة١٩٥، وراجع كتب التفسير لتصحيح الفهم في هذه الآية المُنْذِرة المُحَذِّرة.

وكأن الفاروق طبَّقَ هذا عملياً فأمر بحَرْق الزرع في الشام بعد أن ابيضَّ. (في سند القصة "أسد بن موسى" وقد ردّ العلماء على "ابن حزم" تضعيفه له فراجع "الميزان" و"تهذيب التهذيب")

ـــ بل حالنا كحال السابقين منذ سقوط الأندلس من حيث وجوبُ الجهاد القتالي فضلاً عن باقي أنواع الجهاد، وقد سبق قول الشيخ "وهبي سليمان غاوجي" وهو من المعاصرين، ودونكم الأدلَّةَ وعِللَ الأحكام، لكنَّ هؤلاء يَعْنُون: لكل زمان سفهاءُ يُحَرِّفون دَلالات النصوص، فلو ارتد عالم ذرةٍ مسلمٌ لا يُقْتَل -ربما- عندهم لتغيُّر مُعْطَيَاتِ عَصْرِنا عن عصر الصحابة! وما لهم حجةٌ إلا قولَهم: "زماننا غير زمانهم"! و"تتبدل الأحكام بتبدل الأزمان"، وكأن ربَّنا اليومَ غيرُ ربِّ السلف الصالح!، تعالى الله عن الأفّاكين عُلُوّاً كبيراً.

أفيجد شاربو "البيرة" ولابسو الذهب وناكحو المُتعة حُجَّةً غيرَ قولهم: "زماننا غيرُ زمانهم"؟!

فحتى متى تتبرؤون من الأولين؟! ولولا علماؤنا القدامى وتأليفاتُهم ما فَهِمْنا الكتاب والسنة!

أوَليس الإسلام: أنْ تُسْلِم قيادَك لِرَبِّ العالمين!؟ إذاً هو الذي يُحَدِّدُ المصلحة لا أنت، ولله دَرُّ رافع بن خَديج الصحابي البصير إذ قال: (...جاءنا ذات يوم رجل من عمومتي فقال: نهانا رسول الله ﷺ عن أَمْرٍ كان لنا نافعاً، وطواعية الله ورسوله أنفع لنا، نهانا أن نُحاقِل بالأرض...) صحيح مسلم، (المُحاقَلة=بيع الزرع قبل بُدُوّ صلاحه).

ـــ وهل هناك ما هو أصرحُ من (ولا تَضَعُ الحرب أوزارها حتى يَخرج يأجوج ومأجوج)؟ النسائي الكبرى، هل هناك أصرح مما مرّ معنا في المقدمة (كذبوا! الآن جاء دور القتال)؟ فكيف تَجرؤُ أن تُلغيَ الجهاد القتالي وتزعم أن حربنا اليوم حرب حضارة لا حرب سكاكين؟

إنها حربٌ على كل الأصعدة القتالية، حربٌ دموية حقيقية لا كلامية أو مقالاتية! فإذا كانت حروبكم تُريق دماء الكفار أو تُعيد أراضي المسلمين فيا حيَّهلاً بها وبإعدادكم، ولكن من احتلال بيت المقدس من خمسين سنة حتى الآن وأنتم تَحقِنون المخدرات في شباب الأمة، أفما آنَ للفارس أن يترجَّل؟!

ـــ وهل تظن أنك في مثل هذه الأجواء الموبوءة في البلاد العربية سيُسمح لك ولو بكلمة إسلامية واحدة تُنتج عملاً حقيقياً، وما أكثر الكلام الذي يَطير مع الغَمام!!

ــ يا لها من كلمة حكيمة -لو تَفطّنّا لها!-: (إن تكاليف القعود عن الجهاد من خسائرَ ودماءٍ أضعافُ أضعافِ تكاليف القيام بالجهاد)، وصدق الشيخ عبد الله عزام رحمه الله.

ــ وهل تجد في كتاب الله: ليس على الطبيب حَرَج، ولا على المهندس حرج، ولا على الداعية حرج، ولا على المتزوج حرج، ولا على طالب الجامعة حرج؟!

فــ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ ؟!!إِذَا قِيلَ لَكُمُ :انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ؟ ﴾ التوبة٣٨.

ــ ثم إن المُنصِفَ المُطَّلِع على أوضاع العالم، وعلى مؤامرات الكفر وأذنابهم -من العَرب- على دين الإسلام يَجْزِم دون شك أنْ لا حَلَّ يَشفي إلا الرشاشاتُ والدبَّاباتُ -ولو من باب: آخرُ الدواءِ الكَيُّ- إذ سَئِمْنا المَسيراتِ والمؤتمراتِ، فهيهات ثم هيهات لِقُوَّة المَنْطِق أن تَهْزِمَ منطق القوة، وإن حصلَ فهذا من الشاذ، وما جاء على خلاف القياس فغيره عليه لا يقاس، ومَن له أدنى إلمامٍ ومعرفة بتاريخ الدول والحكومات لا يبقى لديه شك مطلقاً في أن الجهاد بأنواعه من أعظم الوسائل بل هو أعظم الوسائل مع الإيمان بالله والتوكل عليه لحماية الأمة المسلمة ومقدساتها من تطاول الأعداء عليها وطمعهم في خيراتها.

فإن العدو إذا عَرف مدى استعداد المسلمين وعَرف ما هم عليه من القوة القتالية والتدريب والتأهيل فإنه يَحسِب لمهاجمة بلاد المسلمين ألف حساب.

والعدو الكافر يُدرك ما للجهاد من آثار في تغيير ميزان المعارك التي تجري بين المسلمين وأعدائهم؛ فلهذا نجد الدول الكافرة على اختلاف مناهجهم واتجاهاتهم يَخْشَون الجهاد ويُنَفِّرون عنه هم ومَن يَدور في فَلَكها من الحكومات العميلة بكل ما يستطيعون من وسائل، ونراهم يَشنون حرباً شعواء على الشباب الذين يريدون الانضمام إلى إخوانهم المقاتلين في الجبهات والثغور، وإذا ظفروا بأحد منهم اعتقلوه، ونَكَّلوا به، ثم أودعوه في غَياهب السجون مدداً طويلة يلاقي فيها شتى أنواع التعذيب والإهانة؛ لأنهم يعلمون جيداً أنهم لا يستطيعون السيطرة على الأمة إذا كانت تمتطي ذروة سنام الدين: الجهاد...

الغرب مَقْبَرَةُ العدالة كلما ... رُفِعَت يدٌ أبدى لها السكينا
الغرب يَكْفُر بالسلام، وإنّما ... بسلامه الَمزعومِ يَسْتَهْوِينا
الغرب يحمل خنجراً ورصاصة ... فعلام يَحْمِلُ قومُنا الزيتونا؟
كُفْرٌ وإسلام فأنى يلتقي ... هذا بذاكَ أيُّها اللاهونا؟
أنا لا ألوم الغرب في تخطيطه ... لكن ألوم المسلم المفتونا
وألومُ أُمَّتَنا التي رحلت على ... درب الخُضُوع تُرافق التِّنِّينا

يا مجلس الأمن المخيف إلى متى ... تبقى لِتُجَّار الحروب رهيناً؟
وإلى متى ترضى بِسَلْبِ حُقُوقِنا ... مِنَّا وتطلُبُنا ولا تُعطينا؟
يا مجلساً في جسم عالمنا غدا ... مرضاً خفياً يُشْبِهُ الطاعونا
تشكو و خوفك من قضايانا التي ... لم تَلْقَ فيك الحقوقُ أمينا
يا سالبَ الطفلِ الأمانَ إلى متى ... تسقيه من بعد الأنين أنيناً؟
وإلى متى يبقى الهَوَى لك سَيِّداً ... وتَظَلُّ للظلم الرهيبِ قَريناً؟
يا مجلس الأمن انتظِرْ إسلامنا ... سيُريك ميزان الهُدى، ويُرينا
إني أراك على شَفِيرِ نهايةٍ ... سَتَصِيرُ تحت رُكَامِها مدفونا
إن كنتَ في شَكٍّ فَسَلْ فرعون عن ... غَرَقٍ وسَلْ عن خَسْفِهِ قارونا!

–

حُبِكَتْ فصول المسرحية حَبْكة ... يَعْيى بها المُتَمَرِّس الفنَّان
هذا يَكِرُّ وذا يَفِرُّ وذا بهذا ... يستجير ويبدأ الغليان
حتى إذا انقشع الدخان مضى ... لنا جُرْحٌ وحَلَّ مَحَلَّه سَرَطان
وإذا ذئاب الغربِ راعيةٌ لنا ... وإذا جميع رجالنا خِرفان!
وإذا بأصنامٍ أجانبَ قد رَبَتْ ... وبلادنا ورجالها القُربان

–

ألفاظهم عرَبٌ والفعل مختلفٌ ... وكم طوى اللفظُ من زور ومن كذب!
إن العروبة ثوب يَخدعون به ... وهم يَرُومون طعن الدين والعرب
واحسرتاه لقومي غرَّهم قَرِمٌ ... سعى إليهم بجِلد المُنقِذِ الحَرِبِ
حتى إذا أمْكَنَتْه فُرصةٌ بَرَزَتْ ... حُمْرُ المَخَالب بين الشكِّ والعَجَب
وأَعْمَلَ الناب لا شرعٌ ولا خُلُق ... في الجسم والنفس والأعراض والنَّشَب
وحارَبَ الدين، والإسلامُ قاهِرُهُ ... وكم خلا مثلُه في سالف الحِقَبِ

سألْتُ عن الصمود رجال قومي	فخاطَبَني من الإعلام بُوق:
لقد مات الصمود مع التصدي	فما هذا التَّنَكُّر و العقوق
أتنسى أن إسرائيل أُخْتٌ	لها في المسجد الأقصى حقوق
كأن رجالَ أمتِنا قَطِيع	وإسرائيلُ في صَلَفٍ تسوق
هنالك ألف باكية تُنَادي:	أفيقوا يا أحبَّتنا أفيقوا!
يُدنَّس عِرْضُ مسلمة وتُرمى	ويَلطم وجهها وَغْدٌ حليق
وكم من مسجد أضحى رُكاماً	وفي مِحرابه شبَّ الحريق
تُعَذِّبُني نداءات اليتامى	وصانع يُتْمِهم حُرٌّ طليق
وأمتنا تنام على سرير	يُهَدْهِدُها المَفَاتن والفُسُوق
كتابُ الله يدعوها ولكن	أَراها لا تُحِسُّ ولا تُفِيق
أقول لأمتي والليلُ داجٍ	بكَفِّكِ لو تأمَّلْتِ الشروق

ـ أوَما يُؤْلِمُك لسانُ حالِ أطفال المسلمين المشردين وهم يُوَجِّهُون رسالة شكر لي ولك، و(ما من امرئ يَخْذل امرءاً مسلماً في موطن يُنْتَقَص فيه من عِرْضه، ويُنْتَهك فيه من حُرْمَته، إلا خَذَلَه الله تعالى في مَوطن يُحِبُّ فيه نُصْرَته، وما من أَحَدٍ يَنْصُر مسلماً في موطن يُنتقص فيه من عرضه، ويُنتهك فيه من حرمته، إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته) والحديث حسن:

شكراً لكم يا إخوة الإسلام	شكراً على الإغضاء والإحجام
شكراً على الصمت الوقور فإنكم	تتميزون بحكمةٍ ونظام
شكراً على الخِذلان إنا لم نكن	ندري بهذا الحزم والإقدام
أوَما بكيتم من بكاء صغيرة	أوَما رحِمْتم حُرقة الأيتام
أوَما حَلَفْتُم في المجالس أنكم	تستشعرون فظاعة الآلام
شكراً لكم يا مسلمون فقد بدَتْ	لي غَيْرَةُ الأخوال والأعمام
نُسبى نُشرَّد في البلاد وأنتمُ	تتعلقون بسُترة الحاخام
تتحدثون بِحِكْمَة القِسِّيْس في	طَرْدِي و في قتلي وفي إرْغَامي

وتصيح أعراض النساء فلا ترى ... فيكم فتًى يَرمي، و ليس برامي
تهوي مآذِنُنا على شاشاتكم ... وتُمَزّق الأجساد بالألغام
ويُدَاهِم القَصْفُ الرهيبُ بُيوتَنَا ... فتَرَون في التلفاز بعضَ رُكام
وتَرَون أُمَّاً يُستباح عفافها ... والطفلَ يُقْتَل قبلُ حين فِطام
وتَرَوْنَ بنت الخَمْسِ تُؤخذ عُنْوة ... وتُصَبُّ فيها نُطْفَة الإجرام
وتَرَوْنَ آلاف الثكالى بيننا ... وترون آلافاً من الأيتام
فتُحَوْقِلون و تُغْمِضُون عيونكم ... وأنا على جمرِ الصلِيْبِ الحَامِي
أستغفر الرحمن من ظلمي لكم ... فلقد مَسَحْتُم جُرحَنَا بكلام
ولقد بعثتُم للعلو رسالة ... ممزوجة بمدامع الأقلام
إنا عذرناكم لأن جيوشكم ... مشغولةٌ بِقَطِيعة الأرحام
إنا عذرناكم لأن كؤوسكم ... ستظل لو جئتم بغير مُدام
إنا عذرناكم لأن بطونكم ... ستظل لو جئتم بغير طعام
إنا عذرناكم فسيروا حيثما ... شئتم، وهُزُّوا رايةَ استسلام
زيدوا من النوم الطويل فإنكم ... سَتَرَون فيه عجائبَ الأحلام!

ــ أنا لا أريد مسيرة،
إني أريد البندقية.
وا أُمَّة الإسلام! وا رَحِمي!
إني أريد البندقية.
والقدسُ -يا خَجَلي- ضَحِيَّةٌ.
يا أيها الزعماء أعطوني سلاحا
يا أيها الزعماء نَصْرُ الله لاحا
يا أيها الزعماء أَثْخَنْتُم جراحا
يا أيها الزعماء أعطوني صلاحا،
وصلاحٌ: مطعون من الظهر،
وصلاحٌ: في دوامة الأسر،

وصلاحٌ: باعوه لمؤتمر.
هل أنتم عربْ،
تحميكم الخُطَبْ،
وحُرُوبُكم هَرَبْ،
سبعون عاماً كلها كَذِبْ؛
ذَبَحوا النساء، وأنتم خُشُبْ،
هدموا البيوتَ، وليلُكم طَرَبْ،
في القدس نطق الحجر: لا مؤتمر... لا مؤتمر... لا مؤتمر،
أنا لا أريد سوى عمر!
الله أكبر: في دماء الشعب تسري: سنقاتل!
هم قيّدوني بالسلاسل،
وهم عيونٌ للعدو على الحدود وعلى السواحل.
ولأنّ عظمي هَشَّمُوه وشَوَّهوا كل المفاصل،
تجري الدماء على أصابع قاذِف المقلاع تُعطينا الهُوِيَّة.
وعلى جبين مُخَيَّمات المجد نكتب "قادسية".
وإذا تهدَّم منزلي تحت الجدار أرى وصية:
لا تَتْركوا *عَلَم الجهاد* فتُنْكِروا أغلى وصية

ـــ إذاً فالجهاد حياة لنا من جميـــع النـــواحي: ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾ الأنفال٢٤، وصدقَ ربُّنا العظيم.

ـــ ولولاه لَفَسَد دين النـــاس: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٥١﴾ البقرة٢٥١.

أَلا كـــلُّ أمة ضـــائعٌ حقهـــا سُـــدًى إذا لم يُؤيِّـــد حقَّهـــا المـــدفع الضّـــخم.

ـــ وخلاصة الكلام أن يكون سَعْيُنا لِما يَصبُّ في ساقية القتال مهما صغُر بشرط أن نبدأ بـــالأهم؛ فالدبابيس قد تفيد في المعركة، ولكنْ أنْ يَجلس رجلٌ ويَسعى جاهداً لبناء مصنع لصنع الدبابيس مـــع مقدرته أن يُسخِّر ماله في مجال أكثر نكاية في العدوّ فهذا يُقال له: لا تضحك على نفسك.

ومن يَجلس يتعلم من الكمبيوترات ما لا يلزم في المعارك بحجة أن الكمبيوتر من أهـــم مهمـــات المعركة فنقول له: لا تَضحك على نفسك، لأنه ولا ريب من أهم المهمات فهلا تعلمتَ مـــا يُفيـــد في المعارك القتالية، وبدقة أكثر: هلا تعلمْتَ ما يُحْدِث نكاية في الكافرين؟ فقد تكـــون النكايـــة ضـــربة اقتصادية لهم مثلاً... وهلمَّ جَرّاً، وستأتي معنا فقرة خاصة للحديث عن **"الإصلاحات الجزئية" وخطورة الانخداع بها** إن شاء الله.

٦- لماذا القتال؟ للعِصمة من الفتن قَرِيب يوم القيامة:

ـــ لَمّا ذَكَر ﷺ فتنة قريبةً سُئل: مَن خير الناس فيها؟ فذكر أن خير الناس رجل في ماشيةٍ اعتـــزل الناس إلا من خير، و(رجل آخذ برأس فرسه يُخيف العدو ويُخيفونه) الترمذي وحسّنه، وهو صـــريح في أن المراد القتالُ الحقيقي وليس الدراسةَ، وصدَق ربنا لما قال للمتخلفين عن الجهاد بحجة أنهم يخـــافون مـــن الفتنة: ﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ ۝٤٩﴾التوبة٤٩ أي بتركهم الجهاد.

٧- لماذا القتال؟ لأنه ذروة سنام الإسلام،

وسنام البعير أَظْهَر ما فيه؛ فلا يُدَاني الجهادَ اليوم شيء من المندوبات، وهو سبيلٌ لمحو الخطايا، والعملُ فيه مضاعف عما سواه.

وإليك البيان من الكتاب والسنة وأقوال العلماء ثم في الرقم التالي شيءٌ من سيرة الرسول والتابعين له بإحسان:

من الكتاب:

ـــــ ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ دَرَجَةً﴾النساء٩٥، فهل بقي ما هو أصرح من هذا؟

ـــ﴿ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ... ﴾التوبة١٩ ، فهل عملُك هنا في بلدك يعدِل سِقاية الحاج و..؟! فكيف يعدِل القتال إذاً؟

من السُّنة:

ـــ في صحيح مسلم ١٨٧٨: (يا رسول الله: ما يَعدل الجهادَ في سبيل الله؟ قال ﷺ: لا تستطيعوه! فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثاً، كل ذلك يقول: لا تستطيعونه، ثم قال: مَثَل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله، لا يَفتُر من صلاة ولا صيام حتى يرجِع المجاهد في سبيل الله).(الرواية هكذا: "لا تستطيعوه" وهي لغة فصيحة جائزة)، قال النووي رحمه الله: (في هذا الحديث عظيم فضل الجهاد لأن الصلاة والصيام والقيام بآيات الله أفضل الأعمال وقد جعل المجاهدَ مثلَ مَن لايَفْتُر عن ذلك في لحظة من اللحظات، ومعلومٌ أن هذا لايَتَأَتَّى لأحد).

ـــ (إن مَثَل المجاهد في سبيل الله -والله أعلم بمن يجاهد في سبيله- كمَثَل القائم الصائم الخاشع الراكع الساجد) النَّسائي وهو صحيح، فهل تَجْرؤ أن تقولَها عن نفسك يا مَن جلسْتَ في بلدك وزعمتَ أنك مجاهد؟! إذاً فكيف تقول عن عملك هاهنا: إنه إعدادٌ خير من الإعداد للقتال بالسلاح...؟! وفي الموطأ وابن حبان: كمثل الدائم الذي لا يَفتر من صيام ولا صلاة حتى يَرْجع.

ـــ وعند البخاري: (يا رسول الله دُلَّني على عمل يعدل الجهاد! قال ﷺ: لا أَجِدُه! ثم قال هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقومَ ولا تَفْتُرَ وتصومَ ولا تفطر؟! قال الرجل: ومن يستطيع ذلك ؟!...)، والسائل من الصحابةُ! ولا يستطيع أن يَعمل عملاً يعدل الجهاد مع هِمَّة الصحابة العالية وفضلِ صحبتِهم فكيف بنا؟

ـــ وعند الترمذي والنسائي والحاكم والحديث حسن: (ألا أُخبركم بخير الناس منزلاً؟ قلنا: بلى يا رسول الله! قال: رجلٌ آخذٌ برأس فرسه في سبيل الله حتى يموتَ أو يُقتل...)، ولم يقُل: آخذٌ برأس قلمه يُصنّف ويَرُدُّ الشُّبَهَ ويُجيب عن أسئلة الامتحان، وهذا قوله في فرض الكفاية، فكيف بفرض العين!

ـــ و(سُئل رسول الله ﷺ: أيُّ العمل أفضل؟ قال: إيمان بالله ورسوله، قيل: ثم ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل الله) البخاري:٢٦، مسلم:٩٣.

ـــ أيُّ الناس أفضل قال ﷺ: (رجلٌ يجاهد في سبيل الله بماله ونفسه) متفق عليه.

ـــ وسئل ﷺ: أيُّ المؤمنين أكمل المؤمنين إيماناً؟ فقال ﷺ: (الذي يجاهد بنفسه وماله، ورجل...) متفق عليه.

ـــ وفي البخاري: سألَتْ عائشة رضي الله عنها: (يا رسول الله! نرى الجهادَ أفضلَ الأعمال أفـــلا نجاهد؟...).

ـــ (خطب رسول الله ﷺ فذكر الجهاد فلم يُفضِّل عليه شيئاً إلا المكتوبةَ) البيهقي وأبو عوانة.

ـــ وعند البخاري ومسلم: (أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: أيُّ الناس أفضل؟ قال: مؤمن يجاهـــد بنفسه وماله في سبيل الله قال: ثم مَن؟...).

ـــ وعند الترمذي والحاكم والبيهقي أن نَفَراً من أصحاب رسول الله ﷺ قَعدوا فقالوا: (لو نعلـــم أيُّ الأعمال أحبُّ إلى الله عَمِلنا، فـــأنزل الله عـــز وجـــل: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ...... إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ٤﴾الصف٤، والحديث صحيح.

ـــ ولَمّا اختلَف قومٌ في أَيِّ الأعمال أفضل: سقاية الحاج أم عِمارة المسجد الحرام أم الجهاد في سبيل الله نزل قولـــه تعـــالى: ﴿ ۞ أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ كَمَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا يَسۡتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩﴾التوبة١٩ ، أخرجه مســلم بــرقم ١٨٧٩، فهل عملك هاهنا يَعدِل عِمارة المسجد الحرام...؟!

ـــ ولَمّا وصل رجل إلى الصَّفِّ للصلاة قال: (اللهم آتني أفضلَ ما تؤتي عبادك الصالحين! فقال النبي ﷺ: (مَنِ المتكلم آنفاً؟...إذن يُعْقَرَ جوادُك وتُسْتَشْهَدَ في سبيل الله...) البزّار ورجاله ثقات، وحسّن ابن حجر إســناده.
و لم يَقل: "إذاً تنالَ الدرجة الأولى أو سيُسمح لك بمقالٍ في جريدةٍ حكومية!".

ـــ أمَا قال رسولنا ﷺ: (مُقام الرجل في الصف للقتال خير من قيامِ ستين سنة) أحمد والترمذي والحاكم وهو صحيح، فهل ترى أن مُقامَك هنا في بلدك لدراسة مادةٍ لامتحانٍ خير من قيام ســتين ســنة؟ وفي روايــة للحاكم: "عبادة" بدَل "مُقام" وهو صحيح.

ـــ ولما استشار صحابيٌّ رسول الله ﷺ أن يَمْكث في مكانٍ يتعبَّدُ ربه ويَعتزل الناس، فأشار عليــه الصادق المصدوق: (لا تفْعل؛ فإن مُقام أحدكم في سبيل الله أفضلُ من صلاته في بيته سبعين عامـــاً...) الترمذي والحاكم وهو حسن.

ـــ (والذي نفس محمد بيده ما شُحِبَ وجهٌ ولا اغْبَرَّت قدمٌ في عملٍ يُبتَغى به درجاتُ الآخرة بعد الصلاة المفروضة كجهاد في سبيل الله، ولا ثَقَّل ميزانَ عبدٍ كدابّةٍ تنفقُ في سبيل الله، أو يُحْمَلُ عليها في سبيل الله) أحمد وهو حسن؛ فكيف والجهاد اليوم فرض عين على الأمة باتفاق الفقهاء؟

ـــ (ما مِن نفس تموت لها عند الله خيرٌ يَسُرُّها أن تَرجع إلى الدنيا وأنّ لها الدنيا وما فيها إلا الشهيد، يتمنى أن يرجع فيُقتلَ في الدنيا، لِما يرى من فضل الشهادة) مسلم، قال النووي رحمه الله: (هذا من صرائح الأدلة فى عظيم فضل الشهادة).

ـــ أمَا جاءت امرأةٌ (فقالت: يا رسول الله! انطلَق زوجي غازياً، وكنتُ أقتدي بصلاته إذا صلى، وبفعله كلِّه، فأخبِرْني بعمل يُبَلِّغُني عمله حتى يَرجع. قال لها: أتستطيعين أن تقومي ولا تقعدي، وتصومي ولا تُفطري، وتَذكري الله تعالى ولا تَفْتُري حتى يَرْجِع؟ قالت: ما أُطيق هذا يا رسول الله! فقال: والذي نفسي بيده لو طُوِّقْتيه ما بَلَغْتِ العُشرَ من عمله)، (والحديث صحيحٌ لغيره، قال المنذري: رواه أحمد من رواية: "رشدين..." وهو ثقة عنده، ولا بأس بحديثه في المتابعات والرقائق اهـ، لكن سند الطبراني ليس فيه "رشدين"، و "خير بن نعيم" صدوق من رجال مسلم).

ـــ (لو أَنْفَقْتَ ما في الأرض جميعاً ما أدْرَكْتَ أَجْرَ غَدْوَتِهم) أخرجه أحمد، قالها ﷺ لصحابيٍّ لما تأخَّر عن السرية لِيَحْضُر خُطبة الجمعة للرسول ﷺ، وقال الصحابي: (أَتَخلَّف فأصلي مع رسول الله ﷺ الجمعة ثم ألحقهم)، وفي رواية لأحمد أيضاً قال: (أَتَخَلَّف حتى أصليَ مع رسول الله ﷺ ثم أُسَلِّم عليه وأودعُه، فيدعو لي بدعوة تكون سابقةً يوم القيامة...)، فقال له ﷺ: (أتدري بكم سبَقَك أصحابك؟...والذي نفسي بيده! لقد سبقوك بأبعدَ مما بين المشرقين والمغربَين في الفضيلة!!!) رجاله ثقات إلا واحداً اختُلِف فيه، وهو عند "ابن المبارك" من مرسل الحسن.

فإن كنت ترون أنفسكم تندرجون في هذا الحديث (مِن أشد أمتي لي حباً، ناس يكونون بعدي يَوَدُّ أحدهم لو رآني بأهله وماله) فهل تَتْرُكون عَمَلكم لرؤية رسولكم ﷺ -إن كان بين أَظْهُرنا- أم لا؟! إن كان الجواب "نعم" فعملكم هنا إذاً دون القتال لأن الخروج مع السرية أهمُّ من رؤية الرسول ﷺ.

بل أنتم -فيما يَظْهر- لو وُجِدَ عَقْد عَملٍ مُغْرٍ في دولة خليجية لتركتم إعدادكم الموهوم هنا ويَمَّمْتُم صَوْبَ المال، فأين الجهاد الذي تزعمون؟! لا تقولوا: سنتصدق بالمال الكثير؛ لأنكم أنتم هنا ومعكم كثيرٌ لم تُخرجوا منه إلا القطمير؛ فكيف إذا صار معكم أكثر من هذا الكثير، هل سيزيد إخراجكم... ليصير قطميراً مع قطمير؟!!

ـــ وبعد هذا فصريحُ الحديث (ألا أُخْبِرك برأس الأمر كله وعموده وذروة سنامه؟...قال: رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد) حديث حسن صحيح؛ فهل الجهاد هنا بمعناه القتالي أم هو توزيعُ الأشرطة، ومتابعةُ آخر الأخبار، وتنظيرُ الخُطب والمقالات؟ وذُروة سنام الشيء أعلاه، فكيف تزعم أنّ شيئاً سواه هو الذروة الآن؟!؛ وفي حديثٍ ضعيف اللفظ عند الطبراني: (ذروة سنام الإسلام الجهاد لا يناله إلا أفضلهم).

ـــ (القتلى ثلاثة: رجل مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله حتى إذا لقي العدوَّ قاتلهم حتى يُقتل، فذلك الشهيد المُمْتَحَن في جنة الله تحت عرشه، لا يَفْضُله النبيون إلا بدرجة النبوة، ورجلٌ فَـرِقَ علـى نفسه من الذنوب والخطايا جاهَد بنفسه وماله في سبيل الله حتى إذا لَقِيَ العـدو قاتَـل حـتى يُقتَـلَ، مُمَصْمِصَةٌ مَحَتْ ذنوبَه وخطاياه، إن السيف مَحّاءٌ للخطايا، وأُدخِلَ من أي أبواب الجنة شاء؛ فإنّ لهـا ثمانيةَ أبواب، ولجهنم سبعة أبواب، وبعضها أفضل من بعض و...) أحمد بإسناد جيـد؛ "الُممتحَن=المشـروح صدره، الُمَصْمِصَة=الُمكَفِّرة"؛ فهل تَجْرؤ أن تدَّعيَ أن عَملك مَحّاءٌ للخطايا؟! فكيف تحسُر إذاً أن تجزم أن عملك هاهنا من دراسة أو تجارة... أفضل من القتال بالسلاح؟ ثم تقول: أنا في جهاد؟

ـــ وحسبُك أن أَجْرَ المجاهد هناك مضاعَف حتى في ضحكه وأعماله المباحة، بل نومُ المجاهد أفضـل من قيام غيره الليلَ وصيامِه النهار، والطاعمُ الُمفطر في سبيل الله كالصائم في غيره، هكذا قال أبو هريـرة فيما يرويه عنه ابن المبارك رحمه الله في كتابه "الجهاد" ١/٩٥، وفي الحديث: (الغزو غزوان: فأما مـن ابتَغَى وجهَ الله وأطاع الإمام، وأَنْفَق الكريمة، وياسَرَ الشريك، واجتَنب الفساد، فإن نومَه وتَنَبُّهَه أجـرٌ كله...) أبو داود والنسائي وهو صحيح، فهل نومك وتَنَبُّهك هنا في بلدك أَجْرٌ كله؟!! وهل تستطيع أن تقولها عن طالبِ الاقتصاد أو الُمزَارع أو...، ما لكم؟ كيف تفكرون؟

و(من أنفق نفقةً في سبيل الله كُتِبَت بسبعمئة ضعف) الحاكم وإسناده صـحيح، فهل نفقتك على دراستك مضاعفة بضعفٍ واحد فقط؟

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾ التوبة١٢٠-١٢١، فهل تَجد عُشْرَ هذا في دراستك أو تجارتك أو زراعتـك؟ فهـل دارس ومدرِّس الرياضيات والفلسفة والفنون الجميلة كذلك؟ ولاحظ التنكير في "نـيلاً" أي: أيُّ نيـلٍ صغيراً أو كبيراً، فالتنكير هنا يُفيد التقليل، ولو كان مثل هذا لأي رجلٍ يَعمل لله مخلصاً له لَمَـا كـان لتخصيص ذكره –في الآية– للمجاهدين معنًى.

– انظر هذه العُروض المُغرية:

ـــ (لا يُكْلَم أحد في سبيل الله –واللهُ أعلم بمن يُكْلَم في سبيله– إلا جاء يوم القيامة وجُرْحُه يَثْعَب، اللون لون الدم والريح ريح المسك) متفق عليه، فهل تظن أنك إن جُرِحْتَ وأنت تجاهد (!!) في بلدك بـين

كتبك أو متجرك أو مدرستك أو جامعتك فهل تظن أنك تبلغ مَبلغَ المقاتل في أرض المعركة!!؟ وهذا في فرض كفاية؛ فكيف بفرض العين؟!

ــ و(من صام يوماً في سبيل الله باعَد الله وجهه عن النار سبعين خَريفاً) متفق عليه، وهذا لا يكون إلا في ساحة الجهاد فَحَسْبُ، فهل تَجرؤ أن تقول إن صيامَك هنا بنفس الأجر أو أعلى لأنــك تــرى أنّ تَخَلُّفك عن ساحات القتال أنفعُ للمسلمين وأرضى لرب العالمين؟

ــ (...مَن رمى بسهم في سبيل الله فهو عَدْلُ مُحَرَّر...) أحمد والترمذي وإسناده صحيح؛ فمــا أعظــمَ أن تكون طَلْقةُ المُسدس كتحرير رَقَبة، و(مَن أعتق رقبة مسلمة أعتق الله له بكل عضو منها عضواً منه مــن النار...) متفق عليه.

ــ (...من رمى بسهم في سبيل الله فَبَلَغَ العدو أو لم يَبْلُغ كان له كَعِتْقِ رقبة، ومن أعتق رقبة مؤمنة كانت فداءه من النار عُضواً بعُضو) النسائي بإسناد صحيح، فمجرد الرمي له أجر ولو لم تُحَقِّق الغايــة، فهــل أجوبتك في الامتحان فيها أجر مضمون سواءٌ أَصبْتَ أو أخْطأْتَ؟

ــ (إن الله يُدْخِل بالسهم الواحد ثلاثةَ نَفَر الجنة: صانعَه -يَحْتَسِبُ في صَنعَتِه الخير-، والراميَ به، ومُنْبلَه...) أبو داود وهو صحيح، فهل تَجد مثلَ ذلك في المدارس والجامعات أوشَتّى المِهَن؟! مثلاً: كاتب أسئلة الامتحان وموزعها والمجيب عنها؟ سبحان الله!

ــ (من احتَبَسَ فرساً في سبيل الله إيماناً بالله وتصديقاً بوعده فإن شِبَعه وريَّه ورَوْثَه وبَوله في ميزانه يوم القيامة) البخاري، فهل تَرى أن وَقود سيارتك وزَيْتَها وبَطاريتها في ميزانك وأنت هنا في بلدك كتلــك التي احْتُبِسَت للقتال؟ ما لكم كيف تحكمون؟ أم لكم أيمان على الله بالغةٌ إلى يوم القيامة إنكم مُستَثْنَون؟

- ولما سُئل ﷺ عن أجر الرباط قال: (من رابط ليلة حارساً مِن وراء المسلمين كان له أجر مَــن خلْفَه ممن صام وصلى) رجاله ثقات، وبإسناد جيد عند الطبراني.

ــ و (رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه...) مسلم، بل أفضلُ من هذا:

ــ (مَن رابط ليلة في سبيل الله كانت له كألف ليلة صيامها وقيامها) صححه الحاكم ووافقــه الــذهبي، بــل أفضل من هذا:

ــ (موقف ساعةٍ في سبيل الله خيرٌ من قيام ليلة القدر عند الحجَر الأسود) ابن حِبّان والحديث حســن، وليلة القدر خير من ألف شهر، فهل تزعم أن دراستك للامتحان في ليلة القدر خيرٌ من التعبُّد في ليلة القدر؟

ثم في تلك الليلة: أين تَذهب؟ هل تَقْبَع على مكتب دراستك أو باب متجرك أو آلة مصــنعك أم تذهب إلى مسجدٍ ما لِتُحْيِيَ! الليلة؟!

لكنّ رباطَ ليلة -ولا ريب- خيرٌ من ليلة القَدر وأنت عند الحَجر الأسود، فهل تَجرؤ أن تقـــول هذا عن رباطك على مقعد الدراسة؟!

ـــ (ألا أُنَبِّئُكم ليلةً أفضلَ من ليلة القدر؟ حارسٌ حَرَس في أرضِ خوفٍ لعله ألاَّ يرجعَ إلى أهلـــه)، الحاكم وسنن البيهقي والحديث على شرط البخاري.

ـــ قال الحافظ المنذري في "الترغيب": (الظاهر أن المرابط كذلك يضاعَف عملـــه الصـــالح كمـــا يُضاعَف عمل المجاهد).

دراسة علمية موجزة حول التفاضل بين الجهاد وسواه؛ كالعلم والذكر...

ـــ أرى أن صرفَ الوقت للمفاضلة -داخِلِين في مماحكات- لا طائل تحته الآن، لأن المفاضلة تكون بين متجانسين؛ أي إذا كان الجهاد فرض كفاية لا فرض عين، فيَتَّجه عندها المفاضلة بينه وبين العلم الكفائي، لكنها لا تكون أبداً بين فرض عينٍ وبين مندوب أو مستحبٍّ، فعلى التنزُّل لو أن عبادةً ما فاقت الجهاد كالذكر مثلاً فهذا في غير جهاد الدّفْع الواجب على الأعيان، فالجهاد إذا تحوَّل إلى فرض عينٍ قُدِّم باتفاق العلماء -في حال التعارض- على الصيام والزكاة والحج، بل يُقَدَّم عند الجمهور على الصلاة أيضاً إلا عند الحنابلة، فما كان لنفلٍ أيٍّ نفلٍ أن يَفوق فرضاً أيَّ فرضٍ، فكيف إذا صار فرضَ عين باتفاق العلماء ومما تركه كبيرة؟ وما يَذْكرونه من الاستثناءات الثلاثة لتفضيل النفل على الفرض راجع له حاشية ابن عابدين لتجلية الأمر فيها، وتوضيح الالتباس.

وحتى الذين فضَّلوا طلب العلم الكفائي على الجهاد الكفائي -وهم قِسم من العلماء- صَرّحوا بوضوحٍ فقال الزركشي في "المنثور": (تعارضُ الواجبين يُقَدَّم آكدهما فَيُقَدَّم فرض العين على فرض الكفاية...... وفي فتاوى النووي أن الجهاد ما دام فرض كفاية فالاشتغال بالعلم أفضل منه، فإن صار الجهاد فرض عين فهو أفضل من العلم؛ سواء كان العلم فرض عين أو كفاية).

وإن يسَّر مولانا في الإصدار القادم فسأعرض دراسة مستفيضة حديثاً حديثاً إن شاء الله، ونوجز هنا فنقول:

ـــ ورَدَتْ أحاديثُ ظاهرها تفضيل شيء ما على الجهاد؛ منها ما لا يصح مثل (الغدو والرَّواح إلى المسجد من الجهاد في سبيل الله)، وهو من طريق القاسم عن أبي أمامة، ومنها ما هو صحيحٌ لكنه أُسيءَ فهمه.

ـــ فمحالٌ أن تتناقض آيات الله أو أحاديث رسوله الثابتة الصالحة للاستدلال، فإن بدا في ظاهرها التعارض فعلينا الجمع بينها، فإن استحال الجَمْع لجأنا إلى الترجيح بما هو معروف في كتب أصول الفقه، أما أهل الأهواء فيأخذون طرفاً من الأدلة ويتجاهلون طرفاً آخَر كي يُسَوِّغوا ما انتحلوه أو ما أَفتَوا به.

ـــ فالأحاديث التي فَضَّلت سوى الجهاد؛ كالذكر، والنفقة على العِيال، وانتظار الصلاة بعد الصلاة لم تبلغ في عددها وصراحة دلالتها ما مضى آنفاً من نصوص.

ـــ ومع ورود هذه الأحاديث فإن الصحابة ومن تبعهم بإحسان لم يُؤثَر عن أحدهم أنه فهم من تلك الأحاديث القليلة أنها دليلٌ على تفضيل شيءٍ على الجهاد، بل سيرتُهم جميعاً كباراً وصغاراً ونساءً

أنهم كانوا يَرون شهادة المعركة أعلى الأمنيات، و لم نَسمع أن أحداً منهم اختلى في زاويةِ مسجد واعتزل الناس محتجاً بواحدٍ من تلك الأحاديث القليلة.

وأوضحُ من هذا أن الصحابة الذين وردت عنهم الروايات الي ظاهرها تفضيل شيء على الجهاد هم أنفسهم كانوا من كبار المجاهدين، كأبي هريرة، وابن عباس، وأبي الدرداء، فلم نسمعهم يَستدلون بما رووه هم من أحاديث على ترك الجهاد؛ فأبو هريرة هو هو (كان في الرباط .... فانصرف الناس ووقف أبو هريرة، فمرَّ به إنسان فقال: ما يُوْقِفك يا أبا هريرة؟! فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: موقف ساعة في سبيل الله خير من قيام ليلة القَدْر عند الحجر الأسود) رواه ابن حبان في صحيحه والبيهقي وغيرهما، وابن عباس كان مع عليٍّ في حربٍ يَرى كثير من المعاصرين أن الخوض بمثلها في زماننا فتنة مُبيرة، وقدوتهم في كلٍّ هذا الرسول نفسه الذي ودَّ لو يُقْتَل مراراً ثم يُحْيا.

وحتى لو كانت أحاديث تفضيل شيء على الجهاد صريحةَ الدلالة جداً من حيث اللغةُ العربية فربما لا يكفي هذا حتى نرى كيف فهمها السلف الصالح؟ خذ قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ النساء٩٣، فمع صراحتها التامة فإن أهل السنة والجماعة لا يَرون خلود القاتل في العذاب خلوداً أبدياً لا خروج منه، بل يَعدّون من يَعتقد هذا –بعد انعقاد الإجماع– مبتدعاً ضالاً، وراجع لذلك التفاسير كابن كثير، والقرطبي، والسبب أنهم جمعوا النصوص مع بعضها و لم يَضربوها ببعضها، و لم يأخذوا طرفاً واحداً منها.

ـــ والعلماء من بعد السلف الصالح أقلُّ ما يقال: إن أكثريتهم الساحقة فضَّلت الجهاد وهو فرض كفاية على جميع المندوبات، لكن تفضيلَ الذكر أو سواه من المندوبات على الجهاد لم يَعتنقه اليوم إلا فئةٌ رَكَنَت إلى حلقاتها أو انكمشت في مساجدها حتى إذا ما انتُقِدوا لتركهم واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وشعيرة الجهاد الذي تحول اليوم إلى فرض عين رأيتَهم أخرجوا لك تلك الأحاديث التي لم يَقل أحد البتة من السالفين: إنها حجةٌ لتجويز قعودنا عن الجهاد العيني.

قال ابن رجب في جامع العلوم والحِكم ١/٢٧٤: (وأما ذروة سنامه وهو أعلى ما فيه وأرفعُه فهو الجهاد، وهذا يدل على أنه أفضل الأعمال بعد الفرائض كما هو قول الإمام أحمد وغيره من العلماء).

ولما ذُكر الغزو أمام الإمام أحمدَ ابنِ حنبلٍ بكى وقال: (ما مِن أعمال البر شيءٌ أفضلُ منه)، وقال: (ليس يَعدِلُ لقاءَ العدو شيءٌ، ومباشرةُ القتال بنفسه أفضل الأعمال، والذين يقاتلون العدو هم الذين يَدْفعون عن الإسلام وحريمِه؛ فأيُّ عملٍ أفضل منه؟!) كما في المغني لابن قدامة ٨/٣٤٨ـ٣٤٩.

وقال ابن تيمية في رسائله وفتاويه ٤١٨/٢٨: (اتفق العلماء فيما أعلم على أنه ليس في التطوعات أفضل من الجهاد؛ فهو أفضل من الحج وأفضل من الصوم التطوع، وأفضل من الصلاة التطوع، والمرابطة فى سبيل الله أفضل من المجاورة بمكة والمدينة وبيت المقدس)، فكيف إذا كان الجهاد فرضَ عين؟!!

وقال أيضاً: (والأمر بالجهاد وذكرُ فضائله فى الكتاب والسنة أكثر من أن يُحْصَر؛ ولهذا كان أفضلَ ما تَطَوَّع به الإنسان، وكان باتفاق العلماء أفضل من الحج والعمرة ومن الصلاة التطوع والصوم التطوع كما دل عليه الكتاب والسنة.... وهذا بابٌ واسعٌ لم يَرِد فى ثواب الأعمال وفضلِها مثلُ ما وَرَدَ فيه، وهو ظاهرٌ عند الاعتبار؛ فإنَّ نَفْع الجهاد عامٌّ لفاعله ولغيره فى الدين والدنيا، ومشتمل على جميع أنواع العبادات الباطنة والظاهرة؛ فإنه مشتمل من محبة الله تعالى، والإخلاص له، والتوكُّل عليه، وتسليم النفس والمال له، والصبر والزهد وذكر الله ... والقائمُ به ... بين إحدى الحسنيين دائماً إما النصر والظفَر وإما الشهادة والجنة، فإن الخَلْق لابد لهم من محيا وممات؛ ففيه استعمال محياهم ومماتهم في غاية سعادتهم في الدنيا والآخرة، وفي تركه ذهاب السعادتين أو نقصهما؛ فإنّ من الناس مَن يَرغب فى الأعمال الشديدة فى الدين أو الدنيا مع قلة منفعتها، فالجهاد أنفع فيهما من كل عمل شديد، وقد يرغب فى ترفيه نفسه حتى يصادفه الموت فمَوت الشهيد أيسر من كل مِيتة وهي أفضل الميتات..إلخ).

وقال الحافظ ابن حجر في "الفتح" أولَ كتاب الجهاد: (قال ابن دَقيق العِيد: القياس يقتضي أن يكون الجهاد أفضلَ الأعمال التي هي وسائل؛ لأن الجهاد وسيلةٌ إلى إعلان الدين ونشره وإخماد الكفر ودحضه، ففضيلته بحسَب فضيلة ذلك).

ـــ ولم نسمع أن أحداً من المنافقين الذين سعَوا ببالغ خبثهم والْتوائيَّتهم أن يَتَعَلَّلوا ويَعْتذروا عن الخروج عندما تَحَوَّل الجهاد إلى فرض عين باستنفار الإمام الشرعي لم نَسمع أن أحداً منهم قال: أنا في المسجد في رباطٍ يَفوق رباطكم أيها المجاهدون، لم نسمع أن أحدهم تحجج بأنه سيَجلس يذكر الله فهو خيرٌ من الخروج... فحتى المنافقون لم يَجرؤوا أن يتحججوا بهذا...! ورأوا أن الاعتذار بالانشغال بالأهل والمال أهون!

ـــ والأصلُ أن نُفاضل بين عبادتين في حال تعارضهما أو تَعَذُّر الجمع بينهما، فنُفاضِل بينهما كي نفوز بأعلاهما أجراً، فهل الذكر يتعارض مع الجهاد؟ بل الذكر يكون قبل ومع وبعد الجهاد، بل الله أمرنا بالإكثار منه عند القتال؛ لأنه من أسباب الفلاح فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةً فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ الأنفال٤٥ ، فالمجاهد الذاكر أفضل باتفاق جميع المسلمين من المنفرد بأحدهما، كما أن المتصدق الذاكر أعلى من الذاكر كما في قصة "أهل الدثور".

وبما أن كل شيء يُضاعَف أجره في ساحات الجهاد، فيامن تَدّعي أنك تريد الأجر الزائد عليك بالذكر في ساحات الجهاد، الذكرِ وأنت مرابطٌ على الثغور، مع التنويه إلى أن المفاضلة اليوم مما لا طائل تحته لأن الجهاد تحول إلى فرض على جميع الأعيان فلا معنى للإطالة في مثل هذا اليوم.

ـــ والأحاديث التي فضَّلت الجهاد أكثرها بصيغة عموم، ومنها ما كان في خطبٍ يَحضرها ناسٌ ربما لا يَرجعون، فالكلام في مثل هذه الخطب على الملأ الأصل أن يُطْرَح فيه ما هو من ثوابت الإسلام، بينما الأحاديث القليلة الأخرى إما أنها لا تصح أو أنها قيلت لأشخاصٍ عَجزوا عن الجهاد فقيلت لهم لتعويضهم (كأم هانئ وكبر سنِّها، وقصة ذهب أهل الدثور)، أو في ظروفٍ زمانية أو مكانية تَحُول بينهم وبين الجهاد، فهي فتوى لا حكم، ألا ترى أن تلاوة القرآن في الجملة أفضل من الأذكار المعروفة، لكن الذكر دبر الصلوات أفضل من تلاوة القرآن.

قال السيوطي في "الديباج": (يُجمَع بأن اختلاف الجواب جرى على حسب اختلاف الأحوال والأشخاص وحاجة السائل إليه؛ فإنه قد يقال: خير الأشياء كذا ولا يراد أنه خير جميع الأشياء من جميع الوجوه وفي جميع الأحوال، بل في حالٍ دون حالٍ،... أو يُحْمَل على تقدير مِن، كما يقال: فلان أفضل الناس، ويراد من أفضلهم، كما وَرد (خيركم خيركم لأهله)، ومعلوم أنه لا يَصير بذلك خير الناس مطلقاً، فعلى هذا يكون الإيمان أفضلها والباقيات متساوية في كونها من أفضل الأعمال أو الأحوال، ثم يُعْرَف فَضْل بعضها على بعض بدلائلَ تَدُلُّ عليها).

وقال المناوي في شرح الجامع عند حديث ظاهره تفضيل الذكر على الجهاد ٣ / ١١٥: (وهذا محمول على أن الذكر كان أفضلَ للمخاطَبين به، ولو خوطب به شجاع باسل حَلَّ به نفع الإسلام في القتال لقيل له: الجهاد، أو الغني الذي يَنتفع به الفقراء بمالِه قيل له: الصدقة، والقادر على الحج قيل له: الحج، أو مَن له أصلان قيل له: برُّهما، وبه يَحْصل التوفيق بين الأخبار)، وهذا لا يخفى أنه ما لم يتحوَّل الجهاد إلى فرض عين.

وقال المباركفوري عن أكثر الأحاديث إشكالاً (ألا أُنَبِّئُكم بخير أعمالكم وأزكاها...): (ومُحَصَّل ما أجاب به العلماء عن هذا الحديث وغيره مما اختلَفَتْ فيه الأجوبةُ بأنه أفضل الأعمال أن الجواب اختلَف لاختلاف أحوال السائلين بأنْ أَعْلَمَ كلَّ قوم بما يحتاجون إليه، أو بما لهم فيه رغبة أو بما هو لائق بهم، أو كان الاختلاف باختلاف الأوقات بأن يكون العمل في ذلك الوقت أفضل منه في غيره، فقد كان الجهاد في ابتداء الإسلام أفضلَ الأعمال لأنه الوسيلة إلى القيام بها والتمكن في أدائها، وقد تَضافرت النصوص على أن الصلاة أفضل من الصدقة، ومع ذلك ففي وقت مواساة المضطر تكون الصدقة أفضل، أو أنّ

"أفضل" ليست على بابها، بل المراد بها الفضل المطلق، أو المراد من أفضل الأعمال فحُذِفت من)، وهــذا الكلام إذا كان الجهاد فرضَ كفاية لا فرضَ عين، بل لو كان اليوم أيضاً فرضَ كفاية لكان مِــن أهــم المهمات لإعادة هَيْبة المسلمين التي راحت أَدْراج الرياح.

وهَبْها متعارضةً -أعني الأحاديث- تعارضاً جلياً لا مجال للتــرجيح بينــها حــتى أنهــا تســاوت عدداً..هبْ! فإن آياتِ الله جليّةٌ كشمسٍ رابعة النهار بلا تَعارضٍ البتّة ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾﴾ النساء٩٥،

﴿ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ... ﴾التوبة١٩، ولا ننسى أن هذه النصوص في الجهاد عندما يكون فرض الكفاية.

وحسبنا من الأحاديث الصريحة في الموازنة بين الجهاد والذكر حديثٌ واحدٌ صريح أخرجه أحمــد والحاكم، ورجاله ثقات والحديث حسن: (...وإن الله عز وجلَّ ليَدعو يوم القيامة الجنة فتأتي بزُخرفهــا وزينتها، فيقول: أين عبادي الذين قاتلوا في سبيلي وقُتلوا وأُوذوا وجاهدوا في سبيلي؟ ادخلــوا الجنــة فيدخلونها بغير حساب، وتأتي الملائكة فيسجدون فيقولون: ربنا نحن نسبح بحمدك الليل والنهار، ونُقَدِّس لك مَن هؤلاء الذين آثرهم علينا؟ فيقول الرب عز وجل: هؤلاء عبادي الذين قاتلوا في سبيلي وأوذوا في سبيلي، فتدخل عليهم الملائكة من كل باب: سلام عليكم بما صبرتم، فنعم عقبى الدار).

ـــ وإذا كان من المعلوم أن حديث (مَن صلى الغَداة في جماعة ثم قَعَدَ يَذْكُر الله حتى تَطْلُع الشمس، ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حَجّة وعمرة تامة تامة تامة) حسن غريب كما قال الترمذي، وحــديث: (مَــن خرج من بيته متطهراً إلى صلاة مكتوبة فأَجْره كأَجْر الحاجّ المُحْرِم) أبو داود، وهو حسن، كلاهما لا أَحَدَ يَفهم منهما أنه يَسقط بفعلهما الحجُّ الواجب، بل حتى حجّ التطوع لا تُلغى ندبيته ولو جلس الرجل لمــرات ومرات، ولو واظب على جميع الجماعات، فكذلك لو جاءت أحاديث صريحة في تفضيل الذكر علــى الجهاد فلا يَعني هذا أبداً أن الجهاد وهو فرض كفاية قد أُلْغي ولا حاجةَ له، فمِن باب أولى لا يَعــني أن الجهاد العيني قد سَقط عن الرجل فينا.

ـــ ومَن كان متعجِّلاً ليعرف أيهما أفضل الجهاد -حالة كونه فرض كفاية- أم غيره؟ فما عليــه إلا أن يَجْمع ما شاء من الأحاديث التي تُوحي بتفضيل شيء سوى الجهاد ثم يقارنها بالأحاديث والقصــص التي أسلفناها أعلاه رقم ٧، وعلى مِثْلِ الشمس فاشْهَد أو فَدَعْ.

(نماذج مهمة من سيرة الرسول والتابعين له بإحسان من الصحابة ومن بعدهم):

٨- لماذا القتال؟ لأن رسولنا وأجدادنا الصحابة جميعاً -وهم أفقهُ منا وأحْرَصُ على الخير منا- كانوا شديدي الحرص على القتال والشهادة،

بل كانوا إذا لم يَجدوا واسطةً تُوصلهم إلى أرض المعركة كانت أعينُهم تفيض من الدمع، فكان القتال مَقصوداً قبل جمع المال للجهاد، مع أن الجهاد وقتَهم كان فرضَ كفاية لا فرض عينٍ.

ـــ وقد ردَّد الصحابة:

(نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً) البخاري،

أمّا نحن فلسان حالنا ومقَالِنا:

نحن الذين بايعوا محمداً على الكلام ما بقينا أبداً،على القِصص والروايات، على دخول الكليات، على البحث عن بنتِ الحلال ما بَقينا أبداً.

ـــ وكان الدعاء بالرحمة أو المغفرة منه ﷺ يساوي الشهادة!! ففي صحيح مسلم (..جَعَل عَمِّي عامر يَرْتَجز بالقوم:

تالله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا ونحن عن فضلك ما استغنينا فَثَبِّتِ الأقدام إن لاقَيْنا وأَنْزِلَن سكينة علينا، فقال رسول الله ﷺ : مَن هذا؟ قال: أنا عامر! قال ﷺ: "غَفَر لك ربك" .. وما استغفر رسول الله ﷺ لإنسان يَخُصُّه إلا اسْتَشْهَد، .. فنادى عمر بن الخطاب وهو على جَمَلٍ له: يا نبي الله! لولا ما مَتّعْتَنا بعامر!!!) أي بشجاعته كما في فتح الباري، وفي رواية البخاري: (يرحمه الله) بدل (غفر لك ربك).

ـــ فهل كان أفراد الصحابة يتمنَّون شهادة معركة في سبيل الله أم شهادة الاقتصاد أو الجغرافية أو الطب؟ والشهادة لا تأتي إلا بالتّعَرُّض لها (يبتغي القتل أو الموت مظانَّه) مسلم، أم أنّ شهاداتِ الجامعة صارت أيضاً شهاداتٍ في سبيل الله بالمعنى الأخص.

ـــ انظر حَجَّة الوداع! كان فيها من الصحابة أكثر من/١٠٠,٠٠٠/ على أقل تقدير، بينما دُفِنَ في البقيع حوالي/٢٥٠/ صحابياً أو أقلُّ؛ فأين باقيهم؟! ستَراهم إلا أقلَّهم في أرض الجهاد؛ ودونَك كتُبَ التراجم، فالمدفونون في البقيع قِلَّةٌ بجانب عدد الصحابة الكلي، فتَرى خِيرةَ الصحابة خرجَت إلى رامَهُرْمُز

وخُوارزْم والهند والسند وشمال إفريقيّة ... بل يذكر بعض الكُتَّاب أن أكثر من ٨٠% من الصحابة مجاهدون.

ـــ ثم انظر في "تبوك" لما تحوَّل الجهاد إلى فرض عين باستنفار الإمام جميعَ الناس، انظر كم تخلَّف من المؤمنين؟! /٣/من أصل /٣٠٠٠٠/؛ فإن شئت الخُسران فكُن من حزب الثلاثة!

ـــ ثم قارن بينهم وبيننا: خرج ﷺ لمجرّد سماعه أن الروم يأتَمِرون به، وكانت العُسرة شديدة، وجاء البكّاؤون الذين لم يَجدوا ما يُحملون عليه فأين أنتم أيها البكاؤون اليوم؟! أين من يَهُبُّون للدفاع عن بلاد إسلامية تُهَدِّدها "أمريكة" أو تَضرْبها فعلاً، أو تُوعِدها "روسية"؟

*** ولِمَ لا؟! وقدوةُ هؤلاء كلِّهم رسولُ الله ﷺ:**

ـــ فقد غزا ﷺ بنفسه / ٢٥ أو ٢٧/ غزوةً مدةَ إقامته في المدينة /١٠ سنوات/، أي بمعدَّل /٣/ غزَوات في السنة، وعلى أقلِّ الأقوال /١٨/ مع عدِّ الغزوات المتتابعة واحدة كقريظة والأحزاب، هذا فضلاً عن البُعوث والسرايا التي لم يكن هو فيها، والتي روى ابن إسحاق أنها بلغت /٣٦/، وعددها ابن سعد في طبقاته قريب /٧٠/ سرية، وقال ابن حجر: "قرأت بخط مُغلطاي أن مجموع الغزوات والسرايا /١٠٠/، وهو كما قال والله أعلم". (فتح الباري: ١٥٤/٨). وانظر (٢٨١/٧).

أيْ كلَّ شهر تقريباً هناك بَعْثٌ لقتالٍ!! فهل صنَّفْتَ أنت كتاباً واحداً خلال /١٠/ سنوات؟

ثم هل موسوعةٌ إسلاميةٌ -أيَّ موسوعة- تعادل في قلوب الأعداء ربع غزوة؟! ولا تَنْسَ أنه ﷺ لَم يَحُجَّ إلا مرّة في حينِ كانت حياته كلُّها جهاداً -بالمعنى القتالي-

ـــ وكانت كل هذه الغزوات بعد أن جاوز الخمسين، وشهد تَبوك وقد جاوز الستين؛ فيا حسرةً عليك يا بْنَ الثلاثين والعشرين!

ـــ وهو مَن قال: (لأَنْ أُقتل في سبيل الله أَحَبُّ إليَّ من أن يكون لي أهل الوَبَر والمَدَر) سنده حسن، فهل مترلةُ من يموت حَتْفَ أنفه سعياً لتكون له الصدارةُ في كلِّيته كمن يموت قتلاً في سبيل الله!

ـــ وهو مَن قال: (لوددْتُ أني أغزو في سبيل الله فأُقتلَ ثم أغزو فأُقتلَ ثم أغزو فأُقتلَ...) متفق عليه، وتمنى أنه استُشهد مع أصحابه في أُحُد: (والله لَوَدِدْتُ أني غُوْدِرْتُ مع أصحابي بحِضْنِ الجبل) الحاكم صححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي والحديث حسن، وأما أنت تَهرب من القتل بحُجَّة الإعداد للقتال والمعركة الكبرى؟! وليتَك حقاً تُعِدُّ للقتال! إنما تُعِدُّ للزواج!

وهل ضياعُ الوحي أخطرُ أم نفعُك الموهوم للمسلمين؟ لكن الرسول ﷺ مع ذلك تمنى أن يُقتَل.

ـــ بل ظلَّ الجهاد في ذروة تفكيره حتى وهو في سكَرات الموت، يُفيقُ فيقول: (أَنفِذوا بَعْثَ أسامة) ابن سعد وغيره، فالجهاد أصل وليس حالة طارئة، وكان ممن انتُدب مع أسامة كبار المهاجرين والأنصار؛ منهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وسعد وسعيد وقتادة بن النعمان وسلمة بن أسلم...إلخ كما في "فتح الباري".

*** وهو الذي بشَّرنا:**

ـــ (الغزو ماض منذ بَعثني الله إلى أن يقاتِل آخرُ أمتي الدجال، لا يُبْطِله جَوْرُ جائر ولا عَدلُ عادل) في سنده مجهول لكن معناه متفق عليه بين الفقهاء، أم أنك تُفَسِّر الغزو بغزو الصحف والمجلات لمعرفة ما يَحِيكه أعداءُ الإسلام لنا!

ـــ (لن يَبْرَح هذا الدين قائماً يقاتلُ عليه عُصْبَةٌ من المسلمين حتى تقوم الساعة) مسلم، وفي رواية: (لا تزال طائفة من أمتي ... يُقاتلون ...)، ولم يَقُل: يُحاورعليه أو يفاوض عليه أو يتاجر عليه أو...

والأمثلة من حياة الصحابة فوق أن تُحْصَر -صدّقوني-:

ـــ هذا "عُبادة بن الصامت" رضي الله عنه يقول لمقوقس مصر عظيم القبط: (...وما منا رجل إلا وهو يدعو ربه صباحاً ومساءً أن يرزقه الشهادة، وألاَّ يَرُدَّه إلى بلده ولا إلى أرضه ولا إلى أهله وولده، وليس لأحدٍ منا هَمٌّ فيما خَلْفَه، وقد اسْتَودَعَ كلٌّ واحد منا ربَّه أهلَه وولده، وإنما همُّنا ما أمامَنا) اهـ (من كتاب :فتوح مصر وأخبارها).

ـــ بل قبل هذا اسْتَحَرَّ القتلُ بالقُرَّاء، وهم صفوة الصحابة لا رَعاعُهم -وليس فيهم رَعاع- وذلك في حروب الردة حتى خاف الصحابة من ضَياع القرآن! إذاً كانت الصفوة مقاتِلةً لا دارسةً.

ـــ أما قالت بعض الأنصار: (يا رسول الله! ... لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ المائدة٢٤، أمَا قال "سعد بن عُبادة": (والذي نفسي بيده! لو أَمَرْتنا أن تُخيضها البحار لأخَضْناها، ولو أَمَرْتنا أن نضرب أكبادها إلى بَرْك الغِماد لَفَعَلنا) كما في صحيح مسلم، وفي رواية ابن مَرْدُوَيه: (...فَصِلْ حبال مَن شئتَ، واقطع حبال من شئت، وعادِ من شئت، وسالِم من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت).

ـــ وقبل هذا أخذ "جعفرٌ" رضي الله عنه جناحين يطير بهما في الجنة، فهل لأنه درَس أو درّس الاقتصاد فنفع المسلمين؟!! (رأيتُ جعفر بن أبي طالب مَلَكاً يطير في الجنة ذا جناحين يطير بهما حيث شاء مَخْضُوبةً قوادِمُه بالدماء) الطبراني بإسنادين أحدهما حسن، وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال لابن جعفر: (هنيئاً لك يا عبد الله بن جعفر، أبوك يطير مع الملائكة في السماء)، وجعفر رضي الله عنه هو القائل:

يا حبذا الجنة واقترابها طيبة وبارد شـــرابها.

ـــ أوَلم يقاتل "عمار" رضي الله عنه في صِفِّين وهو في التسعين!؟ وقال: (مَن سَرَّه أن يَكْتَنِفَه الحــور العــين فليَتقدَّم بين الصَّفَّيْن مُحتسِباً) ابن أبي شيبة بسند صحيح، ومِن قبلُ في معركة "اليمامة" يُحدثنا ابــن عمـــر رضي الله عنه: (رأيتُ عماراً يوم اليَمامة على صخرةٍ وقد أشْرَف يَصيح: يا معشر المسلمين أَمِنَ الجنة تَفِــرُّون؟! أنـــا "عمار بن ياسر" هَلُمُّوا إليّ! وأنا أنظر إلى أذنه قد قُطِعت فهي تَذَبْذَبُ، وهو يقاتل أشدَّ القتال) أخرجه ابــن سعد.

ـــ أو لم يَتحَنَّطَ "ثابت بن قيس" رضي الله عنه يوم اليمامة وقال: (...ما هكذا كنا نفعل مع رســـول الله ﷺ، بئسما عوَّدتُم أقرانَكم) البخاري، فقاتَل حتى قُتل.

ـــ أوَلم يُحرِّض "أبو سفيان" رضي الله عنه على القتال وقد جاوز السبعين؟!

ـــ أوَلم يُفتح معظم أجزاء الاتحاد السوفيتي –سابقاً– زمن عمر رضي الله عنه وعثمان رضي الله عنه؟! وما الذي جـــاء بهم: سفرٌ قاصد أم رحلة مريحة؟!! لا والله إنه السمع والطاعة لرب العالمين ورسوله الأمين، إنه الشـــوق إلى جنات النعيم.

ـــ أمَا وقف "ابن عمر" رضي الله عنه /٧/ أشهر أمام رامَهُرْمُز والثلوج تغطي المكان؟ بل وقف "عبد الرحمن بن سَمُرة" رضي الله عنه سنتين في كابل والثلوج تغطي المنطقة معظم الشتاء، أوَلم يُقتل بكابل "أبو رفاعة العدوي" رضي الله عنه، وكان من فضلاء الصحابة (راجع الاستيعاب لابن عبد البرّ).

ـــ أوَلم يَحْرِص على فضل الجهاد "ابنُ أم مكتوم" رضي الله عنه رغم عَمَى عينيه ليَحْرس المتـــاع ويُمسِـــكَ اللواء...؟ (ذكره القرطبي في التفسير ١٥١/٨).

ـــ أوَلم يقاتل "اليمان" رضي الله عنه و"ثابت بن وَقْشٍ" رضي الله عنه في "أُحد" رغم كبر سنهما، ورغم أن رسول الله ﷺ عَذَرهما وجعلهما مع النساء في مؤخَّرة الجيش؟

ـــ وكم هَمَّ "عمر" رضي الله عنه بالخروج بنفسه فمنَعَتْه الصحابة لأجل الخلافة، والجهـــادُ وقْـــتَهم فـــرض كفاية.

ـــ أوَلم يُلوِّح "أبو عُبيدة" رضي الله عنه لهم بتقصيرهم لَمّا كتب إلى عمـــر رضي الله عنه في المدينـــة: ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ...... ﴾ إلى قوله: ﴿مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾؟ الحديد٢٠ ، فخرج عمـــر رضي الله عنه بكتابـــه فقرأه على المنبر فقال: (يا أهل المدينة! إنما يُعَرِّض بكم أبو عبيدةُ أو بي! ارغبوا في الجهاد) أخرجه ابن المبـــارك وإسناده قوي.

ــ أوَلم يطلب "خالد بن الوليد " رضي الله عنه القتلَ مظانَّه فما قُتِل!؟...... فعلام الخوف؟! أوَلم يُصرِّح لرؤوس الكفر مراراً بما معناه: (جئتكم بقوم يُحبون الموت كما تُحبون الحياة)؟ فعلام انقلبَت الآية اليوم يا مجاهدي الجامعات والمقالات والرحلات والمؤتمرات والزّفّات والتَّلبيسات وكلِّ السِّلْميات التي لا تُريق دماء الهامات؟! وليتكم تُفلحون بإرهاب شيء من الأعداء ولو الدجاجات!!

ــ هذا "عمرُو بن الجَموح" رضي الله عنه وهو شيخٌ أعرجُ لم يَخرج في بَدْر لِعَرَجه، فلما كانت "أُحُد" أَمَر بَنِيه أن يُخرجوه فَتَعَلَّلوا له، فقال لهم: (هيهات! منعتموني الجنة ببدر، وتمنعونيها بأُحُد!).

ــ وهذا "عُميرُ بن الحُمام" رضي الله عنه يأكل تَمراتٍ قبل المعركة ثم قال: (إنْ أنا حَيِيتُ حتى آكل تَمراتي هذه إنها لحياة طويلة! فرمى ما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قُتِل) مسلم.

ــ أمَا قرأ "أبو طلحة" رضي الله عنه: ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا ﴾ التوبة٤١، فقال: أي بَنِيّ! جَهِّزوني، فقال بنوه: يَرحمُك الله لقد غَزَوْتَ مع النبي ﷺ حتى مات، ومع أبي بكر حتى مات، ومع عمر حتى مات ونحن نغزو عنك، قال: لا! جهزوني، فغزا في البحر، فمات في البحر فلم يَجدوا له جزيرة يدفنونه فيها إلا بعد سبعة أيام فدفنوه فيها و لم يتغيّر رضي الله عنه. القرطبي(١٥٠/٨)

ــ وقيل "للمقداد بن الأسود" رضي الله عنه لما كان يَتَجَهَّز للغزو: (قد عَذَرَكَ الله! فقال: أَبَتْ علينا البُحوث) أي سورة التوبة لأنها بحثت عن المنافقين وكشفتهم. (ذكره القرطبي).

ــ انظر قيمة المجاهد عند سيد المجاهدين! فذات مرة سأل ﷺ صحابته بعد إحدى الغزَوات: (هل تَفْقِدُون مِن أَحَد؟) فقالوا: لا، فقال: (لكني أَفْقِد جُلَيْبيباً)! فَبَحَثوا عنه، وإذ به قد قُتل وحولَه /٧/ من المشركين، فقال ﷺ: (قَتل سبعة ثم قتلوه! هذا مني وأنا منه)، ووضعه على ساعديه...

انظر! لم يَقل: هذا مني وأنا منه لأنه صنَّف /٧/ كتب... أو عنده /٧/ دروس في الأسبوع بين المغرب والعشاء! أو قام بـ /٧/ رحلاتٍ ترفيهيَّةٍ إلى أعالي الجبال وقمم الوديان!

ــ وآخَرُ رَثُّ الهيئة سمع "أبا موسى الأشعريَّ" رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: (إنّ أبواب الجنة تحت ظلال السيوف)، فقال يا أبا موسى: أنت سمعتَ رسول الله ﷺ يقول هذا؟ قال: نعم، فرجع إلى أصحابه فسَلَّمَ عليهم ثم كَسر جَفْنَ سيفه فألقاه ثم مشى به إلى العدو فَضَرب به حتى قُتل (أخرجه مسلم).

ــ حتى العصاةُ ممن كان في زمن الفتوح ما كانوا يُطيقون اعتزال القتال، كانوا يَتَحَرَّقون لساحات الوغى؛ فلما كان يوم القادسية أُتِيَ سعد بن أبي وقّاصٍ بأبي مِحْجَن وهو سكرانُ من الخمر، فأَمَر به فَقُيِّد، وكان بسعدٍ جراحَةٌ فصَعِد فوق البيت لينظر ما يَصنعُ الناس، فراح أبو مِحْجَن يتمثل:

كفى حَزَناً أن تُرْتَدى الخيل بالقنا   وأُتركَ مشدوداً علَيَّ وثاقيا

إذا قمتُ عَنّاني الحديــد وغُلِّقَـــتْ مَصـــارع دوني قـــد تُصِــمُّ المُناديـــا

ثم طلبَ من إحدى نسوة سعدٍ أن تَفُكَّه وعاهدها أن يَرجع إلا إن قُتل، ثم وَثَب على فَرَسٍ لسعدٍ يقال لها: البلقاء، ثم أخذ الرمح وانطلق حتى أتى الناسَ، فجَعَل لا يَحْمل في ناحية إلا هزمهم الله، فجعل الناس يقولون: "هذا مَلَك"، وسعدٌ ينظر وهو يقول: "الضَّبْر ضَبْر البَلْقاء، والطَّفْر طَفْرُ أبي مِحجن، وأبو محجن في القيد!!!" فلما هُزم العدو رجع أبو محجن حتى وَضع رِجْله في القيد. (راجع الإصابة لابن حَجَـر، والمغـني لابن قدامة).

فلّله دَرُّ الصحابة ومَن تَبعهم بإحسان! ما أسرع استجابتَهم وحرصَهم على الجهاد! وواخَجْلَتاهُ منـــا! نحشُد مئاتِ المعاذير لدفع عشَرات الآيات والأحاديث ثم لنَتَسَاءلَ مُستنكرين: "لماذا الجهـــاد"؟! بينمـــا أعرابيٌّ يَسمع آية واحدة أو حديثاً واحداً من صحابي فيخرج لا يَلوي على شيء من متاع الدنيا.

ـــ وهذا "مكحولٌ" من علماء التابعين كان يستقبل القِبلة ثم يَحلف/١٠/ أيمان أن الغزو واجـــب عليكم أيها المسلمون ثم يقول: إن شئتم لزدتكم: أي من الأَيمان (أخرجه عبد الرزاق٥/١٧٤).

ـــ وهذا "سعيد بن المُسَيّب" رحمه الله من فقهاء المدينة السبعة، بل سيدهم، خرج إلى الغزو وقـــد ذهبَت إحدى عينيه، فقيل: إنك عليل! فقال: استنفَرَ الله الخفيف والثقيل، فإن لم يُمْكِنِّي الحربُ كَثَّرْتُ السَّوادَ وحَفِظْتُ المتاع (ذكره القرطبي٨/١٥١)، أمّا نحن فنَحُثّ على تكثير سَواد كليات الشريعة والأزهر! رغم أن البلاد طفَحَتْ بالخِرِّيجين الذين يَخافون في الله لَومة كلِّ لائم إلا ما رحم ربي، وقليلٌ ما هم.

ـــ بل إنك إن نظرتَ في تراجم السابقين لوجدْتَ أن أولَ ما يُذكَر في ترجمته: "شـــهد الغـــزَوات كلَّها"، أو: "لمْ يتخلّف عن غزوة"، أو:...، فكان شهودُ الغزَوات مَفْخَرَةً، والتخلفُ مَنقصةً، أما اليـــوم فإن ذكروا مآثر فعلى قائمتها: أمضى حياته بالبِرّ والإحسان وبنى المسجد الفلاني، أو نشر العلم وصنف في "اليوم الآخر"، و"أوصاف الملائكة"، و"الجنة والنار".

ـــ وهكذا استمرت سيرة الجهاد مع من تبعهم بإحسان كالعالم المجاهد "أسد بن الفرات" و "قُتيبـــة بن مسلم الباهلي"، و"محمد بن القاسم" فاتح السنْد، و"عُقبة بن نافع" إذ خاطب البحر: (والله لو أعلـــم أن وراءكَ أرضاً لَغَزَوتُها في سبيل الله)، ونظر إلى السماء وقال: (يا ربِّ لولا هذا البحـــر لَمَضَـــيْتُ في البلاد مجاهداً في سبيلك). (راجع الكامل لابن الأثير).

ـــ ثم استمرت الأمجاد مع من تبعهم بإحسان، فأين نحن من "صلاح الدين" و"قُطُز" و"محمد الفاتح" الذي هيَّأ نفسه لفتح روما عاصمة إيطالية بعد أن فتح القسطنطينية، والذي دقَّت كنائس أوربة ثلاثة أيام متواصلة فرحاً بنبأ موته؟

ـــ أين نحن من "عمر المختار" الذي يُحدِّث عنه "غراسياني" القائد الإيطالي بأنه خــاض /٢٦٣/ معركة خلال عشرين شهراً، وأن مجموع ما خاضه من معارك يبلغ /١٠٠٠/ معركة؟

ـــ أين نحن من "سليمان الحلبي" قاتلِ كليبر؟ أين نحن من "الشيخ محمد فرغلي" الذي كان الإنكليز في "الإسماعيلية" يُعلنون حالة الطوارئ إذا ما دخل المدينة، ودفعوا /٥٠٠٠/ جنيهٍ لمن يأتي برأسه حياً أو ميتاً، أين نحن من "يوسف طلعت" الذي يُلَقَّبُ "جزّار الإنكليز" لكثرة من قتل منهم في قناة الســويس، فأعدمهما الطاغية "جمال عبد الناصر" تقرباً إلى سادته الأمريكان.

ـــ أين نحن من مُنَفِّذي هجمات الثلاثاء؟ أين؟

ـــ وستبقى تلد أمة الإسلام فلم تكن رَحِمها يوماً عقيماً، وبهؤلاء جميعاً كانت اليرموك والقادسية وحطين ومَلاذكُرْد وعَينُ جالوت، وهجمات "نيويورك وواشنطن".

لــيس يعــني إن كــان جَــدُّك بــازَاً   أنــــك اليــــومَ بالــــوراثة بــــازُ!

٩- لماذا القتال؟ لِيُحِبَّنا ربنا تبارك وتعالى، ويَضحك إلينا:

ـــ (ثلاثة يحبهم الله، ويَضْحَك إليهم، ويستبشر بهم، الذي إذا انكشفت فئة قاتل وراءَها بنفســه لله عز وجل، فإما أن يُقتل وإما أنْ يَنصره الله ويكفيَه، فيقول انظروا إلى عبدي هذا صَــبَرَ لي بنفســه...)

الطبراني بإسناد جيد.

١٠- لماذا القتال؟ لأنه يَقينا الهمَّ والغمَّ الذي نعيشه:

ـــ (جاهِدوا في سبيل الله؛ فإنّ الجهاد في سبيل الله بابٌ من أبواب الجنة، يُنَجِّي الله بــه مــن الهــم والغَمّ) أحمد والحاكم والحديث صحيح.

١١- لماذا القتال؟ كيلا نكون كالنساء!

فقد سألَتِ عائشة رضي الله عنها: (هل على النساء من جهاد؟ قال ﷺ: عليهن جهاد لا قتال فيه، الحج والعمرة) ابن ماجه بإسناد صحيح؛ فالنساء يَستطعن الإعداد الاقتصادي والاجتماعي والإعلامي، وقلما يَقْوَيْن على الإعداد القتالي السلاحي، والتاريخ يشهد! أفلا تخجل إن صِرت كالنساء!

١٢- لماذا القتال؟ لتحصيل الكسب الطيب:

ـ (مِن خير مَعاش الناس لهم رجل مُمسكٌ عِنان فرسه في سبيل الله يَطير على مَتْنِه، كلما سمع هَيْعَةً أو فَزْعَةً طار عليه، يَبتغي القتل أو الموت مَظانّه، أو رجل في غُنَيْمة...) مسلم.

ـ ومر معنا في المقدمة حديث: (...ويُزيغ الله لهم قلوب أقوامٍ ويَرزقهم منهم حتى تقوم الساعة وحتى يأتي وعْدُ الله...).

ـ وهكذا نصّ الفقهاء والمحدثون؛ ففي التمهيد لابن عبد البر ٣/ ١٣٤: (... ما وقع في سهم الإنسان من الغنيمة مِلْك يمينه، وذلك والحمد لله من أطيب الكسب وهو مما أحله الله لهذه الأمة وحرّمه على من قبلها).

وفي ملتقى الأبحر للحلبي(حنفي) ٢/٢٢٩ (فصلٌ في الكسب: أفضلُه الجهاد ثم التجارة...).

ومثله في البحر الرائق ٥/ ٢٨٣: (قال أصحابنا: أفضل الكسب بعد الجهاد التجارة ثم الحراثة ثم الصناعة)، وفي المبسوط والحاشية رأيٌ آخر.

وفي حاشية البُجيرمي (شافعي) ٢/ ١٦٦: (وعبارة ع ش: أفضل الكسب الزراعة أي بعد الغنيمة ثم الصناعة ثم التجارة).

وفي فتح الباري ٦/ ٩٨: (وفي الحديث إشارة إلى فضل الرمح وإلى حل الغنائم لهذه الأمة وإلى أن رزق النبي ﷺ جُعل فيها لا في غيرها من المكاسب؛ ولهذا قال بعض العلماء: إنها أفضل المكاسب). لكنه في٤/ ٣٠٤ بعد أن فاضل بين المكاسب جَزَم قائلاً: (وفوقَ ذلك مِن عمل اليد ما يُكتسب من أموال الكفار بالجهاد، وهو مَكْسِبُ النبي ﷺ وأصحابه، وهو أشرف المكاسب لما فيه من إعلاء كلمة الله تعالى وخذلان كلمة أعدائه والنفع الأخروي).

ومن قبلُ قال النَّسائي في السنن الكبرى ٣/ ٤٨: (ولعله إنما استفتح الكلام في الفيء والخمس بذكر نفسه؛ لأنهما أشرف الكسب ولم ينسب الصدقة إلى نفسه لأنها أوساخُ الناس) يتكلم رحمه الله عن بداية سورة الأنفال وآية الزكاة (إنما الصدقات للفقراء...).

بل جزم القرطبي المفسر في سورة الأنفال ﴿ ۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم... ﴾الأنفال٤١ فقال: (واستَفتح عز وجل الكلام في الفيء والخمس بذكر نفسه لأنهما أشرف الكسب، و لم ينسب الصدقة إليه لأنها أوساخ الناس).

ـــ وهل قال نبيناﷺ: (جُعِل رزقي تحت ظل بكالوريتي وشهاداتي) أم (تحت ظِلِّ رمحي)؟!

أَجَلْ! الأصل أن يكون الجهاد لإعلاء كلمة الله ثم يأتي المَغنم تَبعاً: (مَن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله) متفق عليه.

١٣- لماذا القتال؟ لِنَضمن عون اللَّه تعالى في حياتنا وبعد مماتنا:

ـــ (ثلاثةٌ حقٌّ على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله...) الترمذي وابن حِبّان وسنده حسن، فما دُمْتَ ترى أن ما أنت فيه خير من الخروج للقتال فهل ترى أن من حقك على الله عونَك كما أنّ عليه عونَ المجاهد في سبيل الله...؟!

ـــ (وفْدُ الله ثلاثة: الغازي والحاج والمُعتمر، إن دَعَوه أجابهم وإن استغفروه غَفر لهم) النَّسائي وابن ماجه والحديث صحيح، وهذا في الغازي فكيف بمن يُقاتل ليُحَرّر الأرض إذ القتال الآن على كل مستطيع فرض؟!

ـــ أوصى الزبير رضي الله عنه ابنه عبد الله رضي الله عنه ليَقضيَ عنه دَينه قبل أن يَقضيَ نَحبَه يوم "الجَمَل" فقال: (يا بني! إن عَجَزْتَ عن شيء منه فاستعن بمولاي)، قال عبد الله رضي الله عنه: (فوالله ما دَرَيْتُ ما أراد حتى قلتُ: يا أَبَتِ! مَن مولاك؟ قال: "الله"، فوالله ما وقعْتُ في كربة من دَينه إلا قلتُ: يا مولى الزبير اقض عنه دينه، فيقضيه ... وإنما كان دينُه أن الرجل كان يأتيه بالمال يستودعه إياه فيقول الزبير: لا، ولكنه سَلَفٌ؛ إني أخشى عليه الضَّيْعَة)، وكان دَينُ "الزبير" رضي الله عنه ألفي ألف ومئتي ألف، فكان ابنه رضي الله عنه يُنادي مولى الزبير كلما ضاق الأمر، فَيسَّر الله بيعَ بستانٍ له، ووفَّى دَينه وزاد مالٌ حتى أن نِسوته -وكُنّ أكثرَ من واحدة- أَخذَت كلٌّ واحدةٍ ألفَ ألفٍ ومئتي ألفٍ! والطريفُ حقاً أن أحد الصحابة سأل عن دَين الزبير بُعَيد وفاته فقال ابنه: مئةُ ألف -وكَتَم الرقم الحقيقي-، فاستكثَرها الصحابي وقال: (ما أظنها تُقضى) (راجع البخاري ٣١٢٩ لتفصيل القصة العَجيبة).

أفلا يكون هذا حافزاً لنا لنُقْدِم ولا نُبالي، فأولادك وأهلك وديعةٌ عند الله؟ فعلام الوَجَل؟

١٤- لماذا القتال؟ كي ننجحَ في الاختبار الإلهي!

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾ محمد٣١ ، فلو شاء الله لانتصر لرسوله ... ولكن لماذا لا..؟ يُجيبنا رب العالمين ﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾﴾ محمد٤ ؛ أي ليَظهر الصادق المطيع لأوامر رب العالمين من الـ...؟!

١٥ـ لماذا القتال؟ لننجوَ به من ألَم النَّزْع، ومن فتنة القبر،

ولتُظِلَّنا الملائكة، ولنضمن الحياة في قبورنا إلى قيام الساعة، ولننجو من صعقة الصور، ومن الفَزع الأكبر، ولنضمن نوراً يوم القيامة، ولننالَ الخصال السبع المُغْرِيات:

ـ (ما يَجد الشهيد من مَسّ القتل إلا كما يجد أحدكم مِن مَسِّ القَرْصة) الترمذي: حسن صحيح.

ـ وقد حدَّثنا رسولنا ﷺ عن المُرابط: (...وأَمِنَ من فتنة القبر) الترمذي وهو حسن، وروايةُ مسلم: (...وأَمِنَ الفتَّان).

ـ قالوا: (يا رسول الله ما بال المؤمنين يُفْتَنون في قبورهم إلا الشهيد؟ قال: كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنةً) النسائي وهو صحيح؛ أم أنك تَرى أن الفتنة أثناء شهر الفحص من هول أسئلة الدكاترة في كليتك كافيةٌ لِتَقِيَك فتنة القبر؟!

ـ سمع ﷺ باكيةً على أبيها لأنه قُتل في المعركة، قال ﷺ: (ولِمَ تبكي؟ فما زالت الملائكة تُظِلُّه بأجنحتها حتى رُفع) متفق عليه.

ـ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾ آل عمران١٦٩-١٧٠ ، فالأنبياء والشهداء أحياءُ بالنص الصريح، فهي ضمانة لا ارتياب فيها.

ـ وسأل النبي ﷺ جبريلَ عليه السلام عن آية: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ الزمر٦٨ ، (مَن الذين لم يَشأ الله أن يَصعقهم؟ قال: هم شهداء الله) الحاكم وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي؛ فهل تَضمن النجاة من الصعق أيها الدارس أوالعامل أوالتاجر أوالمُعِدّ للزواج؟!!

ـ (مَن رمى بسهم في سبيل الله كان له نوراً يوم القيامة) البزّار وهو حسن.

ـــ و(إنّ للشهيد عند ربه سبعَ خصال: أن يُغفرَ له في أول دُفعة من دمه، ويَرى مقعده من الجنـــة، ويُحَلَّى حِلية الإيمان، ويُجارَ من عذاب القبر، ويأمنَ من الفزع الأكبر، ويوضعَ على رأسه تاج الوقـــار، الياقوتةُ منه خيرٌ من الدنيا وما فيها، ويزوَّجَ ثِنتين وسبعين من الحور العين، ويُشَفّعَ في سبعين إنساناً مـــن أقاربه) أحمد بإسناد صحيح.

١٦- لماذا القتال؟ لِيَجريَ عملنا بعد موتنا؛ لأن عَمَل المرابط لا يُختم عليه:

ـــ (كل ميت يُختَم على عمله إلا المرابط في سبيل الله، فإنه يُنَمّى له عمله إلى يوم القيامة...) أبـــو داود والترمذي والحاكم والحديث صحيح.

ـــ (...وإن مات أُجري له عمله الذي كان يَعمله وأُجْري عليه رزقه...) مسلم ١٩١٣.

ـــ (مَن مات مرابطاً مات شهيداً، وَوُقِيَ فتَّان القبر وغُدِيَ عليه ورِيْحَ برزقه من الجنة، وجَرى لـــه عمله) ابن ماجه وهو صحيح.

١٧- لماذا القتال؟ لئلا نُحاسَب!

لأن خزنةَ الجنة تسألهم: (أوَقَدْ حوسِبتم؟ قالوا: وبأي شيء نُحاسَب وإنما كانت أسيافُنا على عواتقنا في سبيل الله؟ فيُفتح لهم بابُ الجنة فيَقِيْلُون فيها أربعين عاماً قبل أن يَدخلها الناس) الحاكم وأحمد وأبو عَوانة وهـــو صحيح، فهل عالم الاقتصاد ومذيع الأخبار والممثل في الأفلام الإسلامية كذلك؟

ـــ (إذا وَقَف العباد للحساب جاء قومٌ واضعي سيوفهم على رقابهم يقطر دماً، فازدَحموا على باب الجنة، فقيل: مَن هؤلاء؟ قيل: الشهداء كانوا أحياءً مرزوقين) قال المنذري: إسناد جيد، وضعّف بعضهم إسناده.

١٨- لماذا القتال؟ لِنَشفع لأقاربنا،

فَنُفيدَ والِدِينا وقتَ حاجتهم إلينا: (إنّ للشهيد عند ربه سبعَ خصال: أن يُغفرَ لـــه..... ويُشَـــفَّعَ في سبعين إنساناً من أقاربه) إسناده صحيح، كما مر معنا ضمن الخصال السبع المُغْرِيات في الرقم١٥.

١٩- لماذا القتال؟ للنجاة من النيران، وبلوغ أعلى وأحلى الجِنان في أسرع وقتٍ من الزمان وقبل غيرنا من الأنام، فالجهاد طريقٌ سريعةٌ جداً لذلك:

ــ أمَا قال ربنا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ﴾؟ التوبة١١١ فالجنة مقابلَ: يُقاتلون -يَقتُلون- يُقتَلون، وليست مقابل يَدرسون -يَسهرون- يتزوجون، ومَن قال: إن القتال لا يمكن إلا بترك الزواج؟

ــ (ما خالَط قلبُ امرئٍ رَهْجٌ "= خوف" في سبيل الله إلا حرّم الله عليه النار) رجاله ثقات وهو حسن، أم أنك ترى أن خوفك أيام الامتحان من صعوبة الأسئلة كفيلٌ بتحريم النار عليك؟

ــ (تَضَمّنَ الله لمن خرج في سبيله لا يُخرجه إلا جهاد في سبيلي وإيمان بي وتصديقٌ برسلي فهو عليّ ضامن أن أُدخله الجنة) مسلم.

ــ وفي رواية: (...فمن فعل ذلك ضَمِن الله له الجنة، إن قُتل أو مات غرَقاً أو حرقاً أو أَكَلَه السَّبع) الحديث صحيح.

ــ (...ألا تُحبون أن يغفر الله لكم فيدخلَكم الجنة؟ اُغزوا في سبيل الله ... مَن قاتل في سبيل الله فُوَاق ناقة وجَبَت له الجنة) الترمذي حسن، فهل تظن أن مَن درَس فُواق ناقة...؟! فكيف تقول إذاً: إنّ ما أنت عليه خير من القتال الآن؟!

ــ وذات مرة قال لأصحابه ﷺ: (قوموا فقاتلوا)، فرمى رجلٌ بسهم فقال ﷺ: (أَوْجَبَ هذا) أي الجنة، أخرجه أحمد بإسناد حسن.

ــ ولّما بايعه أحد الصحابة على كل شيء إلا الجهادَ والزكاة -لأنه خشي على نفسه أن يُوَلِّيَ من الزحف- قال له ﷺ: (يا بَشير! لا جهاد ولا صدقة!! فَبِمَ تدخل الجنة؟) حديث حسن.

ــ (إن أبوابَ الجنة تحت ظلال السيوف) مسلم، و لم يَقل: تحت ظلال المكتب الهندسي أو العيادة الطبية أو أيِّ شهادة دنيوية!

ــ ومَرّ بنا أن للشهيد سبعَ خصال: (...ويرى مَقعده من الجنة...، تاج الوقار،...، ويُزوَّجَ بـ/٧٢/ من الحور العين...) إسناده صحيح، أما الدارس هنا فيموت ويعيش -كما يقولون في العامية- حتى يتسنى له واحدة من حور الطين!!

ــ بل يدخل المجاهدون الجنة قبل سواهم على الإطلاق ولا يحاسَبون كما مر في الرقم ١٧.

ـــ (ما مِن نفس تموت لها عند الله خيرٌ يَسُرُّها أن ترجع إلى الدنيا وأنّ لها الدنيا وما فيها إلا الشهيد، يتمنى أن يرجع فيُقتلَ في الدنيا، لِما يرى من فضل الشهادة) مسلم، فلا دارس ولا مُتاجر ولا اقتصادي ولا زراعي ولا ذاكر ولا متعبِّدَ يتمنى العودة كما هو ظاهر الحديث، فكيف نجرؤ أن نقول: إن شيئاً سوى الجهاد القتالي خير منه؟!!

ـــ وحدّثَهم ﷺ عن شهداء مُؤْتة (فجعل يُحَدِّث الناس وعيناه تَذْرِفان) وفي رواية: (وما يَسُرُّهم أنهم عندنا) البخاري.

ـــ ولَمَّا خَشِيَتْ أُم حارثة ألا يكون ابنُها في الجنة قال ﷺ: (أَهَبِلْتِ! أجَنَةٌ واحدة هي؟ إنها جِنان كثيرة، وإنه لفي الفردوس الأعلى) مسلم.

ـــ وقال رسولنا ﷺ: (لَمّا أُصيب إخوانُكم جعل الله أرواحَهم في جوف طيرٍ خُضْرٍ، تَرِد أنهار الجنة، تأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب، معلَّقة في ظل العرش، فلما وجدوا طِيب مأكلهم ومشربهم ومَقِيلهم، قالوا: مَن يُبَلِّغ إخواننا عنا أنّا أحياءٌ في الجنة نُرزق؛ لئلا يَزْهَدوا في الجهاد ولا يَنْكُلوا عن الحرب؟ فقال الله: أنا أُبَلِّغهم عنكم؛ وأنزل قوله سبحانه: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾آل عمران١٦٩) أبو داود والحديث صحيح.

ـــ (...إن في الجنة مائةَ درجةٍ أعدها الله للمجاهدين في سبيله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض ...) البخاري، (أما إنها ليست بعَتَبة أمك، ما بين الدرجتين مئة عام) النَّسائي وهو صحيح.

فهل تَجْرؤ أن تقول: إن لأمثالك من دارسي الاقتصاد أو السياسة أو الإعلام ذاتَ المكانة؟ إذاً فكيف تقول: إن ما أنت فيه من إعداد موهوم أولى من القتال والقتل والشهادة؟!

ـــ (...أنا زعيمٌ لِمَنْ آمن بي وأسلم وجاهد في سبيل الله ببيت في رَبَضِ الجنة وببيت في وسَط الجنة، وبيت في أعلى غُرَف الجنة، فمن فَعَل ذلك لم يَدَع للخير مَطْلباً، ولا من الشر مَهْرباً، يموت حيث شاء أن يموت) النَّسائي وابن حِبّان وهو صحيح.

ـــ قال رسول الله ﷺ: (رأيتُ الليلة رجلين أَتَيَاني فَصَعِد إلى الشجرة فَأَدْخَلاني داراً هي أحسنُ وأفضل لم أرَ قطُّ أحسنَ منها، قالا لي: أمَّا هذه فدار الشهداء) البخاري.

ـــ (الشهداء على بارقِ نَهر ببابِ الجنة في قُبَّةٍ خضراء يَخرج عليهم رزقُهم من الجنة بُكْرَةً وعَشِيّاً) أحمد والحاكم وهو حسن.

ـــ (لَغَدْوَةٌ في سبيل الله، أو رَوْحة خير من الدنيا وما فيها، ...، ولو أن امرأةً من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولَملأتْه ريحاً، ولَنَصيفُها على رأسها خير من الدنيا وما فيها) متفق عليه.

- وبعدَ كل هذا أما زِلتَ ترى أن عملك -أياً كان- أفضل من الجهاد القتالي؟!

إن قلتَ: نعم أفضلُ منه! فهاتِ الدليلَ؟ وإن قلت: لا، فهل رأيتَ عاقلاً يترك الفاضل إلى المفضول؟! إنها حِيَلُ الشيطان تجعلُ النَّفْل فَرْضاً، وتزخرف الباطل فيجعلُ هذه الأعمالَ -على أَهَمِّيَّتِها- بمنزلة القِتال، وهيهات!

ولا تَنسَ أننا أمام قضيتين: الأولى: حكم الجهاد الآن، والثانية: العمل به، فلَأَنْ تَلقى اللهَ مُقِرّاً بما فَرَضَه عليك، لكنك تَعترف أنك قَصَّرْت في تطبيقه أهونُ من أن تلقاه مُنكراً لِفَرْضِيَّتِه مع عدم العمل به!! فلا تجمعْ شرَّين أحلاهما مُرٌّ!!!!

ملحوظة مهمة: حَذَارِ أن يَتَلاعبَ بك قليل علمٍ فيقول: "قد يوجد في المفضول ما لا يوجد في الفاضل! فقد يكون البقاء هنا أفضل لكن يكون للمجاهد كل هذه الإكرامات منه تعالى". ولاحظ أنه صَدَّر قولته بـ: قد، وهي تُفيد التقليل، ثم إنك لو تأملت فضائل الجهاد بمجموعها لجَزَمْتَ -إن كنت مُنْصِفاً- أن هذا المفضول -بنظره- قد حاز الفضل بحذافيره! ولكنْ قاتَل الله الهوى كم يُعْمي ويُصِمُّ!

(معالجة لشبهة: الإعداد الإيماني بالتصفية والتربية، والانشغال بالعلم وتعليمه أوْلى!)

٣- فإن **قالوا**: لكن لابد من الإعداد الإيماني والتربوي، وتعلُّم العلم الشرعي وتعليمه وإفشائه بين الناس قبل المعركة لاستفحال الجهل بين الناس، وضعف الوعي؛ لذا حرِّض الشباب الآن عليه، وعلى الدعوة والتصفية والتربية و البناء الشرعي والتصنيف وردّ شُبه الأعداء؛ إذ لا طاقة لنا اليوم بأمريكة وحلفائها، وما تذكره هنا ضربٌ من الخيال، فمن الحكمة التأني وعدم التعجل، وما هؤلاء المجاهدون إلا شِرْذِمة متهورون لا يَعُون ما يفعلون، طغى حماسهم على عقولهم! **فقل** لهم:

ـــ ما من معركة خاضها المسلمون إلا كانوا أقل عُدَّة وعَديداً إلا واحدةً! تلك التي هُزموا فيها ..."حُنَين"!!

ـــ وهل خرج رسولنا ﷺ إلى "تبوك" ضِدَّ أعتى دولةٍ يومَها بما يوازي قُوَّةَ عدوه أم بَذَلَ ما استطاع من المال ثم خرج جميعُهم نَفيراً عاماً؟

ـــ أمَا بشَّرَنا رسولنا ﷺ (لَيَبْلُغَنَّ هذا الأمر ما بَلَغَ الليلُ والنهارُ، ولا يَتْرُكُ الله بيتَ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ إلا أَدْخَله الله هذا الدين بعِزِّ عزيزٍ، أو بِذُلِّ ذليل، عِزّاً يُعِزُّ الله به الإسلام، و ذلاً يذل به الكفر)؟

فمَن "أمريكة" ومَن "روسية"؟! وأيهما أكبرُ هم أم الله؟! أيهما أعلى طائراتُهم أم الله؟! أمَا ذُلَّت "أمريكة" أمام "فيتنام" وفي "الصومال"؟! أمَا جُنَّتْ "روسية" أمام "الأفغان" وفي "الشيشان"؟!

ويومَ استعملْنا البترول كَسِلاحٍ أمَا مُرِّغ أنفهم في التراب؟ ولكننا -ويا للأسف- نبالغ في تضخيم قوة الأعداء لأننا أُصِبْنا بسَرَطان "الهزيمة النفسية".

ـــ ونحن (ما نقاتل بعُدَدٍ ولا قوة ولا كَثْرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرَمَنا الله به) كما رُوي عن أبي بكر رضي الله عنه.

ـــ أمَا قالوا زمن "أبي بكر" رضي الله عنه لا طاقة لنا بالمرتدين؟ ومع ذلك أَخرج الجيوشَ؛ لأن قِتالَهم فرضُ عين على الفور لا على التَّرَاخِي، و"أبو بكر" رضي الله عنه هو هو مَن كتب إلى "ابن العاص" رضي الله عنه قائد جيشه (سلامٌ عليك! أمّا بعد: قد جاء في كتابك تَذْكر ما جَمَعَت الروم من جُموع، وإن الله لم يَنْصُرْنا مع نَبِيِّهِ بكثرة عُدد ولا بكثرة جنود، وقد كنا نغزو مع رسول الله وما معَنا إلا فرَسان، وإن نحن إلا نتعاقبُ الإبل، وكنا يوم أُحُد مع رسول الله ﷺ وما معنا إلا فرس واحد، كان رسول الله يركبه، ولقد كان يُظْهِرُنا ويُعينُنا على من خالَفَنا. واعلمْ أنّ أطْوَع الناس لله أشدُّهم بُغضاً للمعاصي، فأطع الله وأْمُرْ

أصحابك بطاعته)، فَسُنَنُ الله لا تُحابي أحـداً ﴿ لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ... ﴾ النساء١٢٣.

ـــ نعم ستتكرر أراجيفُ المنافقين وحِيَلهم، سيقولون هازئين: هل ستسمح لنـا "أمريكـة" أنـتم مغرورون...؟ ويتكرر جواب حِزب الله: ﴿ إِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡۗ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٤٩﴾ ﴾ الأنفال٤٩، نعم قالوا: "غَرّ هؤلاء ديـنُهم" قالوها في غزوة الأحزاب، لما كان رسولنا ﷺ يَعِدُهم كنوزَ "كِسرى" و"قيصر" ويهزؤون قائلين: (كان محمد يَعِدُنا أن نَأكل كنوز كِسرى وقَيْصَر، وأَحَدُنا لا يَقْدِر على أن يَذْهَب إلى الغائط) ابن إسحاق وابن هشام وراجع مجمع الهيثمي.

فقل لهم: سَتَرَون يوم نقول: (الله أكبرُ! خَرِبَتْ خيبر؛ إنا إذا نزلنا بساحة قومٍ فساءَ صباحُ الْمُنْذَرين) متفق عليه.

ـــ أمَا وَجَّه الصديق حُشُودَ الُمرتدين بعد أن عادوا إلى جادّة الإسلام إلى "القادسية" و"اليرمـوك"؛ لأن القتال يُذِيْبُ هذه التُّرَّهات؟ أم أن "أبا بكر" ﷺ قليل الحِنكة ضعيف الخِبرة؟ فهل هؤلاء حقاً تصفَّوا وتربَّوا؟! أَجَلْ مَنَعَ مَن خشي غَدْره ثم أذن لهم عمر ﷺ في خلافته.

ـــ لا تقولوا: إن عموم المجتمع كان على هدًى بخلاف اليوم؛ لأن الفقهاء نَصُّوا على القتال مع كل بَرٍّ وفاجر، والجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة، والطائفة المنصورة على حقٍّ، فابحث عنها، بل رأينـا وسمعنـا قصصاً لشباب تحَرَّقوا للجهاد القتالي بعد هجمات الثلاثاء وبعد بطولات أبنائنا المسلمين في فلسطين.

ـــ لا تقولوا: نحن نتبع هَدْي رسول الله ﷺ إذ بقي في مكة /١٣/ عاماً يُرَبّـي وينَشِّـئ ثم شـرع بالقتال، لا تقولوها؛ لأننا سئمناها، فهل يقول عاقل: لا بأس اليوم أن يُترك الصـيام والحـج والزكـاة وحجاب المرأة وسائرُ الفرائض المدنية لأنها لم تُفرَض في مكة كما لم يُفرض القتال في مكة!!؟ أم يقـال إننا متعبَّدون بما مات عليه نبينا ﷺ لا بما ابتدأ به، وعلى التَّنَزُّل: أمَا صار لكم /١٣/ سنة تَنْفُخـون في بُوق "التصفية والتربية" أم أنكم حوَّلتم "بـشكم" إلى تـواتر ﴿ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾؟! المائدة٢٦ بل صار لنا من سقوط الأندلس نُربّي ونُصَفّي ولَمّا نهتدي! فمتى نقاتل؟! الله أعلم.

ـــ لا تقولوا: ﴿ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ﴾ البقرة٢٤٩ ؛ لأن فرضَكم عند العجز هـو الإعداد في بلدكم أو في بلدٍ آخَر؛ فلو كنا حقاً عاجزين عن قتال العدو وإخراجه فإنّ فرْضَـنا يصـبح الإعدادَ لإخراج العدو وقتاله؛ لأن "ما لا يَتِمُّ الواجبُ إلا به فهو واجبٌ"، فالماء إن عُدم لَـزِمَ التـيمم،

فحرِّضوا عليه؛ لأن العجز عن القتال لا يُبيح تركه إلى طاعـــات أخـــرى ﴿ ۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُـرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً ... ﴾التوبة٤٦ ؛ فَتَرْكُ الإعداد من صفات المنافقين وقد قال رسولنا ﷺ: (جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم) أبو داود بإسناد صحيح.

ـــ وهيهاتَ أن يَقِفَ الإيمان الأعْزَلُ لوحده أمام القَنابِلِ الذرِّية، ما لم تأخذوا بالأسباب.

نعم يقف الإيمان شامخاً أَبِيَّاً لا يَلِينُ إذا استَعَنْتُم بـــ ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم ... ﴾ الأنفـال٦٠ ، بل مِن الإيمان بالله أن تأتَمِر بأمره فتأخذَ بالأسباب المادية ثم تتوكلَ عليه وإلا كنت كاذباً في دعْواك.

ـــ هيهات هيهات أن تُحَرِّر التربيةُ لوحدها -على أهميتها- شِبراً من الأرض واحداً، فأقيموا دولـــة الإسلام في قلوبكم وخذوا بالأسباب المادية عندها تَقُومُ على أرضكم، وهذان شرطان لازمان لا يُغـــني أحدهما عن الآخـــر، و ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ الرعـد١١، وأولُ تَغْيِيْـــرٍ: تـــركُ المعاصي، وأول معصية للمسلمين اليوم تهاونوا بها تهاوناً عجيباً: فرضُ العين "الجهادُ القتالي والإعداد له".

ـــ وما قولُ من يقول: "التربية قبل الجهاد" إلا كقول القائل: "التربيةُ قبلَ الصلاة"، والجواب واحد: إن الصلاة نفسَها تربيةٌ، وكُلُّ أمرٍ من أمور الدين له أثره، فأثَرُ الصلاة غيرُ أثر الصيام، وأثَر الذِّكر غـــيرُ أثَر الزكاة وهكذا، والجهادُ من أعظم مسالك التربية، والتربية ليست مرحلةً زمنية تنتهي فيبدأُ عنـــدها القتال، ولا يوجد عاقل يقولها، والتاريخ يشهد؛ فهي قبل وبعد وأثناء القتال، وهي تبقى حتى الممات في مُمَارَسَتِكَ لسائرِ فُرُوض الأعيان.

ـــ وعلى التنـــزُّل فأين تربيتكم التي تنادون بها وأنتم تتكاثرون في الأموال وفي كـــل مـــرة بحجـــة جديدة؟ أين هي التربية؟ فلو قيل لأحدهم اليوم: يا هذا علام كل هذا الأثاث والدهان والجلاية والثريات والتحف النادرات؟ لقال: تألفاً لقلوب المدعوين؟!!

أوَليس الترف العدوَّ الأول للجهاد؟ أوليس الزهد الطابع العام زمن الصحابة ومَن تبعهم بإحسان؟

أوَلم يقل ربنا: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا... ؟ ﴾ الإسـراء١٦ ، فعلام إذاً تلك الوجَبات المذهلة في رمضان وفي غير رمضان؟ ويا ليتها للفقراء والمساكين، وإنما للمُتَرَبِّين المعتكفين على تصـــفية نفوسهم!!! فكيف بمن يَمُدُّها للمَطارنة والقسيسين؟

وكل هذا دون نكيرٍ من أولئك الذين لَبِسوا أو لُبِّسوا مُسوح أهل العلم حتى اتخذه الجُهَّال رأســاً! فأين التربية في مثل هذا؟ فلِمَ تقولون ما لا تفعلون؟

أين ما يُرَدِّدونه "اخشوشنوا؛ فإن النعم لا تدوم"؟ فهل يظنون أن التربية الإيمانية بالمسكنة وطأطأة الرؤوس تخشُّعاً والعزلة عن المجتمع؟ هيهات... فالناعمون المعتدلون في واد ودين الله في واد، بل نص بعض الفقهاء ممن لم تتهجَّن أصالته الإسلامية نصّ في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ التوبة٢٩ ، بأنه يجب أن يُعطِي الذميُّ الجزية وهو مُنْحَنٍ، وقال ابن حجر الهيتمي: لا يجوز أن يَمُدَّ المسلم يده ليقبِّلها الكافر حتى لا يَستأنس بها!!

فلا بد من التربية على الشدائد أيام الرّخاء حتى نتحمل في الشقاء، فالجهاد مبني على العزَّة، ولا بد منها لهزيمة العدو، والعزة مبنية على الجهد ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾ التوبة٤٢، وسنأتي إلى تفصيل الكلام عن العزلة وضوابطها.

فأين تربيتنا لأولادنا وتلاميذنا من تربية سلفنا لهم؟ هل نحن حقاً نربيهم على العزة والإباء والطعن بالسنان أم على تقليم الأظافر وتنظيف الأسنان؟

ألا ننهاهم اليوم عن رمي الأوساخ بدل أن نحثهم على رمي الأعداء؟

ألا ننهاهم اليوم عن القفز خشية أن تتكسر الأواني البلورية بدل أن ندفعهم للتواثب إلى الطعان؟

يقول المربي "أمين المصري": (إن الطفل في الأسرة المسلمة يجب أن ينام على أحاديث الجهاد ويَستيقظ عليها).

هل نحن نربي أولادنا على تحمل المسؤولية والتفاني لإعلاء كلمة الله كما كان سلفنا والربانيون يفعلون؟ ودونك سيرةَ السلف!

- كانوا يُعَلِّمون غزوات رسولهم ﷺ وسراياه كما يُعَلِّمون السورة من القرآن كما أُثِر عن زين العابدين علي بن الحسين رحمه الله (كما في الجامع لأخلاق الراوي للخطيب البغدادي٢/١٩٥)، ولِمَ لا؟ ودراسة السيرة الجهادية للنبي وصحبه زاد نافع للدعاة والمجاهدين، يَشْحَذ الهمم ويقوي العزائم .. خاصة إذا وقفوا على الجهود العظيمة والدماء التي بُذلت لإعزاز الدين ورفع راية رب العالمين.

- وعن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص قال: كان أبي يعلمنا المغازيَ ويَعُدُّها علينا، ويقول: يا بَنِيَّ هذه مآثر أبائكم فلا تُضيعوا ذكرها.(المصدر السابق).

- وهذا الزُّهْري رحمه الله وهو من أَجلَّة علماء التابعين يقول: في علم المغازي علم الآخرة والدنيا. (المصدر السابق).

- فمَنْ منا يربي أولاده كما ربَّت عفراء رضي الله عنها أولادها؟ هل تعلم أن أولادها السبعة شهدوا بدراً؟ وحسبك منهم "معاذٌ" و"معوذ" اللذين أرادا قتل فرعون هذه الأمة لإيذائه الرسول ﷺ،

وقصّ علينا البخاري خبرهما في قتل أبي جهل عن عبد الرحمن بن عوف (إني لفي الصف يوم بدر إذ التفتُّ فإذا عن يميني وعن يساري فَتَيان حديثا السن، فكأني لم آمَن بمكانهما، إذ قال لي أحدهما سراً مِن صاحبه: يا عمُّ أَرِني أبا جهل، فقلت: يا بن أخي! وما تَصنع به؟ قال عاهدتُ الله إنْ رأيْتُه أن أَقْتله أو أموت دونه، فقال لي الآخَر سراً مِن صاحبه مثلَه، قال: فما سَرَّني أني بين رجلين مكانَهما، فَأشَرْتُ لهما إليه فَشَدّا عليه مثل الصقرين حتى ضرباه وهما ابنا عفراء)، وقد عزما على قتله لإيذائه النبي ﷺ.

– مَن منّا رَبَّت أولادها كالخنساء؟

– مَن مِن أمهاتنا كأمِّ عمارة المجاهدة هي وزوجها وبنيها؟ (ستأتي بطولاتها عند الحديث عن الشجاعة والجبن).

– مَن منّا ربى أولاده على التَّحَرُّق والشوق إلى ساحات "الله أكبر"، هذا "عُمير بن أبي وقّاص" يتخفّى يوم بدرٍ حتى لا يراه الرسول ﷺ فيردَّه لصغره، فلما رآه رده، فجلس يبكي..ثم سُمِحَ له... (راجع مستدرك الحاكم).

– من منّا ربى أولاده على ذبح الدجاج فحسبُ؛ ها هو ابن الزبير وهو صغير في العاشرة أو الثانية عشرة يوم اليرموك كان يتولى حزَّ رؤوس الروم! فكان يُجْهِزُ على الجَرحى بعد أن ولّى الروم مُدْبِرين. (راجع البخاري).

– (لم يكن أصحاب رسول الله ﷺ مُنْحَرِفين ولا مُتَماوِتين -أي مُظْهِرين الزهد والتواضع-، وكانوا يَتناشدون الأشعار في مجالسهم ويَذْكُرون أمر جاهليتهم، فإذا أُريد أحدهم على شيءٍ من دينه دارت حماليق عينيه) ابن أبي شيبة بإسناد حسن، فمَن منا يُربِّي أولاده كما كانت عامة الصحابة صغارُهم وكبارُهم؟

إنها تربية المربي البارع، إنها التربية المحمدية على التفاني لإعلاء كلمة الله، وخدمة الدين، والمحاماة عن شرع رب العالمين؟ مَنْ؟ إننا نحمسهم لنيل الدرجة الأولى في صفوفهم، والعلامات الكاملة في امتحاناتهم، وليتنا نُتابعهم في صلواتهم فحسبُ كما نتابعهم في دراستهم.

ـــ ثم يأتي اليوم من يُصنف كتاباً يَسْرُد فيه أولويات المسلم اليوم؛ فتكلم عن العلم والعمل والدعوة وما شابه، لكنه وبجرأة عجيبة لم يَضع الإعداد للجهاد القتالي في سلم الأولويات.... فبئس ما صنع! فكيف يَضْرب صَفْحَاً عنه وآياتُ الله وأحاديث رسوله جعلتا الجهاد القتالي ذروة سنام الدين... أي أول درجة في سلم الأولويات؟ فما أبْشَع نتائج من لا يَهتدي بهدي من سبقه من الربانيين!

يا أمة الخير أفيقي واتبعي ... هدي الرسول القرشي الهاشمي
يا أمتي ربّي بَنيك أعزّةً ... مُتَرَفِّعِين عن الذباب الحائم
مترفعين عن الطغاة ودربهم ... ظُلِم الذباب إذ يقاس بظالم
ولْتُنْشِئِي جيلاً كريماً صادقاً ... لا يَخْضَعَنْ لغير رب العالم

لا يَخْضَعَنْ لغير شرع الخالق	أَنْعِم به أنعم بأعدل حاكم
لا يَخْفِضَنَّ الرأسَ عند منافق	كَلا و لا يخشى سياط المجرم
لا يقبَلُ الذُّلَّ ولا يرضى الدُّنا	كلا، ويُبْغِض كلَّ حُكْمٍ غاشم
ولْتَزْرَعِي فيهم ولاءً صادقاً	لله والإسلام لا للحاكم
إن تفعلي تَجِدي بنيك أعزةً	وفوارساً في الحرب مثلَ ضَراغم
يَسْعَون في الدنيا لِرفعة دينهم	تأبى الأُسُوْدُ سِوى العُلا في العالَم

ـ وما أشْنع استدلالهم بحديث لا يصح سنداً ولا معنًى: (رجعْنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر) يَعْنُونَ جهادَ النفس أو الذكرَ ونحوَه، ويكفي في بطلانه أن قائله ﷺ -الذي ينسبون الحديث إليه- ما قَعد عن القتال اَلْبَتَّةَ، بل غزا بنفسه مدةَ إقامته في المدينة بمُعَدَّل /٣/ غزوات كلَّ عام، فضلاً عن السرايا، وكذا تلاميذه الكرام هكذا تربَّوا على الجهاد المتواصل، يكفي أن هذا الحديث المُنكَر يَجعلونه من رواية "جابر"؛ فإن يكن ابنَ عبد الله -وهو المُتبادِر- فهو من فقهاء الصحابة، وقد غزا رحمه الله /١٩/ غزوة كما يروي مسلم في صحيحه، وشهد "العَقبة" مع السبعين، وشهد الخندق والحديبية، وكان مع خالد في حصار دمشق، فهو من المجاهدين العمليين بالمعنى القتالي، والظن به أنه لولا انكفاف بصره آخر عمره لَمَا ترك القتال، رحمه الله ورضي عنه، وإن كان ابنَ عمير الأنصاري فهو من المُقِلِّين رِوايةً، وأخرج له النسائي بإسنادٍ صحيح قصةً لطيفة تَمُتُّ إلى موضوعنا الجهاد؛ فـ (عن عطاء بن أبي رَباح قال: رأيت جابر بن عبد الله وجابر بن عُمير الأنصاريين يرميان فقال أحدهما لصاحبه: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: كل شيء ليس فيه ذكر الله فهو لهوٌ ولعبٌ إلا أربعٌ: ملاعبةَ الرجل امرأتَه، وتأديبَ الرجل فرسه، ومشيَه بين الغَرَضين، وتعليمَ الرجل السباحة)، وفي روايةٍ أن جابر بن عبد الله ملَّ فقال له الآخر: كَسِلتَ؟ فقال: نعم...إلخ، فيا ليتكم أنتم تَغْزُون ولو غزوة واحدة في حياتكم كلها!

ولو كان حقاً ما يستنبطونه من ذاك الحديث الضعيف لكان حرياً بالعاقل أن يَبدأ بالحِمْلِ الصغير ثم الأكبر فالأكبرِ فيترقّى من الأدنى إلى الأعلى؛ إذاً فابدؤوا بالجهاد الأصغر -بنظركم- ثم الأكبر!!! فتأمل.

لكننا نقول إن جهاد السيف وجهاد النفس لا يترتَّبان على بعضهما فَكُلٌّ منهما من الإسلام، ولا يُترَك هذا بحُجَّة الانشغال بذاك، كما لا يُترك تعلُّم فرض العين من العلوم بحجة تربية النفس.

بل من أعلى وأفضل أنواع جهاد النفس أن تتخلى عنها لمولاها فتقاتِل حتى تُقتل، والدليل في مسند أحمد (إن الشيطان قعد لابن آدم بطرقه فقعد له بطريق الإسلام.... ثم قعد له بطريق الجهاد، وهو جهاد

النفس والمال، فقال تقاتل فتُقتَل فتُنكح المرأة ويُقَسَّم المال، قال: فعصاه وجاهد...)، فالخروج للجهاد وتعريضها للقتل من أشد أنواع المجاهدة لتلك النفس التي تحب الحياة وتخشى الموت، وإن شئتَ فقل: إن زجَّ النفس في المعارك هو جهاد بها ولها.. فتأمل!

وما أعظمها من تربية أن تُدْخلها فُرْنَ بارقة السيوف!!! وليس مَن سمعَ كمَن رأى!

- ولو كنا نريد تعليم الناس أمور دينهم صغيرَها وكبيرها لَمَا هَدَأَ لنا بال، ولَمَا نام أحدنا مِلْءَ عينيه أو هَنِئَ بسهرة مسائية أو جَلسة صباحية يتدارس ما لا يزيد حُكْمُه عن المندوب مثلاً، ثم إن التعليم من مهَمَّةِ الطائفة التي تنفِر من كل فِرقة جهادية لتتفقه في الدين، فلو كان تَعْلِيْمُكَ فرضَ عين لما جاز لك تَبْذِيرُ الساعات الطوال لمعرفة كيفية تحويل الرداء في صلاة الاستسقاء مثلاً؛ لأن مِثل هذا من الثانويات أمام المهمات العِظام، فهل قال ربنا: فلولا نَفَر كُلُّ المسلمين ليتفقهوا في الدين أم قال ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ ... ﴾؟ التوبة١٢٢، إذاً الأصل أن يخرج الناس كلُّهم وتبقى الطائفة، كل المسلمين يخرجون للمهمة الرئيسة وهي الجهاد...-والجهاد وقتَها فرض كفاية- ... لكن تبقى طائفة تتفقه، أمَّا اليوم انقلبت الموازين! وصار مِن أهم معاذير المُرْجِفين "نحن نطلب العلم لننشره" دنيوياً كان أو أُخروياً؛ فقارِنْ هذا مع حديث (لا تزال طائفة من أمتي...... يُقاتلون حتى يُقاتل آخرهم...) أي قِلّةٌ هي المجاهدة! فكُن من هذه الطائفة! ولا تنسَ أن الصحابة لم يكونوا كلهم فقهاء، وذكروا أن الفقهاء المجتهدين منهم قريب الأربعين، بل كان فقهاء الصحابة مقاتلين، وحسبك منهم أعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جَبَل ﷺ، وسنأتي في جواب الشبهة القادمة على ذكر بعضهم.

ـــ وهل كان العلم الضروري عند السلف إلا بضع كلمات؟ وإن شئتَ فقل: لا يحتاج سنواتٍ فضلاً عن /١٣/ سنةً، ويُتَلقّى بجلَسات معدودات، بينما صار في عصرنا مجلداتٍ يَحار فيها الألمعي الأَريب، ولم يَفْرِضْ علينا ربُّنا كلَّ هذه المجلداتِ على جميع الأعيان، ولم يُعْرف عن السلف أنهم خاضوا في تشقيقات العلم كما يخوض المبتدئون في أيامنا، بل صحَّ النهي من كلامهم عن الأُغلوطات والخوضِ فيما ليس تحته عمل، ولكنّ علماءنا -جزاهم الله خيراً- قعَّدوا القواعد وأصَّلوا الأصول لنستنيرَ ولا نضِلّ، فَمِن غريب التصرفات أن ننشغل بأعمدة الإنارة والأضواء عن المشي في الطريق طريق الإسلام الذي ذروة ما فيه الجهاد القتالي، قال ابن خلدون في مقدمته صـ٥٣١: (إن طالب العلم لا يَفِي عمرُه بما كُتِبَ في صناعة واحدة إذا تَجَرَّد لها)، وقال: (إن المتعلم لو قَطع عمره في هذا كله فلا يَفِي له بتحصيل علم العربية مثلاً الذي هو آلة من الآلات ووسيلة...)، وبنحوه قال الشاطبي في "الموافقات"

٧٧/١: (المقدمة التاسعة: مِن العلم ما هو صُلْب العلم، ومنه ما هو مُلَح العلم لا مِنْ صلبه، ومنه ما ليس من صلبه ولا مُلَحِه، فهذه ثلاثة أقسام)، فعن أيِّ علمٍ يا هؤلاء تتحدثون؟

وصرَّح النووي في فتاويه (فإن صار الجهاد فرض عين فهو أفضل من العلم؛ سواء كان العلم فرض عين أو كفاية).

ــ كم هو محزن أن يكون أحدُهم ممن يُشار إليه بالبَنان، وعنده دروس على مدار الأسبوع، فإن سألتَه: ما حُكم الجهاد اليوم؟ تَلَعْثَم! وكأنك تسأله عن مسألةٍ شائكة اشتبكَتْ فيها الأدلة وتناطحت فيها أقوال العلماء! فإن كان حقاً يَجْهَلُ الحُكْمَ فهَلَّا بَحَثَ! وإن كان حقاً خائفاً من الإفتاء فرَحم الله علماءنا السابقين الصَّدَّاحين بالحق ممن لا يَخافون في الله لومة لائم!

ــ ثم أيهما أهمُّ بنظرك؟ عِلمُك وتصانيفك وكتاباتك ورسائلك وخطبك ومحاضراتك... أم الوحي؟! فها هو من يُوحى إليه ﷺ يَتَمَنَّى أن يُقتل مراتٍ! ولو قُتل لضاع الوحي فأيهما أخطر ضياعاً؟! (لودِدْتُ أني أغزو في سبيل الله فأقتلَ ثم أغزو فأقتلَ ثم أغزو فأقتلَ ..) متفق عليه، وهَبْكَ مِتَّ الآن فهل يتضرر المسلمون تَضَرُّرَهم بقتل صاحب الوحي؟! فكم هو مُحْزِنٌ أن يرى كلٌّ واحد منا نفسَه أنه العالم الأمل لهذه الأمة وهو -ويا للأسف- عامِل الألم بما يُثَبِّط به المجاهدين الخارجين في سبيل الله.

ــ ولا يَستهوِيَنّا الشيطان فنقول: أَوَنَحُثُّ الناس على الجهاد وهم لا يَعرفون كيف يُصَلُّون؟ أوَليس رسولُك ﷺ قدوتَك؟ فأجبني: لَمّا جاءه رجل لِيُسلِمَ أقَال له ﷺ: اذهب إلى المدينة وتَعَلَّم العلم النافع.. تعلَّمْ أمور دينك... تعلم شروط وأركان الصلاة...؟ لا! بل الشهادتان ثم القتال، بل الرجل نفسه تساءل: (وإن لم أصلِّ له صلاة؟!! قال ﷺ: نعم)، فلما قُتِل قال فيه ﷺ: (عَمِل قليلاً، وأُجر كثيراً) أخرجه سعيد بن منصور وهو حسن، وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول: (أخبروني عن رجل دخل الجنة لم يُصَلِّ صلاة؟! ثم يقول: هو عمرو بن ثابت رضي الله عنه) بإسناد صحيح عند ابن إسحاق، فهل هذا وأمثاله تربَّوا وتصفَّوا وتعلموا دينهم بالمعنى الذي تزعُمون أم "تتغير الأحكام بتغير الأزمان"؟

وهذا واضح في كُتُبِ الفقه: أن الكفار لو هجموا على مدينة فيها ناس جُهَّال لا يعرفون الصلاة فأيُّهما أهمُّ جهاد الكفار أم تعليم الأغرار؟ وما دامت هناك أراض إسلامية يَحْتَلُّها الكفار فالجهاد فرض عين على كل مُستَطيع وإلا فالإعداد العسكري.

ــ وإن تَعْجَب فعَجبٌ تساؤلهم: أيهما أولى الجهاد أم العلم؟ وكأنه لا يجاهد إلا الجهلاء ولا يتعلم إلا الجبناء، ولا يجمع بينهما أحد، فانظر السلف الصالح، وقد مر بنا طرف من سيرهم، وسيأتي مزيد أمثلة في الشبهة التالية تُثبت أن كبار العلماء كانوا مجاهدين.

ولعل السبب في مثل هذا التساؤل يعود إلى تأثرنا بمواضيع الإنشاء أيهما أشد تأثيراً على الطفل أبوه أم أمه؟؟ أو على الأمة رجال العلم أم رجال الأدب؟!

ـــ وهل سمعْتَ برجل يقال له: تَعَال! الجنة بينك وبين عُنُقِك وتَستريح فيقول: لا! أريد طريق العلم الشرعي الطويلةَ الوَعِرَة! ثم بعد هذا لا يَدري أيُقبل منه علمه أم يُزَجُّ به في النار لريائه مثلاً... هل هذا صادقٌ؟ أجيبوا! فما معنى أن نترك الطريق القصيرة إلى الطويلة إلا الرياء والكذب؟!

ـــ رحم الله "عُمَيْرَ بن الحُمام" يوم ألقى تَمراته وصَدَح: (إنها لحياة طويلة!...) مسلم، أم أنك أحْكَمُ منه وأحرص على دين الله، وأدرى بمصلحة الأمة؟! أم أن بقاءك حياً أنفعُ للأمة من بقائه؟!!

ـــ وهل يَقلُّ شأنك لو كانت حالتك كحالة سيف الله الذي فَلَق هام الكافرين، فتأمل فيما قال: (لقد مَنعني كثيراً من القراءة الجهاد في سبيل الله) أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح.

ـــ فما لكم لا تَزالون تتراشقون الحروب الكلامية فحسبُ؟ والجَيِّدُ فينا يُؤَلِّفُ في "فضائل الجهاد" أو يَكتب مقالاً أو يَخطُب خُطبةً على خوفٍ من الحاكم وجنوده، وحسبُه من المَعْمَعَة اسمُها.

ـــ فيا من عَرَض عليك مولاك صفقةً رابحة .. الجنة مهما وَسْوَسُوا لك وقالوا: اجلس واشترِ الكتب وأْنسْ بمكتبة العلم فقل لهم: لكنَّ الله تعالى قال:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾ التوبة ١١١

- ضابط التهوّر، والحكمة!

ــ ليست طريقُ الأنبياء تهوراً! وهل كان الصحابة متهورين أو متسرعين؟! فهكذا دَيْـدَن الكَهَنَـة يَهْتكون الأدلة الصريحة الصحيحة وينسفونها بكلمة أو كلمتين من الحُجَج الشَّوْهاء الصَّمّاء البَكْمـاء؛ فيحلو لفريق ممن يَسْهُل عليهم الهُزْءُ بالأحكام الشرعية يَحلو لهم أن يصوروا المجاهدين –الـذين بـاعوا نفوسهم لبارئهم– على أنهم لَفيفٌ من البُسَطَاء يقال لهم: هيّا يا شباب!! ... فيسارع جميعهم وبسذاجة: هِيْـــهْ...! كفريق كرة قَدَم للصغار.

ــ وسبحان الله رغم هُزْئهم بالمجاهدين وتشبيههم لهم بالصغار فإن هذه المسارعة أقرب ما تكـون إلى الحديث الصحيح (كلما سَمِع هَيْعَة أو فَزْعَةً طار إليها...) مسلم، أو لعلّها هي هو؛ فهل طِرْتم أنتم – لو مرة– إلى غزوة من الغزوات؟!!!! ولاحظ لفظ "طار" المُوْحِي بالسرعة.

ــ وإذا أذَّن "المغرب" سارَعْنا إلى الصلاة أو الإفطار، أفنكون مُتَعَجِّلِين أو مُتَهَوِّرين؟ كلا؛ لأن السنة فيهما التعجيل؟! فكيف والكِتاب والسنة ونصوص العلماء تُنادي منذ سقوط الأندلس: "حـيّ علـى الجهاد" على الفور لا التراخي؟ ولكن.... أين "طارقٌ" الذي يُجيْبُ؟!

ــ وإذا حال الحَوْلُ على نصاب المال أفلا يجب الإسراع بإخراج الزكاة خشية الوقوع في إثم التأخُّر أم أن هذا تَهوُّرٌ؟

ــ وإذا جُرِح ابنك أو أمك أو أختك وكاد دمه يَنفد أفتكون متهوراً إذا طرتَ كالليـث الجـريح لإسعافهم؟ فأخواتنا وأبناؤنا وآباؤنا في الشرق والغرب يُقتَّلون تقتيلاً؛ فأين أنت منهم؟

ــ أو لم يرى بعض قليلي العلم ذاك الذي خاض في الصف حتى قُتل رأوه متهوّراً؟ لكن "أبا أيـوب" الذي فَقِه الكتاب صوَّب لهم فهمهم؛ فنبههم أن هذا ليس من التهلكة؛ إنما التهلكة في تـرك النفقـة في سبيل الله.

ــ والذي يقوم إلى سلطان جائر فيَعِظُه فيكون الثمنُ حزَّ رأسه في نظر حكماء اليوم متهوّر أَخْرَق، فاقد للحكمة بعيد عن الاتزان! فلا السلطان اتعظ ولا لحياته أبقى!

لكنه في نظر سيد الحكماء، وسيد المُتروِّيين، وسيد بعيدي النظر ﷺ أفضلُ الجهاد (أفضل الجهـاد كلمة حق عند سلطان جائر) أحمد والحديث صحيح، فإن لم تكونوا أمثال هؤلاء الأبطال فهلا سَكَتُّم وحفظتم ماء وجوهكم!

ــ يا مَن ترَون الحكمة ترك الجهاد خوفاً من الفتنة في المال والأهل ومن المخابرات وفقدان المناصب أمَا قال ربنا﴿ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ التوبة٤٩ ؛ أي بتركهم الجهاد.

وكيف يكون الخروج للقتال فتنة وبه تُزال الفتنة ﴿ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾؟الأنفال٣٩ ، ومع أن هذه الآية قطعيّة الثبوت والدَّلالة، لكن هؤلاء يفهموها ويطبقوها كما لو كانت (وسالموهم حتى...أو: لايِنُوهُم ..أو: هادِنُوهم..)؛ فتراهم يرددون ولو بعبارات شتى لكن مُؤَدّاها واحد: مِن الحكمة الآن الابتعادُ عن الصف حَقناً للدماء.

ــ وغاية شبهة هؤلاء الانهزاميين: هذا من أجل كسب هؤلاء الكفار وأذنابهم من الحكام أو على الأقل تحييدهم بسبب ضعف المسلمين! وهذا قول باطل، فإن إبراهيم عليه الصلاة والسلام قال لقومه مع قلة أنصاره، وضعفه بينهم حتى رموه في النار: ﴿ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ الممتحنة٤، ولو سعى لكسبهم بمُصانعتهم أو مداهنتهم كما يَدعو كثيرون اليوم لَسَلِم من أذى قومه.

ولما كان الرسول ﷺ في مكة وكان المسلمون في ضَعف وقلة وتَحت سلطان المشركين، ومع ذلك نزل عليه قوله تعالى: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ الحجر٩٤، وقيل: إنها نزلت وعدد أصحابه لا يتجاوز الأربعين، ومع ذلك لم يُصانعهم حتى يَدْرأ أذاهم عن نفسه وأصحابه، ثم إن أصحابه لقُوا صنوفاً من العذاب: فقتل فريق كآل ياسر، وعُذِّب فريق كبلال وعمار وخَبّاب، وأُخرج فريق كمهاجرة الحبشة، وحُوصر فريق وسجنوا كالرسول ﷺ ومن معه في الشِّعب، ولقوا من الأذى ما لا يَخْفى، فهم مستضعفون، قلة بين يدي عدو كافر لا يَرْحم، وكأني بأحد هؤلاء الانهزاميين لو كان معهم لقال: إن بُعْد النظر، وسعة الأفق، والواقعية، والعقلانية، والرأي السديد تقتضي أن يَكسب كفار مكة،

أو على الأقل أن يُحَيِّدهم؛ وذلك لرفع العذاب عن المسلمين، فالمسلمون بين قَتيل ومعذب وطريد وسجين، والسلطة لكفار مكة، و من أجل مصلحة الدعوة، ولحماية الأقلية في مكة التي لو فَنيت فَنِيَ معها الإسلام، فلا بأس بمداهنة هؤلاء وتكليمهم بلغةٍ لا يَفهمها إلا المثقّفون من كفار مكة.

فلا بد من دعوة جادة لجميع المفكرين الأحرار من كفار مكة لـ(الحوار) من أجل التعايش، ولا بد من كتابة بيان لا يَفهمه إلا المثقفون من كفار مكة لعقد حوار مُثْمِر، بناء على الأهداف المشتركة فيما فيه صالح (قريش)، و(مكة)، و(البشرية) جمعاء...إلخ.

ولكن هيهاتَ هيهات : فقد نزل قوله تعالى: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ ﴾ القلم٨-٩ ، فكان ثبات النبي وصحبه تمزيقاً للوحدة الوطنية، وبوادر حرب أهلية، بل جاء صريحاً (ومحمدٌ فَرَّق بين الناس) البخاري، والقرآن اسمه الفرقان، ولو أن الرسول ﷺ كَتب بياناً فيه أقلُّ من عُشْر ما يَتكلَّم به كثيرٌ من الانبطاحيين أو المنافقين اليوم من مَهانة وذلة –وحاشاه– لجعلوه أميراً عليهم.

كل العداوات قد تُرجى مودتها إلا عداوةَ من عاداك في الدين

ـــ إن الحكمة وضع الشيء المناسب في المكان المناسب، والزمان المناسب، بالكم المناسب، والنوع المناسب.

فهل أنتم حقاً تعملون وتُعِدُّون بحكمة ودراسة منطقية مبنية على الآيات والأحاديث وأولويات الواقع لتصلوا إلى الكم والنوع والزمان المناسب للجهاد؟

لكننا لا نرى شيئاً من إعدادكم يَصبُّ في ساقية الجهاد القتالي إلا الجَعْجَعة!

إن الباز لا تهاب فئراناً ترى الحكمة أن تبقى في جُحورها حرصاً على لقمة عيشها ومستقبل أولادها؛ لئلا تُعيد أحداث تدمير النسور لجُحورها، لكنها تهاب عصفوراً يُقَلِّم ظفر مخلبه!

على أن آيات الله وأحاديث رسوله وضَّحَتْ بصراحةٍ الزمانَ والكم والنوع، وحسبك منها كلمات: (انفروا خفافاً وثقالاً – وأعدوا لهم ما استطعتم – فقاتل في سبيل الله لا تُكَلَّفُ إلا نفسَك – حَرِّض المؤمنين على القتال – حتى يُعْطوا الجزية – ويكونَ الدين كله لله – واغلُظْ عليهم – ولْيَجِدوا فيكم غلظة...).

وقد عالجْنا شبهات من يريد أن يبقى /١٣/ سنة بلا جهاد بحجة الإعداد، وعالجنا من قبل شبهة الإعداد السلمي والإعداد الكاذب كمن يدّعي أنه يتعلم فنون الخط العربي لتخطيط لافتة أمير المؤمنين، وسنأتي إلى الإصلاحات الجزئية وخطورة الانخداع بها،... وكلها ولله الحمد ستُقنع المنصف ولن تُحَرِّك المُجْحِف، إلا أن يشاء الله.

أمَّا من يُلْغي الجهاد من دين الله أو يَدَّعِي أن لا "جهادَ طلَب" في دين الله فهؤلاء عملاء أو جهلاء، ولو حملوا أعلى شهادات "الدكترة"، وإن حَسَّنَّا الظن فيهم كثيراً فقولهم ذاك مِن أَرْذل الشذوذات الفقهية التي عرفها تاريخ الشذوذ الفقهي، كيف لا وهي تخدم أعداء الإسلام بما لا مزيد عليه؟ كيف لا وهي تُصادم الكتاب والسنة وأقوال العلماء الصريحة وتصادم سيرة أئمة الإسلام من لدن الصحابة حتى أيامنا؟

وإسقاط أشخاص أهونُ من تَشويه منهج!

شبهة عدم خروج العلماء، وأنك في الميدان وحدك!

٤ــ فإن قالوا: وحسبُنا أن أكثر العلماء والمصلحين الواعين -إن لم نَقُل: كلُّهم- لم يَخرجوا، أوَ يُعْقَل أنهم جميعاً آثمون؟ فأنت في الميدان وحدك! وهل كان النووي والسبكي والعلائي والعراقي وابن حجر العسقلاني والسيوطي من المجاهدين؟ فقل لهم:

ــ هل نصَّبَنا اللهُ حُكَّاماً على الناس؟ فَرُبَّما لم يتحَقَّقْ لهؤلاء -الذين سميتموهم اليوم علماء- المَناطُ من الوُسْع أو.. أو..، وهل تجزِم أن هؤلاء العلماء تَسَنَّى لهم طريق الخروج و لم يخرجوا؟ ثم إن جمهور العلماء على أنه إذا تعارضت فتوى الصحابي مع مَرْوِيِّه قُدِّم مَرْوِيّه على فتواه خلافَ الحنفية، فكيف إذا تعارضت فتوى عالم مع فعله؟ ثم هل استَفْتَيتَ هؤلاء فرأيتَهم يَرَون عَدَمَ فَرْضِيَّتِه أم نَظرْتَ إلى فعلهم ولعل أحدَهم قد مُنِع من جواز السفر، أو لعله لا يهتدي سبيلاً إلى المجاهدين، أو لعله مِن كثرة المؤامرات والمخابرات التي حوله صار يَشُكُّ بصدق جهةٍ ما، أمّا أنت فقد عَرفتَ صدقها فلا عذر لك، أو لعله كان من أهل ﴿ لَّيۡسَ عَلَى......حَرَجٌ ﴾ التوبة٩١ ، ولا تنسَ أن الإثم يكون عند انعدام العُذر، فحسِّن الظنّ بمَن سميتهم علماء.

ــ وكأنه لكثرة تَلبيساتِ شياطين الإنس والجن كليهما، زَهِد الناس في الجهاد القتاليّ، ولكنْ إن ثَبَتَت لك فرْضية القتال فلا مَناصَ! وعُدْ إلى فِقْرة "لماذا القتال؟" تَجدْ أن العلماء قليل والعاملين منهم أقل والمجاهدين أقل والصابرين أقل، فالمجاهدون قليلٌ من قليلٍ من قليل.

ــ وافرِض أن أحداً ممن سميتَهم علماء لم يَخرج... -وهيهات!- فهل تترك الصلاة والصيام إن تركه هؤلاء؟!

أوَليس التخلف عن جماعة الفجر من علامة النفاق؟ انظر اليوم كم واحداً منهم يَتصف بها -في بلادنا-! أَوَتترك جماعة الفجر لأنهم يتركونها؟

أليست اللحية من خصال الفطرة، وسنة الأنبياء والصالحين كابراً عن كابرٍ؟ أفتحلقها أو تُقَصِّرها بتلك الحجة؟

فهؤلاء الذين يَتَأَثَّرُون بقُعُود بعض الكبار، ويظنون أن هؤلاء الكبار الذين يُشار إليهم بالبَنان ما قَعدوا إلا لأنهم يعلمون المصلحة لو أن هؤلاء تَحَقَّقوا من الأمر لوجدوه خلاف ذلك قطعاً؛ فليس بالضرورة أن يكون تأخُّر الذي يُشار إليه بالبَنان بسبب ترجيحه للمصلحة، فقد قصّ علينا كتاب الله أن

من الخيار مَن قد عاتَبهم الله على التأخر، فإذا كان مِن الخيار الأبرار الأطهار زمن النبوة مَن قد أصابهم هذا الداء، داء التأخر عن الجهاد، فكيف نزعم لخيارنا اليوم أنهم يَتأخرون للمصلحة؟

ألا ترى ربنا -سبحانه وتعالى- في سورة الأنفال قال مخاطباً نبيه ﷺ وأهلَ بدر، وهم خير الناس ﷺ: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ۝٦﴾؟ الأنفال٥-٦ وهذا الوصف جاء لخيار الناس ﷺ أهل بدر، فليس من المُستبْعَد أن يُصِيْبَنا نحن هذا الداء.

وهذا كعب بن مالك ﷺ -وحديثه في الصحيحين- يقول يومَ تَبوك: "تخلفْتُ وما كنتُ أَيْسَرَ مني حالاً قطٌّ مني يوم ذاك، وما ملكْتُ راحلتين إلا في تلك الغزوة، وقلت: اليومَ أَتَجَهَّز، فيمضي اليومُ و لم أُجَهِّز من أمري شيئاً"، فالإنسان بَشَرٌ تَتَجَاذَبُه أثقال الأرض، وهو من هو؟!! ﷺ من السابقين! بل أَحَدُ الذين عَقَدوا بَيعَةَ العقَبة الكبرى المباركة التي منها انطلقت دولة الإسلام في المدينة النبوية، تأخَّر بغير عذر، ومما جاء في حديثه الطويل أنهم كانوا ثلاثةً كما في كتاب الله: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ التوبة١١٨، والروايات في السيرة أن الذين خرجوا إلى تبوك ثلاثون ألفاً، فكم يُعَدُّ ثلاثة من ثلاثين ألفاً؟ رَقْمٌ لا يُذكَر اليوم، اسأل أي عسكري أو قائدٍ في الجيش: إذا تخلف عندك ثلاثة من ثلاثين ألفاً هل من ضَيْر؟ لكنْ لِعظيم الذَّنْب أنزل الله -سبحانه وتعالى- مِن فوق سبع سماوات قرآناً يُتلى إلى يوم القيامة في هؤلاء.

وشاهدُنا أن هذا الجهاد اليوم مُتعيِّن على الأمة، وقد يَسْقُطُ للعَجْزِ، والآيات صريحة، وعندما يقرأ الإنسان القرآن يَتَعَجَّبُ من قعود كثير من الناس، هل هم لا يقرؤون القرآن، أم أنهم يقرؤون ولا يَتَدَبَّرون أم هم معذورون؟!

ـــ أم أننا نسينا وصيةَ رسولنا ﷺ (لا تكونوا إمَّعَة...) حسن غريب، كما قال الترمذي، وهو ثابت من قول ابن مسعود ﷺ في أقل تقدير؟ هل نسينا مبدأ "اعرِف الحق تَعْرِفْ رجاله"، فالجماعة هي الحق ولو كنتَ وحدك، والحكم الشرعي صريح، وشَتَّانَ شَتَّان بيننا وبين الصحابة ومَن تبعهم بإحسان، ترى أحدهم على الفَور يَكْسر جَفْن سيفه ولا يَستعمل (لعل وعسى) وأخواتِها! مِن المُثَبِّطَات، وتراهم من فورهم يتسابقون إلى الطِّعان.

ـــ أوَلَم يخرج للجهاد فقهاءُ الصحابة والتابعين؟ فرَحِم الله "ابن عمر" ﷺ الذي رابط هناك في بلاد الأفغان حيث البرد والثلج، وهو من أكابر الفقهاء.

أليس "معاذ بن جَبَل" ﷺ أعلمَ الصحابة بالحلال والحرام؟ أو لم يكن الصحابة يشبهونه بـإبراهيم؟ أو لم يقل فيه أبو نعيم في "الحِلية": (إمام الفقهاء وكنز العلماء)؟ ومع هذا كله أو لم يَشهد العقبة والمشاهد

كلَّها؟ فكيف وأين مات؟ وهلا استأنَسْنا بما ساقوه في السيرة -من طريق الواقدي- أن عمر ﷺ كان يقول حين خرج معاذ ﷺ إلى الشام: (لقد أَخَلَّ خروجه بالمدينة وأهلها في الفقه وفيما كان يُفتيهم به، ولقد كنت كلمت أبا بكر أن يَحبِسه لحاجة الناس إليه فأبى علَيَّ وقال: رجل أراد وَجْهاً يعني الشهادة فلا أَحْبِسُه)، وحسبك أن تراجع "البداية" لابن كثير لترى عظيم تحريضه يوم اليرموك هو وأبو عبيدة ابن الجرّاح.

أليس "جابر بن عبد الله" ﷺ من سادات فقهاء المدينة؟ فكم غزوةً غزا؟

أوليس "ابن مسعود" ﷺ من أجلة فقهاء الصحابة، أو لم يتتلمذ على يديه العشرات بل المئات في الكوفة؟ أوَلا يُعَدّ أستاذ مدرسة خرّجت الآلاف من الفقهاء؟ أفلَم يُجْهِز "ابن مسعود" ﷺ على فرعون هذه الأمة بنفسه؟ أو لم يَحتزَّ رأسه بيده؟

أو لم يَشهد "أبو أيوب الأنصاريُّ" ﷺ المشاهد كلَّها؟ فأين أوصى أن يُدفَن من قبل أن يُسْلِم روحه وأين دُفِن؟ أو لم يذكره "ابن حبان" في كتابه "مشاهير علماء الأمصار"؟

أليس "أبو بكر" ﷺ من أكبر فقهاء الصحابة؟ فماذا كان رأيه في حرب الردة مقابل رأي أكثر الصحابة؟ أليس الحلَّ العسكري؟ أوَلم يكن هو والفاروق في جيشٍ موجَّهٍ إلى أعتى دولة بقيادة شاب لم يتجاوز العشرين؟

أوَلم يَهُمَّ الفاروق ﷺ مراراً أن يترك الخلافة ويَلحق بالمجاهدين؟

أوَليس "أُبيُّ بنُ كَعْبٍ" ﷺ سيدَ القراء في الصحابة؟ أفلم يُبْلِ في "أحدٍ" بلاءً حسناً؟ أو لم يَشهد ما بعدها من المشاهد؟

أوليسَ "أبو الدرداء" ﷺ من كبار فقهاء الصحابة؟ أليسَ هو حكيم الأمة وسيد قراء دمشق؟ ألم يأمره الرسول أن يَرُدَّ مَن على الجبل يوم أحد فَرَدَّهم وحده؟ ألم يكن حَسَن البلاء حتى قال الرسول: (نعم الفارس عويمر). (راجع "سير أعلام النبلاء" للذهبي).

أليس "عُبادة بن الصامت" ﷺ من كبار فقهاء الصحابة؟ ألم يكن أحد النقباء ليلة العقبة، ومن أعيان البدريين؟ ألم يَشهد المشاهد كلها؟ ألم يخرج مع فتوح الشام ومصر؟

أليس أمينُ هذه الأمة "أبو عبيدة" ﷺ أحدَ السابقين الأولين، وثاني اثنين عزم الصديق على توليتهما الخلافة وأشار بهما يوم السقيفة لكمال أهليتهما؛ هو والفاروق فقال: (قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين عمر وأبا عبيدة)؟ وهل يُشير الصديق لخلافة المسلمين بقليل علمٍ ضعيف نظرٍ أم بغزير علمٍ

سديد نظر؟ ألم يَستدعِه عمر ﷺ ليوليَه الخلافة فأبى؟ فكيف وأين مات أمين الأمة؟ ومِن قبلُ ألم يَقتل أباه المشركَ في بدر؟ ألَم يُبْلِ بلاءً حسناً في أُحد ثم ألم يكن في حصار دمشق؟

أليس "زيد بن ثابت" ﷺ كاتب الوحي؟ ألم تكن معه راية بني النجار يوم تبوك؟ ألم يَعرض نفسه يوم بدر وأُحد لكن الرسول رده لصغره؟ ألم يكن من علماء الصحابة الأفذاذ؟ أو لم يمسك ابن عباس بركابه ثم قال: (هكذا نفعل بالعلماء والكبراء)، ألم يروِ "ابن سعدٍ" بإسنادٍ صحيح أنه (أحد أصحاب الفتوى وهم ستة عمر وعلي وابن مسعود وأبي وأبو موسى وزيد بن ثابت)؟ بل هو من الراسخين في العلم.

ألم يُتَرْجِم الذهبي في سير النبلاء "أبا سعيد الخُدري" ﷺ بقوله: (الإمام المجاهد مفتي المدينة)؟ ألم يَستصغره الرسول في "أحد" ثم غزا ما بعدها؟ ألم يكن من أفقه أَحْداث الصحابة؟ ألم يَقل فيه الخطيب: (كان من أفاضل الصحابة وحفظ حديثاً كثيراً)؟

أليس "مصعب بن عُمير" ﷺ أول من جلس يُفَقِّه أهل المدينة ويُقرئهم القرآن؟ فأين قُتِل؟

أليسَ "المِسْوَر بن مَخْرمة" ﷺ من صغار الصحابة ومن أشراف قريش وعلمائهم؟ ألم يَنْحَزْ إلى مكة مع "ابن الزبير" ﷺ في حربٍ ضروسٍ مع الأمويين؟ فكيف مات؟ ألم يُصِبه حجرُ منجنيق في الحصار فقُتل؟

وأول مولودٍ للمهاجرين "عبد الله بن الزبير" ﷺ ألم يكن كبيراً في العلم والعبادة مع أنه من صغار الصحابة؟ ألم يكن يسمى حمامة المسجد لكثرة ملازمته للمسجد؟ ومع هذا أفلم يكن فارسَ قريشٍ في زمانه؟ ألم يكن يُضرَب بشجاعته المَثَل؟ ألم يَشْهَد اليرموك وفتح المغرب وغزو القسطنطينية ثم كان مع أبيه يوم الجمل؟ (راجع "سير أعلام النبلاء" للذهبي).

وأبوه "الزبير بن العوَّام" ﷺ أليس أحد المبشرين بالجنة؟ أليس أحد الستة أهل الشورى؟ وهل تكون الشورى في زمنهم إلا لمن يستحقها من الوجهاء العلماء الكبراء ليس كأيامنا للسفهاء؟ ومع هذا أليس هو أول من سلَّ سيفه في سبيل الله؟

أليس "أبو هريرة" ﷺ (الإمام الفقيه المجتهد... سيد الحفاظ الأثبات) كما ترجمه الذهبي؟ وصحيحٌ أنه كان يُدَلِّسُ عن صحابةٍ -وهذا جائزٌ لأنهم كلهم عدول- لكنه لولا أنه كان مع الرسول في بيته وغَزْوه وحَجِّه لَمَا تَحصَّل له كلُّ هذا الحديث في غضون أربع سنوات تقريباً! بل جاء عند أبي داود من طريق "الوليد بن رباح" أنه أجاب من استشكلَ كثرة مروياته بذاك الجواب.

فسيد الحفاظ إذاً لم يكن هاجراً للجهاد لأنه كان يصحب سيد المجاهدين على الدوام، وهو القائل: (والذي نفسي بيده لولا الجهاد في سبيل الله والحج وبِرُّ أمي لأَحْبَبْتُ أن أموت وأنا مملوك) متفقٌ عليه؛ لأن المملوك المُحسن لمولاه له أجران، وشاهدنا أن أبا هريرة كان يُجاهد، ولا يَعتزل ﷺ.

أوليس أكثر فقهاء الصحابة من الأنصار؟ فأين قبور أكثر الأنصار؟ في الهند والسند والشام ومصر....

أين نحن من سيد فقهاء المدينة من التابعين "سعيد بن المسيّب"؟

أين نحن من الأمير القاضي العالم المجاهد فاتح "صِقِلِّية" "أسد بن الفُرات" الذي تتلمذ على يدي تلاميذ أبي حنيفة ومالكٍ رحمهم الله جميعاً؟ أما قال فيه الذهبي: (كان مع توسعه في العلم فارساً بطلاً شجاعاً مِقداماً)، وذكروا أنه كان يقول عن نفسه: اسمي "أسد" وهو خير الوحوش، واسم أبي "فرات" وهو خير المياه، واسم جدي "سنان" وهو خير السلاح.

أين نحن من العالم الرباني "ابن المبارك"؟ وحسبك أن تقرأ كتابه الذي صنفه بعنوان "الجهاد".

أو لم يذكروا في ترجمة "البخاري" أنه كان عدَّاءً لا يُسبَق؟ أو لم يَذكروا في ترجمته أنه كان رامياً بارعاً لم يخطئ رميته إلا مرة أو اثنتين؟ أو لم يذكروا رباطه على الثغور؟

كانوا حقاً علماء مجاهدين يومَ كان الجهاد فرضَ كفاية، ورحم الله "النُّوْرْسِي"، و"السباعي"، و"عودة"، وغيرهم من الذين ما استنكفوا أن يجمعوا الحسنيين العلم والجهاد...، فالعلم بتطبيقِهِ لا بِحِفْظِهِ فحسبُ وإلا كان إبليسُ عالماً كبيراً.

أليس؟ ثم أليس وأليس؟

ـــ وهل انقطاع أبي حامد الغزالي رحمه الله عن الحروب الصليبية مَنْقَبَةٌ في حياته أم إشارة استفهام؟

ـــ وهل كان "التتار" يَخْرُجون لولا العلماء الربانيون الذين حرّضوا على الجهاد، وكذا "الصليبيون" و "العُبيديون".

ـــ ارجع إلى كتب التاريخ، ارجع إلى "تاريخ الخلفاء" للسيوطي لترى بالغ تحريض العلماء على الخروج على "العبيديين" المارقين.

ـــ وهل قرأتَ أنت تراجم النووي وابن حجر والسيوطي ونظرت في عصرهم حتى تَسِمَهم بأنهم تخلفوا عن الجهاد؟ أم هي كلمة أنت قائلها؟ يا هذا حفظتَ شيئاً وغابت عنك أشياء.

ألا ليت مشايخَنا اليوم يقولون كلمة الحق لا يخافون لومة لائم كما كان النووي يقولها مع سلطان زمانه، ألا ليت مشايخنا اليوم يَصْدَحون بحقائق الحكام كما صدح بها سلطان العلماء ابن عبد السلام مع المماليك و لم يُبالِ بفُتاتٍ ولا مناصبَ ولا إماميةِ مساجدَ!

ألا ليتهم يملكون معشار عزة الشيخ "سعيد الحلبي" الذي دخل عليه ابن إبراهيم باشا حاكم مصر وهو مادٌّ رجليه فما غيَّر من جِلسته، فاغتاظ ابن السلطان وحاول أن يُغْرِيَه بالمال فقال الشيخ لرسوله: قل لسيدك: من يَمُدُّ رجله لا يَمد يده... الله أكبر! ما أقواها من كلمة، أم أننا نكتفي أن نسرد قصصهم!

وبعد هذا تَغمزون أولئك الربانيين بأنهم حادوا عن رَكْب المجاهدين، كَبُرت كلمة قيلت فيهم، ألا حسبنا أن يكون في كل مدينة واحدٌ فقط من أولئك العِظام، وستأتي أقوال ابن حجر الدامغة قريباً إن شاء الله.

كيف تَجرؤون أن تُعَرِّضوا بأولئك العلماء النبلاء كيف؟ وحسبك أن تنظر في كتبهم لترى أقوالهم في جهاد الطلب وجهاد الدفع وحكمه ومتى يتحول إلى فرض عين ... وحسبك هذا!

هيا انظر حكم الجهاد عندهم؛ الجهاد الذي يتعثر اليوم كثيرون بأذيالهم خوفاً من أن يقولوا: الجهاد فرض عين بلا خلاف بين أهل العلم البتة من عهد الصحابة إلى أيامنا اتفق جميع الفقهاء على أنه فرض عين في مثل حالتنا ما دام شبر واحد بيد محتل، حكم الجهاد اليوم الذي إن سألت أكثر المشايخ الذين تعمموا وخافوا أن تضيع مناصبهم إن سألتهم عن حكم الجهاد اليوم تراهم لفُّوا وداروا وداوروا... كيلا يقولوا كلمة الحق خشية أن يسجلها عليهم أحد "الفسافيس"! (الفَسفاسُ في العربية الأحمق والجمع: فُسُسٌ، وصار اليوم اصطلاحاً المخابراتِ).

وفي أقلِّ تقدير لم يكن أولئك العلماء النبلاء من المثبطين.

ـــ ارجع إلى التاريخ الصادق لتعلم مَن الذين ثاروا أولَ ما ثاروا على الانكليز في بيت المقدس، ومَن الذين حرضوا على الفرنسيين في بلاد الشام، ومن الذين قاموا على الانكليز في أرض الكنانة مصر، ومن هم آباء ثورات ليبيا والجزائر والمغرب.... سبحان الله! ما أجهل أبناء الإسلام ببطولات آبائهم، إن العلماء الذين رضعوا تعاليم الإسلام الصادق الأصيل هم الذين أَمَدُّوا المجاهدين في أنحاء الأرض بالدعم المعنوي، وهم الذين واصلوا الليل بالنهار و لم يهدأ لهم طرف حتى قضوا نحبهم أو كحلوا عيونهم بطرد المحتل، فما بالنا اليوم تنكبنا خطاهم... أم أن أرض الأندلس لم تكن يوماً دار إسلام؟

ــ كذبْتُم! لا، ولن يقولها عالم! لن يُعَطِّلَ عالِمٌ فرضيةَ الجهاد الباقية بنص الحديث إلى قيام الساعة (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين... يقاتلون ...)، فكُنْ من الطائفة! فإن لم تكن منهم فلا تُثَبِّطْهم أو تُشَهِّر بهم فَتَجْمَعَ شَرَّيْنِ!

ــ ولا تَدَعْ شياطين الإنس تُلبِّس عليك فأبو حنيفة والشافعيُّ ومالك وسواهم من الفقهاء الأجلة لم يكن الجهاد في زمنهم فرض عين، وقد سدوا هم كفاية العلم وسد غيرهم كفاية الجهاد وهكذا، وأما إذا حمي الوطيس فتراهم لا يهابون أحداً في سبيل الله ودونك سيرةَ الإمام أحمد وعذابه من أجل الحق، ودونك سائر الأئمة مع حكام زمانهم، وانظر كلام "التهانوي" في تحريضه على الهنود والقومية الهندية، هذا القرطبي ينقل في تفسيره ١٥١/٨عن القاضي أبي بكر ابن العربي في الأندلس: (ولقد نزل بنا العدو ... سنة (٥٢٧) فجاس ديارَنا "أي الأندلس" وأَسَر خِيْرَتَنا وتوسَّط بلادَنا في عدوٍّ هالَ الناسَ عَدَدُه، وكان كثيراً، فقلت للوالي: ...هذا عدو الله قد حصل في الشَّرَك والشبكة فليَخرج إليه جميع الناس حتى لا يبقى أحد منهم في جميع الأقطار فيُحاطَ به فإنه هالك لا محالةَ إن يسَّر لكم الله له، فغلَبَت الذنوب والمعاصي، وصار كلُّ أَحَدٍ ثعلباً يأوي إلى وِجاره وإن رأى المكيدة بجاره؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون)، ألا ليتَ كثيراً ممن يَنتسبون إلى العلم اليوم يجَرؤون فقط أن يَصدَحوا بأن حكم الجهاد في أيامنا فرض عين على جميع المسلمين إلى أن نطرد الغزاة من أنحاء بلاد المسلمين.

وهذا القرطبي يَنْقل في تفسيره ٣٩/٣: (وعسى أن تحبوا الدَّعة وتَرْكَ القتال وهو شرٌّ لكم في أنكم تُغلبون وتَذِلُّون ويَذهب أَمركم قلت: وهذا صحيح لا غبار عليه، كما اتفق في بلاد الأندلس تَركوا الجهاد وجَبُنُوا عن القتال، وأكْثَروا من الفرار فاستولى العدو على البلاد ... وأَسَرَ وقَتَلَ وسَبى واسْتَرَقَّ، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ذلك بما قَدَّمَتْ أيدينا وكَسَبَتْه).

فهاتوا عالماً واحداً تخلف عن الجهاد والتحريض عند تعيُّنه! هاتوا واحداً فقط راح يُثَبِّط كما يفعل اليوم بعض الأدعياء.

ــ وعلى أية حال لا يخلو مجتمعٌ من علماء سُوء عَليمي اللسان، فعلماءُ السُّوء جَلسوا على باب الجنَّة يَدعون إليها الناسَ بأقوالهم، ويَدْعونهم إلى النار بأفعالهم؛ فكلّما قالت أقوالُهم للناس: هلُمُّوا! قالت أفعالُهم: لا تسمعوا منهم؛ فلو كان ما دَعَوا إليه حقاً؛ كانوا أوّلَ المستجيبين له! فهُم في الصورة أدلاّءُ، وفي الحقيقة قُطَّاعُ طريقٍ:

وكم تَنعَق الغِربان لكنّ بُومة	تقول: اسمعوا! إن الغراب حكيم
فقل للذي ما زال يُجريه نومه:	متى تَلْحَقُ الساعي وأنت مقيم؟

وما دام شِعر القوم أمسى-كما تـــرى- شعيـــراً فقل: إن الجهول عليــــم!!

-

يا معشـــر العلمـــاء هُبـــوا هَبَّــــةً قــــد طــــال نومكمـــــو إلى ذا الآن
يا معشـــر العلمـــاء قومـــوا قومـــة لله تُــــــعلي كِلْمَـــــة الإيمـــــان
يا معشـــر العلمـــاء عزمـــةَ صـــادق متجـــــرِّدٍ للـــــه غيـــــر جَبـــــان
يا معشـــر العلمــــــاء إن ســـكوتكم من حجّة الجهـــال كـــل زمـــــان
يــــا معشـــر العلمــــــاء لا تتخـــاذلوا وتعـــــاونوا في الحــــق لا العـــــدوان
وتعاقـــــدوا وتعاهــــدوا أن تنصـــروا متعاضـــــدين شريعـــــة الـــــرحمن
فـــالله ينصـــر مـــن يقـــــوم بنصـــره والله يَخــــذل ناصـــر الشيطــــــان

ــ أمّا الرباني فإنْ منعوه من قول الحق لكنهم لن يستطيعوا أن يُجبروه على قول الباطل.

ــ وكيف ننسى لّما أنكر بعضهم على من خاض في الصف وَحْدَهُ واحتَجُّوا عليه بــــ ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ البقرة١٩٥ فقام "أبو أيوب" رضي الله عنه وصَحَّحَ لهم فهمهم وأرشدهم أن "التَّهْلُكَة" المـــرادة في الآية هي ترك النفقة للجهاد لا في الجهاد، واستدل عليهم بقوله تعالى: ﴿فَقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾؟ النساء٨٤

فحسبُنا أن نقول لمن عاب على مجاهدٍ أنه وحده حسبنا أن نقول ما قاله الله تعالى لصفوة خلقـــه: ﴿فَقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ النســاء٨٤ ، وهكذا الغرباء، قال القرطبي في شرحه للآية: (أَمْرٌ للنبي ﷺ بالإعراض عن المنافقين وبالجِدّ في القتال في سبيل الله إن لم يساعده أحد على ذلك).

ــ كيف ننسى أن " أبا بكر" رضي الله عنه كان يَرى الحل العسكريَّ لقمع المرتدين؟ بينما كـــان جَمْهَـــرة الصحابة وعلى رأسهم "عمر" رضي الله عنه يرون أنْ نَتَرَيَّثَ قليلاً بشأن المرتدين، كانوا يريدون بادئ ذي بـــدء الحل السلمي الدَّعَوي، حرصاً على مكتسبات الدعوة من الضياع، وأَثْبَتَ التـــاريخُ صـــواب رأي "أبي بكر" رضي الله عنه مع أنه كان وحده!

أفكان صنيع أبي بكر رضي الله عنه مع المرتدين ومع جيش أسامة رضي الله عنه تَعَصُّباً مَقيتاً أم ثَبَاتاً فريداً؟! يوم قال: (واللهِ! لو منعوني عَنَاقاً "وفي رواية عِقالاً" كانوا يُؤَدُّونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلْتُهم علـــى مَنْعهـــا...)

البخاري، و(والذي لا إله غيره لو جَرت الكلاب بأرجل أزواج رسول الله ﷺ ما رَدَدْتُ جَيشاً وجّهه رسول الله ﷺ ولا حللْتُ لواءً عقَده رسول الله ﷺ)، ولو حصل معكم اليوم ما حصل معه فهل تَثْبُتون ثَباته أم "لكل زمانٍ رجاله"؟ أفَحُكم الجاهلية تَبغون وللنصوص تُحَرِّفون؟!

ها هي الأكثرية -يا مَن تُمَجِّدون أكثرية الديمقراطية- ها هي أكثرية الصحابة -وفيهم من الفقهاء والعلماء مَن فيهم- رأت أن يُحَلَّ جيش أسامة، ولم يَثْبُتْ إلا أبو بكر ﷺ وكان هو المصيبَ وحده، ثم آبَ جميعهم إلى رأيه الصائب، فما معنى أن تَعيب على مجاهدٍ مقاتل أنه وحده؟

والحمد لله أنه ليس وحده؛ فمعه من إخوة العقيدة، ومن حلاوة الإيمان، ومن سيرة نبيه الهادي المهتدي، ومن سيرة الصحب الكرام الصادقين، ومن قصص العلماء الربانيين ما يَشدُّ أزره! إن شاء الله وحده.

يكفينا هذا الحديث المُبَشِّرُ: (طوبى للغرباء... ناسٌ صالحون في ناسِ سوء كثير، مَنْ يَعْصِيهم أكثر ممن يُطِيعُهُم).

يَكْفينا أسوتنا ﷺ (فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تَنْفَرد سالفتي، ولَيُنْفِذَنّ الله أمره) البخاري.

وسنبقى ماضين على الطريق، مهما طالت، ومهما وجدنا من عملاء في وجوهنا، فالقضية أكبر إنه رب العالمين، وإنها جنة الفردوس، وسنبقى نردد ما نَشَأْنا عليه: إن هَدَموا بيتي لن أركع، إن سَلَبوا مالي لن أركع، إن قَتلوا كلَّ أحبائي وأبي وأخي وأخلائي، إن أخذوا أمي أو أختي وأَحَالوهم كالأشلاء، لن أركع أبداً لن أركع.... قادمون... قادمون... قادمون.... مسلمون.... مسلمون.

"الإصلاحات الجزئية" وخطورة الانخداع بها:

٥- فإن قالوا: لكننا أفَدْنا كثيراً من عمَلِنا هنا؛ فهذا التزم، وتلك تحجَّبت، والخير في زيادة، و لم تستفيدوا أنتم من القتال إلا الويلات والتراجع إلى الخلف سنواتٍ، والحقيقة أن المجاهدين المقاتلين ثلةٌ من الفاشلين ضاقت عليهم الحياة أو انتكسوا مراراً في دراستهم أو تجارتهم فلم يجدوا إلا الجهاد راحة لهم، فالعيش في سبيل الله أصعب بكثير من الموت في سبيل الله؟ فأين نتائج قتالكم؟! فقل لهم:

ــ ماذا يَنفع الغريق إن كان إصبعه جافاً؟

ــ كم هم سطحيون أولئك الذين يَكْتَفُون بشابٍّ تَرَكَ مغازلة النساءَ أو آخرَ التحى أو فتاةٍ تَحَجَّبَت أو لعبةٍ إسلامية أَغْنَتْ عن أخرى لا إسلامية، أو CD ألعاب إسلامية للصغار سدَّت مَسَدَّ أخرى فاجرةٍ، أو مجلةٍ حائطيةٍ في مسجد، أو معهد تحفيظٍ للقرآن مقابلَ مَلاهٍ ليليةٍ منتشرة، أو إعلام مفسد يبث آنياً، ورُشًا وفسادٍ يَعمّ البلاد والعباد.

كم هم سطحيون أولئك الذين يَنْتَشون بإصلاحات جزئية ويَغفُلون عما هو أكبرُ وأخطرُ!؟

ــ بل ما أعمق (!!) سطحيةَ ذاك الذي يَسْعَدُ أنْ أطعم رجلاً لم يأكل منذ أسبوعين، وهناك آخرُ بجواره غارقٌ يستغيث الناس أنقذوني أنقذوني؟ وأَنعِمْ به من إنجاز!

ــ ما أعمق (!!) سطحية من يفرح أنْ بنى مسجداً أو ألقى كلمةً في الإذاعة أو سُمح له بنشر مقالٍ في زاوية ميتة من جريدة حكومية هَالِكَة! وهو لا يكاد يفرغ للتفكير بالمسائل العِظام.

لا تقطعَنْ ذنب الأفعى وترسلَها إن كنت شَهْمَاً فأتْبِعْ رأسها الذنبا

أما من كان عاجزاً عن قطع الرأس فعليه أن يُعِدَّ لقطع الرأس لا أن ينشغل بقطع الذنَب، فكيف بمن ينشغل بالإعداد لقطع الذنب! فكيف بمن يترك الإعداد للقطع و يبدأ الإعداد ليدخل "كلية الإعلام" عسى أن يُسمح له يوماً ما بقناةٍ فضائية بلا قيد أو شرط ليُحَذِّر الناس من أخطار الأفعى وسبل الخلاص منها، ولينشر آراءه وأفكاره الإسلامية؟

فكيف -قل لي- بمن لا يفكر حتى بالإعداد لقطع الذنَب وهمُّه الإعداد للزواج من حور الطِّين بدل الحور العين -إن جاز التعبير-!؟ ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ الكهف١٠٤.

ـــ وهل الكتب الدينية المُهَدَّفة في الأسواق تزيد أم تنقص؟ هل من يُسَمَّون بالدعاة يزيدون أم ينقصون؟ هل المحاضرات والخُطَبُ والندوات وأشرطتها تزيد أم تنقص؟ وبالمقابل هل الفساد والإفساد يزيدُ أم ينقُصُ؟ وبدقة أكبر: أيُّ النسبتين أكبر: اقتراب الناس من الدين أم ابتعادهم؟

فأيُّ معنىً إذاً للمُقام على نهجِ الواقعُ يناديه: أيها المنهج إنك لا تَفِي بالغرض؟ وكتاب الله يناديه ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ التوبة٤١ فدَوَاؤُكُم يا هؤلاء ليس بدواءٍ يرضي الإله، دواؤكم إن نفع فللتخدير ليس إلا، وأما الشفاء فهذا عنه بعيد.

ـــ كم هم الذين فَقدْنا السيطرةَ على سلوكهم رغم نَشْأَتِهم في المسجد منذ صغرهم، فقدناها لقوة قوى الإفساد وقصور أو تقصير قوى الخير والرشاد، تقصيرها بالأخذ بذروة سنام هذا الدين!

أجل! فقدناها، والأمثلة كثيرة، ولا يُنَبِّئُك مِثْلُ خبير، فَسَلْ بها خبيراً.

إذا كان المُقام على حرام فلا معنى لتطويل القيام

ـــ ولا يخفى أن أكثر الحكومات تساهُلاً قد وضعت خطّاً أحمرَ، ثم سَمحت للسُّذَّج أن يَرْتَعوا قبله ما شاؤوا، حتى إذا ما قاربوه أكلوا الضربة الحكومية قبل أن يَصلوا.

وسبحان الله! شاء أقوام أن لا يعتبروا من التاريخ فتراهم يُصِرُّون أن يُعيد الزمن دورتَه، حتى يأكلوا الضربة تلو الضربة إلى التي قد تكون القاضيةَ!

ويبقى السؤال الذي يطرح نفسه: آلحكمة أن نسعى جاهدين لبلوغ الخط الأحمر أم لاستئصاله؟!

وهل تُصَدِّقون حقاً أن "هندسة العمارة" ستُلغيه؟ أو أن القصص والروايات ستَنْسِفه؟ فما لكم كيف تحكمون؟!!!!

ـــ ومهما فعلتَ ثم فعلتَ فقد سَبَقَنا ناس منذ عشرات السنين، فرفعوا شعار "الجهاد سبيلنا"، لكن كثيراً منهم لم يُطَبِّقوه إلا قليلاً، وإن شئتَ فقل: طبَّق أوائلهم كثيراً منه، ولكن اُنظر أين هم الآن؟! سجين أو طريدٌ أو مَحْظُورٌ، فكّ الله عنهم وهدانا وإياهم سواء السبيل؟!

ـــ فما مَثَلُك الآن مهما رَبَّيت وهَذَّبْت وعَلَّمْت وصَنَّفْت وأمَرْتَ بالمعروف ونهيت عن المنكر وأقمتَ المشاريع الخيرية ما مَثَلُك –في أحسن أحوالك– إلا كطبيبٍ مُبْدِع وداعية عامل مُسمِع أُودع السجن ظلماً فرأى فيه أُمِّيّاً لا يكاد يُبين فَعَلَّمه –إذ هذا ما يستطيعه الآن– فلما قيل له بعدَ /١٠/ سنوات: تفضَّلْ اُخرج قال: لا! أنا لا أزال أُعِدُّ، وقد علَّمتُ هذا الأميَّ حتى غدا طبيباً داعية، وسيأتينا

غداً مزيدٌ من السجناء فنُعلمهم حتى نصل إلى الدرجة المناسبة من الإعداد فنستطيع أن نُخرج جميع السجناء من الأَسْر؟!

نعم منطقنا كمنطق هذا السطحيِّ -مع أنه طبيب- ولو كان حقاً صادقاً لعلَّمهم "كيف القتال؟" أوْ ما يَصُبُّ في ساقية القتال، لا كيفَ تجويدُ القرآن أو العربيةُ لغةُ البيان -على أهمية التجويد والعربية-؟! اللهم إلا إن انتهى من الإعداد فَحَيَّهَلاً بالعلوم الشرعية الكِفَائِيَّة جميعها، مع أن الجمع بينها وبين الجهاد القتالي ليس من ضَرْب المستحيل.

ــ أَجَلْ هذه حال الجيد العامل فيهم، لا يَفْتأُ يردد: ليس لنا مجال إلا هذا الذي نحن فيه! ولهؤلاء قُل ولا تَتَلَكَّأْ!: صدقتم أنتم خير مِمَّن لا في العِيْر ولا في النفير، ممن لا يعملون أصلاً للإسلام، لكنّ رسولنا ﷺ نبّأنا عن الطائفة المنصورة وأن صِفَتَها (يقاتلون)، فهل بحثتم عنهم؟ ومهما كانت المجالات التي تَعملون فيها فانظروا: هل تَصُبُّ في مجال: (تُرْهِبون) أو (يُقاتِلون) أو "يُعِدُّون" حقيقةً للقتال لا للنكاح أو المهرجان أو الاحتفال.

ــ إن حصيلة عمل هؤلاء في أحسن أحواله لا يتعدى زوبعةً في فِنجان! وماذا تفعل مثل هذه الزوبعة؟! حتى وإن سميناها زوبعة! قولوا لي: ماذا تنفع هذه الإصلاحات الجزئية إذا كانت مقاليد الأمور بيَدِ من لا يبالي بإصلاحاتِكُم بَالَةً لأنها في الواقع لا تُؤَثِّر على خَطِّهم العَلماني اللاديني؟

ــ بل إن المسلمين الذين أَثِموا بعدَم هجرتهم من مكة قبل فتحها من يد الشِّرْك، هؤلاء كانوا يستطيعون أن يَدْعوا بتُؤَدة وهدوء عن طريق نشر الكتب والأشرطة والمحاضرات تماماً كما تفعل مدرسة "كَفّ الأيدي" اليوم!!! رغم اتفاق العلماء -بلا خلافٍ الْبَتَّةَ- أن الجهاد القتالي تحوَّل اليوم إلى عينيّ على الأقل لعدم الكِفَاية، فماذا قدّم الذين قَبَعوا في مكة بعد هجرة رسولنا ﷺ إلا أذيةَ أنفسهم؟

ــ نعم لك أن تقول: "إنني هنا أُفيد وأعمل للإسلام" لو كانت نتائجك على مستوى الأحداث، لك ذلك ما لم يُوجب عليك ربك -الذي أسلمْتَ نفسَك إليه- ما لم يُوْجِبْ عليك سواه، وليس لك أن تقول: "عليّ أن أعمل هنا في بلدي بدعوتي السلمية دون أن أنظر إلى النتائج"؛ لأن من يُقاتل بسكينه عدواً مُدَجّجّاً بسلاحه ثم يقول: "سأعمل ولن أبالي بسوء النتائج"، فهذا ولا رَيْبَ ما فَهِم الإسلام؛ لأنه ما أخذ بالأسباب التي أمره المولى بالأخذ بها، بينما المقاتل في سبيل الله الذي يفعل ما أمره الله، ويأخذ بالأسباب قدْر استطاعته ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ الأنفال٦٠ ، ثم يقاتل فيُقتَل أو لا يَنال النتائجَ التي تَوَخّاها فهذا ينال أجرَه ولو لم يَحْصُد النتائجَ في الدنيا -مع وجود الإخلاص- كما حَصَلَ

مع رُمَاةِ جبل "أُحد" الذين ثَبَتوا لكنهم لم يرَوا نتيجة عملهم وقُتلوا، فكم هو مسكين من يقول: قاتِل بالسيف في عصر الذرة ولا تنتظر أو لا تَنْظر إلى النتائج؟! (اللهم إلا إن عجَز عما سواه).

ــ فبما أننا أُمِرْنا بالهجرة والجهاد القتالي فلا معنى لقولك: "أنا أُفيد البلد هنا" ﴿ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ ....؟ ﴾ التوبة١٩ ، ثم إن ما تعمله هنا تستطيع عملَه في ذاك البلد الإسلامي تعلُّماً وتعليماً، بل إن ذاك البلد الإسلامي -إن وُجد- لهو أشدُّ حاجة لأمثالك طبيباً كنتَ أو صيدلياً أو كيميائياً ... أشدُّ حاجةً من بلدك، وإذا أجْدبَتْ "مكة " فعليك بــ "المدينة" -والواقع يؤيد-، وقد تعبَّدَنا ربنا بما مات عليه رسولنا ﷺ لا بما بُعث به أولاً، وقد مات على الحثّ على بَعْث جيش أسامة! وهاقد يَمَّمَ شطْرَ "الطائف" لَمّا يَئِسَ من مكة ثم إلى المدينة، وأنت لا تزال في هذه المدينة!

ــ فإن كنا نفعل ما أَمَرَنا الله به فلَمْ نَجِد النتائج عندها نقول: لا تيْئسوا ما دُمتم تُطَبِّقون أمر الله بالنفير، فقد بَقِيَت الحروب الصليبية /٩٠/ سنة والأقصى مُغْلَق لا صلاة فيه، ونَزع القرامطة الحجر الأسود /٤١/ سنة من مكانه حتى قال القُرمطي: "أين الطير الأبابيل"؛ وكذلك في عصرنا أكَّد الخبراء أن الحرب في الشيشان لن تزيد على /٣/ أيام، ومِن قبلهم صمَد "أهل البوسنة" العُزَّل ووقفوا لا أمام الصرب بل أمام تآمر العالم كله، ومِن قبل هؤلاء وهؤلاء مات "حمزةُ " رضي الله عنه و لم يَرَ دولةً إسْلامِيَّةً، مات "وَرَقةُ بن نَوْفَل" و لم يَرَ مَجْدَ النبي ﷺ، مات مَن مات عند "النجاشي" وما رأوا انتشار الإسلام، لكنهم ما تَزَعْزَعوا لأنهم كانوا يفعلون ما أمرهم الله به، أمّا أن أقاتلَ بالسكين في زمن الذَّرَّة ثم أقولَ: "لا تنتظر النتائج فلا" فهذا زُورٌ وتَلْبِيْسٌ!

بل إن النصر قد يتأخر لمعصية بعض القوم كما حدث في "أُحد" و"حُنَيْن".

ــ وعد إلى رقمْ ٥ من جواب "لماذا القتال الآن؟" لترى إثبات عدم كفاية الإعدادات السلمية لوحدها، وعد إلى جواب شبهة التربية الإيمانية لترى المزيد.

ــ وإذا بقيَ أحد المصلين يرتكب المنكرات فهل نطالبه بترك الصلاة؟ لأن الله قال: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ العنكبوت٤٥ ، فهذا -على طريقتهم في الاستنباط- لا يَستفيد من صلاته فلْيتركها إلى عمل سواها!!!!

فلهؤلاء المتناقضين نتوجه بسؤال دموي:

ما هي ضوابط النجاح عندكم؟ أو: كيف نحكم على "فلان" أنه ناجح أو فاشل؟

ـــ هل النجاح بالشهرة؟ فإبليس إذاً أكبر ناجح، و"مايكل جاكسون"، و"نزار قباني"، من أكبر الناجحين؟

ـــ هل النجاح بالمُلك أو المال أو المناصب؟ فـ"فرعون"، و"هامان"، و"قارون"، و"صدّام" من أكبر الناجحين!

ـــ هل النجاح بالنسب والحَسَب؟ فأبو لَهَبٍ من الناجحين إذاً!! وقد (مَرَّ رجل على رسول الله ﷺ فقال لرجل عنده جالس: ما رأيك في هذا؟ فقال: رجل من أشراف الناس؛ هذا والله حَرِيٌّ إن خَطَبَ أن يُنكح وإن شَفَع أن يُشَفَّع... فسكت رسول الله ﷺ، ثم مَرَّ رجل فقال له رسول الله ﷺ: ما رأيُك في هذا؟ فقال: يا رسول الله! هذا رجل من فقراء المسلمين! هذا حَرِيٌّ إن خَطب أن لا يُنْكَح، وإن شفَع أن لا يُشَفَّع، وإن قال أن لا يُسمَع لقوله، فقال رسول الله ﷺ: هذا خيرٌ مِن مِلْءِ الأرض مِن مِثْل هذا) البخاري، وفي روايةٍ أخرى للبخاري أن المسؤولين كانوا جماعة: (...ما تقولون في...).

ـــ هل النجاح بحَصْدِ نتائج ما زرعْتَ؟ فـ"حمزة" الذي لم يَرَ فتح مكة من الفاشلين؟!!!! و"أبو بكر" الذي لم يَرَ انهيار فارسَ والروم من الفاشلين؟!!! و"أبو أيوب الأنصاري" الذي لم يَرَ فتح "القسطنطينية" من الفاشلين؟!!! و"السلطان محمود الزنكي" الذي لم يَرَ عودة الأقصى من الفاشلين؟!! والله المستعان عندما تنقلب الموازين!

وقد أخرج البخاري: (عُدْنا خَبّاباً فقال: هاجرنا مع النبي ﷺ نريد وجه الله، فوقع أجرنا على الله؛ فمِنّا مَن مضى لم يأخذ من أجره شيئاً؛ منهم "مصعب بن عمير" قُتل يوم أحد، وتَرَك نَمِرةً، فإذا غَطَّيْنا رأسَه بَدَت رجلاه، وإذا غَطَّينا رجليه بدا رأسه)، ومراده لم يأخذ شيئاً من أجره الدنيوي.

ولو تَعَاقَب ١٠٠ رجل على صخرة يُحاولون كسرها بفأسٍ فانكسرت على يد آخرِ رجل فهل هو الناجح وكلهم فاشلون؟ أمّا السطحي فيرى هذا، لكن ذا النِّظرة العميقة يرى أن النتيجة هي تراكم جهود أولئك، وشاء الله أن يكون قِطافها على يد الأخير، والله يَصطفي مَن شاء.

ـــ هل النجاح بأن تبتعد عن كل ما يُهَدِّد رأسك؟ لكن محمد بن عبد الله الرسول الحكيم يرى خلاف رأيك!!!! لأنه يرى أن (أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر) أحمد والحديث صحيح، فهو عند رسول الله ﷺ من الناجحين بل أفضلُهم أو مِن أفضلهم، فكيف تتجرأ وتَزُجُّه أنت في زمرة المتهورين أو الفاشلين؟!!!

ـــ هل النجاح أن تعمل بما تعلمتَه من علوم دنيوية للنفع العام فلا تموتُ إلا وقد عملْتَ في "عيادتك"، أو صيدليتك"، أو "مكتبك الهندسيّ" لسنوات؟ فـ"محمد عطا" صاحب الدراسات الراقية

في "ألمانية" الذي تَرَك دراسته جانباً وخطط للغزو إذاً من الفاشلين؟ وإن شئتَ فقل: استفاد بما حصّله حتى اللحظة عملياً، لكنه لم يُكمِل دراساته العليا!

ومِن قبله شهداء "بئر مَعونة" وهم صفوة القُرّاء زمنَ النبوة، قُتِلوا واحداً واحداً في كَمينٍ من الغَدْر نُصِبَ لهم، فهل هؤلاءِ من الفاشلين؟

وفي حروب المرتدين اسْتَحَرَّ القتل فيمن تَبَقّى من القُرَّاء، فكانوا إذاً من المجاهدين لا القاعدين، وكونُ الرجل من "القُرّاء" في زمنهم كشهادة شرفٍ بدرجة ممتاز جداً عندنا!!!

ــ هل النجاح أن ندعم العولمة والاندماج والحضارات وتوحُّد الأديان؟ فمحمد ﷺ فاشل كبير عندكم!! كيف لا وقد روى لنا الإمام البخاري في صحيحه (ومحمدٌ فَرَّقَ بين الناس)؟ وأخرج أبو داود والحاكم في حديث صحيح (...فتنة الدُّهَيْماء لا تَدَعُ أحداً من هذه الأمة إلا لَطَمَتْه لَطْمة، فإذا قيل: انقضت تَمادت، يُصبح الرجل فيها مؤمناً، ويُمسي كافراً حتى يَصير الناس إلى فُسطاطين: فُسطاطِ إيمانٍ، لا نفاقَ فيه، وفُسطاطِ نفاق، لا إيمانَ فيه، فإذا كان ذاكم فانتظروا الدجال من يومه أو غده).

ــ هل النجاح بأن تَصفوَ حياتُك من المُكَدِّرات، والشدائد، واللأواء؟ فالأنبياء عندك إذاً – وحاشاهم– من الفاشلين! لأن (أشدُّ الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثلُ فالأمثلُ، يُبتَلى الرجل على حسَب دينه) البخاري.

أفلم يُبتلى نوح بسخرية قومه؟ أو لم يُبتلى يعقوب بضياع ابنه؟ أو لم يُبتلى يوسف بالعزيز: امرأتِه وسجنه؟ أو لم يُبتلى زكريا ويحيى بقتله وحزِّ رأسه؟ أو لم يُبتَلى رسولنا وصحبه بشَدِّ الحجر على بطنه؟ ثم أوَلَم يُبَشِّرْنا رسولنا بنصر ربه؟! (لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يَضُرُّهم مَن جَابهم إلا ما أصابهم من لأْواءَ، حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك) رجاله ثقات كما قال الهيثمي، والحديث حسن وله شواهد.

والذين شُهِّر بهم في الشِّعبِ /٣/ سنين، ومُنِعوا من حقوقهم المدنية إذاً هم جميعاً من الفاشلين!

ــ هل النجاح أن تكون مع الكثرة الكاثرة؟ فالأنبياء كلهم فاشلون بنظرك لأنهم كانوا قلةً في قومهم! وأيُّ بشارة أحلى من هذا الحديث الصحيح: (طوبى للغرباء... ناسٌ صالحون في ناسِ سوء كثير، مَنْ يَعْصِيهم أكثر ممن يُطِيعُهُم).

ــ هل النجاح بأن تعمل كثيراً من الطاعات ثم بعد عَشَرات السنين تفكر بالقتال؟ إذاً فهذا الذي أَسْلَم ثم دخل القتال فقُتل من الفاشلين؟ لكن الرسول ﷺ نبأنا مادحاً له: (عَمِلَ قليلاً وأُجِرَ كثيراً).

ـــ هل النجاح بمقدار المنجزات التي يحققها الفرد أو الجماعة أو الدولة لأمته أو شعبه؟ لكن رسول الله ﷺ نبَّأنا خلاف ذلك فقال: (سَبَق درهمٌ مئة ألف درهمٍ)! مع أن ١٠٠ ألف درهم تُطعم من الفقراء والمساكين أكثر من درهم، ومع ذلك كان الدرهم أسبقَ والمتصدق به أفضلَ؛ لأن له درهمين، فكأنه تصدق بنصف ماله، أمّا ذاك فكان عنده المال الوفير، فـ ١٠٠,٠٠٠ درهمٍ ليست شيئاً؛ فيا هؤلاء لا تَغُرَّنَّكم المنجزات المادية.

ـــ هل الناجح من كان ذا تلاميذ كثيرة؟ أو ذا دروس كثيرة؟ أو ذا مجموع عالٍ؟ أو ذا شهادة دنيوية متميزة بدرجة متميزة؟

ـــ الناجح: مَن رآه الله ورسوله ناجحاً؟ الناجح: مَن نَجَح في امتحان الدنيا لدخول نعيم الآخرة، لا يَختلف في هذا مؤمنان عاقلان؛ فأكبر طبيب جَرّاح إذا جَمع مع طبه شهاداتٍ عليا في الهندسات إلى شهاداتٍ عليا في علوم الشريعة إلى ما تشاء من الخيال... لو كان كل هذا لغير الله فهذا فاشل، ولو قالت الدنيا بلسان إبليس: إنه ناجح، ولو نال أكبر كمٍّ ونوعٍ من شهادات الامتياز.

ـــ ولو جَلس امرؤٌ يُوَاصِل الليل بالنهار يتعبد الله بألوان النوافل تاركاً للفرائض فهذا فاشل.

ـــ والذي يأخذ بالأسباب كلِّها فيدرس مواده الدراسية على مدار السنة أولاً فأولاً ثم يُفاجئه مرضٌ يمنعه من الذهاب إلى الامتحان، فهذا ناجح عند العقلاء، فاشل عن السطحيين ممن قَلبوا الموازين، أو انقلبوا مع القالِبين.

ـــ فهل "أهل الصُّفَّة" ممن لم ينالوا حتى شهادةَ الابتدائية، ولم يكن لهم بيتٌ مفروش ولا غسالة ولا برَّادٌ، بل لم يكن لهم بيت يُؤويهم إلا صُفَّةَ المسجد، ولا أهل لهم ولا مال ولا أحد، بل لم يكن لديهم طعام، حتى إذا أتت الرسول صدقةٌ بَعَثَ بها إليهم، لكنهم جنَّدوا أنفسهم وحياتَهم ومستقبلَهم لخدمة الإسلام، هل هؤلاء الصحْبُ العظام فاشلون؟ أجيبونا!

إنهم لم يَجلسوا يضربون أخماساً لأسداس لـ"تأمين مستقبلهم" الدنيوي؛ لأنهم يُطَبِّقون عملياً لا لسانياً (إذا أَصْبحْتَ فلا تَنْتظر المساء) البخاري من قول ابن عمر، إنهم لم يَوْجَلُوا مِن عَيْبِ الناس لهم، بل لم يَكْتَرثوا إلا برضا المولى عنهم، وكيف ذاك؟ إنه بمقدار خدمتهم للإسلام، وقد سَرَد أسماءهم "أبو نُعيم" في "الحِلية" فزادوا على المِئة، ومنهم أبو هريرة وهو من فقهاء الصحابة الكبار بل هو سيِّد الحفّاظ، وله قصص طريفة مع الجوع.

وبصَرْف النظر الآن هل هم فرَّغُوا أنفسهم لخدمة الدين أم لم تتيسر لهم "فرص العمل" في المجتمع فاضطروا؟ فهم في كلتا الحالين من الناجحين، وليت أحدَنا يكون كمعشار "أبي هريرة" علماً.

ــ بل الأدق أن نقول اليوم: إن ضابط النجاح هو بمقدار إعلاء كلمة الله؛ لأن كثيراً من المُخَلَّفين والمُخَذِّلين والمُرْجفين يَظهرون بمظهر الحكماء المُتَروِّيين الخادمين للإسلام والعاملين له؛ فالزخرفة الإسلامية، وتعليم أو تعلُّم الخط الإسلامي، والجلوس لأيام أو شهور وهو يَجْمَع لمسابقات اسمها "إسلامية" وأكثرُها يَصْدُق فيها: "عِلْمٌ لا يَنْفَع وجَهَالة لا تَضُرُّ" يومَ الدين، كل هذا عند أولئك خِدمةٌ للدين!!!

لذا فالدقة أن يكون المعيار اليوم: مقدار إعلاء كلمة الله؛ فأمريكة لا تُمانع بل لا تَأْبه بك مهما جلستَ تَفعل مثل هذا، بل تشجع مثل هذا من السِّلْمِيّات، فكل هذا لن يُعيد شبراً واحداً من أراضينا المحتلة.

ــ فلهؤلاء الشّانئين للمجاهدين المقاتلين قل لهم: حسبُنا أننا استفدنا من القتال رِضَا مولانا عنا، حسبُنا أننا نطيع ربنا فيما أَمَرَنا! فهل يقال: لَمْ نستفدْ من أمرك يا رب!!!!!

ــ حسبنا قوله تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ النساء١٠٠، فأيُّ وضوحٍ بعد هذا؟ وقد مرّ معنا من قليل ما حكاه خبّاب.

ــ حسبنا أنّ (مَن فَصَل في سبيل الله فمات أو قُتِل أو وَقَصَتْه فرسه أو بعيره أو لدغته هامَّة أو مات على فراشه بأي حَتْف شاء الله، فإنه شهيد وإن له الجنة) أبو داود والحاكم وهو حسن، فسواءٌ علينا وَجَدنا نتائج طاعتنا لأمر ربنا في الدنيا أو لا ما دُمْنا ضَمِنّا الآخرة.

ــ يكفي أن المجاهدين أينما كانوا يُشعِرون الأمة بعزتها بعد هزيمتها النفسية! كيف لا؟ ولَمْ يستطع "الدب الروسي" هزيمة الأفغان مع أن نسبة الفقر فيهم ٩٠%، وهل كان برلمانٌ -أيُّ برلمان- بوسعه إخراجُ "روسية" من بلاد المسلمين؟ وسيفقأ التاريخ عيون المتخلفين عن الجهاد بنصرة عبادة اليوم على أمريكة، وإن غداً لناظره لقريب، (ولكنكم تستعجلون) البخاري، اللهم فنصرك الذي وعدت.

ــ ستعود الخلافة ولو بعد حين وستُفتَح روميَّة كما صحَّ في الحديث، أمّا متى فليست مهمتَنا، وإنما كُلِّفنا بالعمل والنتائج لله؛ فكثير من الصحابة قُتلت ولم ترَ النتائج، فقولوا: ﴿إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ يوسف٩٤.

ــ وهكذا قال المنافقون فيما مضى، قالوا بعد غزوة "الرَّجيع": يا ويح هؤلاء المفتونين الذين هَلَكُوا هكذا! لا هم أقاموا في أهليهم ولا هم أدَّوا رسالة صاحبهم، وسيقولون: لا هم سَلِموا ولا هم استطاعوا إزالة الكفر الذي يحاربونه ولا هم أقاموا دولة الإسلام ...! سيقولونها كما قالوا بعد أُحد: (ارجعوا إلى

دين آبائكم)، سيقولونها إن وقع مكروه أو تعرّض المجاهدون للسجن أو التعذيب أو القتل سيقولون: دعوها فإن هذا سبب هذه المصائب أضاع مستقبلكم و لم تتحقق أمانيكم، ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ البقرة٢٠٤ ، فقل لهم: ﴿ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ﴾ الأعراف٨٩.

ـــ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ ﴾ آل عمران١٥٦.

ـــ وهل يقال: ماذا استفاد علي ﵁ من محاربة معاوية ﵁؟ هل يقال: ماذا استفادوا من "أُحد" ومن "بَلاط الشهداء"؟

ـــ هل يُقال: ماذا استفاد مؤمنو "أصحاب الأُخدود" الذين اُلْقوا جميعاً كباراً وصغاراً في أتون نارٍ في مقبرة جماعية!!... هم الذين مدحهم ربنا في "سورة البروج".

ـــ ماذا استفاد من قام إلى سلطان جائر فوعظه فقتله السلطان؟ إنه في نظركم متهور أَخْرَق، فاقد للحكمة بعيد عن الاتزان! فلا السلطان اتعظ ولا لحياته أبقى!

لكنه بنظر سيد الحكماء أفضل الجهاد! (أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر) أحمد والحديث صحيح، فإن لم تكونوا أمثال هؤلاء الأبطال فهلا سَكَتُّم وحفظتم ماء وجوهكم!

ـــ كم هم ساذجون أولئك الذين يُلَقْلِقون كالببغاوات قائلين: ما أن انتهى الجهاد الأفغاني حتى صار بأسُ المجاهدين فيما بينهم؟! كم هم بُلَهاء! وإن شئت فقل: عُملاء خبثاء!

فلو أنك زكّيت مالَك لفلان فارتد المُزَكّى عليه وحارب الإسلام بهذا المال، أفَكُنْتَ تترك الزكاة من أصلها أم تذم المنحرفين؟ وما حَدَثَ ليس إلا من سُنَنِ الله الكونية؛ إذ لما كانت يَدُهُم واحدة هَزم الله على يدهم جيش روسية، فلما تنازعوا فشِلوا وذَهَبَت رِيْحُهم، فبالتوَحُّد انتصرنا وبالتفرق هُزِمْنا، وهيهات أن يؤديَ الجهاد إلى اختلاف المسلمين! والمنصف يَذُمُّ اختلافَهم الآن ولا يَذُمُّ جهادَ /١٣/ سنة، ثم أَلَم يَرتدَّ أحدُ كُتَّاب الوحي (عبد الله بن أبي السَّرْح)؟ أفَيُلام الرسول ﷺ لأنه جعله كاتباً للوحي فيما مضى؟!!

ـــ إن من قدَّم روحه لإعلاء كلمة الله من أكبر الناجحين، ويكفينا أن سيد الناجحين الرسول الأمين ودَّ لو يُقتَل مراراً ثم يُحْيا! فلا تُبالوا إخوة الجهاد، طِبتم وطاب جهادكم، والله معكم ولن يَتِركم

أعمالكم بإذن الله؛ فإن لُوحِقْتَ لأجل دينك فأنت ناجح، وإن سُجِنْتَ فأنتَ نــاجح، وإن وَسَــمَتْك مدرسة "كفِّ الأيدي" بالتهور فأنت ناجح، وإن... وإن... وإن رَغِمَت أنوفهم فأنت ناجح! فاسأل الله القَبول.

ــ وبعد هذا... لو أنك تَفحَّصْتَ الخارجين إلى ساحات الجهاد لرأيتَ فيهم عظماء النــاجحين - بنظر السطحيين- ففيهم الطبيب، والمهندس، والكيميائي، والزراعي، والتاجر، والخــبير، فــيهم أُنــاس سَطَّروا بآثارهم كتباً في العلوم العسكرية لا نزال حتى الآن نستفيد منها، وحســبك أن تنظــر تــراجم المجاهدين من نوافذ "الإنترنت" لترى مَبْلَغ افتراء المُفترين.

ــ وفي الختام أقول للمُخَذِّلين: الحمد لله أنكم اعترفتم على الأقل بأن الجهاد مَنْفَذٌ فَعَّالٌ للفاشــلين، بمعنى أنه يُغَطِّي على الفشل ويُعيد السعادة لمن فشلت معه علاجات أهل الدنيا، والفضلُ ما شَهِدَت بــه الأعداء، فقد صحّ أن (الجهاد في سبيل الله بابٌ من أبواب الجنة، يُنَجِّي الله به من الهم والغَمّ) أحمد والحــاكم والحديث صحيح، وصدق رسول الله.

ــ ولعلها من سعادة المرء اليوم أن يرزقه الله الفشل في دراسةٍ لا تصبُّ في ساقية الجهاد أو في تجارة أو في زراعةٍ لتكديس الأموال عساه تنقطع شهوته من هذه الدنيا فيتجه إلى ساحات الجهاد، حتى إذا ما ذاق لذة الجهاد، وحلاوة القرب من الله، ونَشوة البذل لإعلاء كلمة الله صار مع الجهاد كالسمكة مــع الماء لا يُمكنها العيش دونه، كيف لا وقد استعذب حلاوته؟ وعندها يقول: الحمــد لله الــذي مَــنعني فأعطاني، فــ"ربما مَنعك فأعطاك، وربما أعطاك فمنعك".

ــ ولكنْ ما كان العيش في سبيل الله أصعبَ من الموت في سبيل الله قطُّ، وتلك المقولة شبهةٌ سخيفة من باب الفلسفة الكلامية، يَضحك قائلها على نفسه، ويُبدي عن قلة علمه، وضعفِ نظره؛ فكم الفرق شاسعٌ بين من يعيشُ ليموت وبين من يَموت ليعيش غيره؟! فأولئك مهما فعلوا وأنتجوا مــن روايــات وقصص ومعدّلات عالية في الكليات فنهايتهم الموت لكنهم لم يُساهموا حقيقةً في حماية المستضعفين مــن أبناء المسلمين، بيدَ أنّ المجاهد العمليَّ يَهَبُ روحه ليعيش غيره!

والله الذي اشترى من المؤمنين أنفسهم مقابل الجنة هل لعيشهم في سبيل الله أم لخوضــهم حيــاض الموت في ســبيل الله؟ ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَ ﴾، فالجنة مقابل ماذا؟ ﴿ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَ ﴾ التوبة١١١، وليس مقابل: يَعيشــون في سبيل الله.

وهو تعالى تَكفَّل ﴿ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ ﴾ محمد٤-٦، فهل تكفَّل بهذه الصراحة لمن عاشوا!!!

وقد مرَّ بنا أجرٌ كبيرٌ جداً أعده الله للمجاهدين والمرابطين والشهداء، فإن كان هذا أسهلَ بزعمكم فهيا أرونا صدقكم وإنصافكم، فهل رأيتم عاقلاً يَترك الأسهل ذا الأجر الوفير الذي لا يُدانيه أجرٌ آخــر إلى الأصعب؟!

والرسول الأمين تمنى لو يُقتل مراراً في سبيل الله، وربّى تلاميذه على التسابق إلى الموت في سبيل الله، فهل كان يرشدهم إلى الأدنى أم إلى الأعلى؟ فإذا كان العيش في نظركم أصعب من الموت في سبيل الله فهلا تسابقتم إلى الأسهل كتسابق تلاميذ أبي القاسم إن كنتم صادقين؟

فالرسول وصحبه تَغصُّ سيرهم بالجهاد القتالي فهلا ملأتم حياتكم ولو نصفَ سنة بجهــادٍ قتــالي؟ فليتكم تعيشون حياتكم كما عاشها النبي وصحبه؛ كلُّها من غزوة إلى غزوة، أفلم يكن عيشهم –علــى حدّ تعبيركم– في سبيل الله أم أنكم أنتم فقط الذين تعيشون في سبيل الله؟ فسبحان قاسم العقول.

وهل مَن يُرابط تاركاً أهله وماله وزوجه كمن هو جالس في دفء بيته أيــام الشــتاء، أو في بــرد المكيِّفات أيام الصيف؟ هل من ينام ملء جفنيه كمن يَسهر لينام غيره ممن خلفه؟

أوليس المجاهد قد تصيبه رصاصة تشلُّه أو مرض عضال يُقعِده، أو تُقطع رجله أو يده أو تُفْقأ عينــه؟ فأيهما أسهل هذا أم عيشُكم الذي نراه بين الدعوات إلى وجَبات اللحم والشحم، والمُحَمَّر والمُصَفَّر؟

و لم نسمع أحداً سمى بهذه التسمية: العيش في سبيل الله!!! لأن "في سبيل الله" مصطلح شرعي يُــراد منه الجهاد القتالي كما مرَّمعنا مفصّلاً في المقدمة.

وحتى لو كان العيش الذي تزعمونه أصعب من الموت فلا يعني هذا أنكم أُعْفيتُم من الأسهل لأن الله فرض علينا الأسهل –بزعمكم– واتفق الفقهاء على تحوله إلى فرض عين في أيامنا.

٦ـ فإن **قالوا**: لكنّ الجهاد بالمال اليوم أهم من النفس، فحسبُنا أن نجاهد بأموالنا! **فقل** لهم:

ـ بل الجهاد بالنفس أهم بدليل آية الصفقة الرابحة: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾التوبة١١١، فبدأ بالنفس عند الشراء، وهي الآية الوحيدة الفريدة، بينما في سائر الآيات الأخرى -وهي عشر- بدأ بالمال قبل النفس؛ لأنه يَسبق الجهاد بالنفس زمنياً، فلن تصلَ أرضَ القتال دون مال (طائرة، سيارة، بعير...)، ولا ريب أن خير الجهاد مَن خرج بماله ونفسه فلم يرجع منهما بشيء، كما في الحديث، وكلامنا هذا إذا كانت الواو أصلاً تُفيد الترتيب عند اللغويين، فالواو لا تفيد الترتيب، لكن المُخذِّلين يَحتجون بما يشاؤون وقتَما يشاؤون، وتراهم بما يَحتجون يَقتنعون.

ـ والواقع يقول: إننا بحاجة إلى الرجال، ولو كان الجهاد فرض كفاية لكان لك أن تكتفيَ بالمال، أمّا في فرض العين فـ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾التوبة٤١، و﴿ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾التوبة٣٩، وعندما يَتَعَيّن الجهادُ يُقدَّم على الصلاة عند الثلاثة إلا الحنابلة، فلا يُغني دفع المال عن الجهاد بالنفس كما أنه لا يُغني دفع مبلغ من المال ليصوم عنه أو يصليَ عنه "فُلان"؛ لأن الجهاد إذا صار فرضَ عين لم يَعُد بينه وبين سائر الفرائض من صلاة وصيام و... أيُّ فَرْق.

ـ وهل أغنى عثمانَ ﷺ أن يَتَبَرَّع بماله عن الخروج بنفسه في غزوة العُسرة هذه؟! وهل أغنى "عبد الرحمن بنَ عَوْفٍ" ﷺ عن الخروج بنفسه في غزوات المسلمين؟ وهل استدل أحدٌ من الصحابة في الفتوحات الإسلامية بما استدللتم به ليتخلَّفوا عن الحرب؟!

ـ ورغم أنهم بأنواع الجهاد إلا القتالي يُدَنْدِنون (الجهاد بالسِّنان والمال واللسان والبَنان) فهل يا تُرى بأموالهم كلِّها أو نصفها يتصدقون، أم أنهم بعُشْر مُرَتَّباتهم على الله يَمُنُّون، ولِتِسْع أعشارها يَدَّخِرون، وعلى أهليهم يُنفقون، ولنصيب السَّهرات لا ينسَون ثم يقولون: نحن أيها الناس مجاهدون مجاهدون مجاهدون!!!

٧ـــ فإن قالوا: أُخرج إلا من بلاد الشام، لِفَضْلِها، وفضلِ الرباط فيها، وتبشير الرسول ﷺ بعِصْمَتِها من الفتن، والعملُ لفلسطين أولى وأفضل مما سواها. فقل لهم:

ـــ لكن الصحابة تركوا "مكة" و "المدينة" فضلاً عن "بلاد الشام" للغزو في سبيل الله، وحاصر ابن عمر ﷺ رامَهُرْمُزَ كذا شهراً في الثلوج، وخيرُ الهدْي هدْيُ السلف الصالح (كلما سمع هَيْعَة أو فَزْعة طار إليها...) مسلم، ثم إن صفة الطائفة المنصورة (...يقاتلون...)، فهل أنتم تقاتلون بل هل أنتم بما تفعلون هنا مرابطون؟ وما هو الرباط؟! وهل أنتم الآن في بيت المَقْدِس أو أَكْنافه؟! إذاً فلا يَبْعُد أن تكون "تركية" و"اليونان" من أكناف بيت المقدس أيضاً! وأكاد أجزم أنه لو تيسّر لأحدكم عَقْدُ عمَل في دولة ثَرِيّة لَطَلّق بلاد الشام ثلاثاً، وحُجَّتُكم –آنذاك– أنكم ستَجْمَعون المال للإعداد في سبيل الله...! فتَأَمَّلْ.

ـــ صَدَقْتَ! إنّ فلسطين أولى وأفضل من غيرها! إن قتال اليهود أولى من قتال الروس مثلاً، ولكن الله يريد منا قتالَهم وأنتم تريدون تصنيف كتبٍ تشرح تاريخ فلسطين! الله يريد منا النفير وأنتم تريدون التثاقل إلى الأرض! وحتى تخدعوا الرَّعاع تقولون: نحن نعمل لفلسطين! فهل القتال في فلسطين متيسّر؟ إن الحكومات تسعى جاهدة لمنعه.

ـــ يا عُبَّاد فلسطين أخبروني! لو هجم العدو على أرض ألا يجب بالإجماع النهوض لقتالهم وإخراجهم؟! فالفرض هو القتال، فإن عَجَزْنا وَجَبَ الإعدادُ لهذا الفرض (القتال).

ـــ ولما سئل الشيخ "عبد الله عزام" رحمه الله: كيف تركْتَ فلسطين وأنت ابن فلسطين ورحْتَ تقاتل في أفغانستان؟ فأجاب: مسجدك إن تهَدَّمَ هل تترك الصلاة حتى يُبْنى أم تذهب وتصلي في مسجد آخر؟ بوسنة، شيشان، كَشمير... ريثما يُصلَح المسجد أو ريثما تستطيع أن تُصلحه بنفسك، وعندها تعود.

الناس يَعيبون علينا جهادنا في أفغانستان وترك القدس ولكننا كلنا أبناء فلسطين، والفرق بيننا وبينهم أننا عندما أُغلقت الأبواب في وجهنا بحثنا عن أرض تُعيد نور جذوة الجهاد في نفوسنا، حتى إذا فتحها الله رجعنا إليها، وذلك خيرٌ من أن نبقى بعيدين عن الجهاد، والذين يظنون أن أفغانستان مُضِرَّة لفلسطين فهؤلاء واهمون.

ماذا يقدم الذين يشتاقون لفلسطين ويَعيبون علينا تركها وعملنا في أفغانستان؟ فاليهود إذ أرادوا فلسطين ظلوا /٥٠/ سنة يُدَرِّبون أنفسهم وهم أبناء العشرين، وشكلوا فيلقاً في الحرب العالمية الثانية ليأخذوا حنكة الحرب، ثم جاؤا إلى فلسطين، نحن نحب فلسطين وننظر إلى الجهاد فيها دون تفريق بين الأقاليم، فماذا أعدوا هم لفلسطين؟

ما هي إلا أيام ونتزوج ونتعلق بالأولاد ثم نجد أنفسنا مُقْعَدين لا نُقَدِّم لديننا شيئاً.

ــ فلو فُتِحَت جَبْهَةٌ قِتَالية حقيقية ضد اليهود لقلنا لهم: صدقتم والله هاهنا أولى مما سواها ولكن هل يُقارَن السيف بالعصا؟ هل نقارن الــ RPG بــ الحجر؟! والحجَر خيرٌ من الكلام دون الفعال.

ــ نعم لو لم تكن ثَمَّةَ جبهة إسلامية الْبَتَّةَ في مكان من الأرض، وأردنا أن نفتح جبهات بعدد الأراضي المحتلة فأَوْلاها ولا شك بيت المقدس، لكن إن استطعنا في مكان غيره أفنترك القتال بحجة الإعداد لفتح جبهةٍ إسلامية ببيت المقدس؟ وكيف؟! بتأليف الكتب والــ CD التي تَشْرَحُ تاريخ فلسطين؟! أهكذا تُحَرَّر فلسطين؟ أم بالذهاب إلى "المدينة" للإعداد ثم نعود إلى "مكة" للفتح كما فعل رسولنا ﷺ؟!

ــ هل قال رَبُّنا: لا تقاتلوا في أي بقعة حتى تُحَرَّر فلسطين؟ وهل أُخْتُكَ الأردنيةُ أو الفلسطينيةُ أكثر أهمية من البوسنِيَّةِ أو الطاجيكية أو الأفغانية؟ فأنتم رُغم صراخ نساء المسلمات تُرَدِّدون –بلسان حالكم على الأقل– نحن نعمل لفلسطين! وما الفرق عند الله بين مصر والفلبين؟ فالأرض لله ويجب أن تكون لعبادة الله.

بل أكاد أجزم أنكم يا عُبَّاد فلسطين: حتى لو فُتِحَت جبهة إسلامية صافيةُ الراية في فلسطين لبَقِيتم في بلادكم، وحُجَّةُ كُلٍّ مِنْكُم: نحن ندعم الجبهة القتالية إعلامياً ومالياً، وأقول: أخبرونا! أنتم أنفسكم ماذا كنتم تفعلون قبل تَيَسُّرِ الجهاد الكلامي والتعبَوي –على حد تعبيركم– في هذه الأيام؟، أين كنتم قبل أن يتيسر لكم دعم الانتفاضة عن طريق القنوات الحكومية؟ لا ريب في أحضان زوجاتكم؟ أو في الإعداد للجلوس في أحضان زوجاتكم! وعذراً فالحق أحق أن يُقال!

وفي الهيجاء ما جَرّبْتُ نفسي ... ولكن في الهزيمة كالغزال
أُحَمِّس في الوغى شجعان قومي ... وأَحمي ظهورهم عند النزال
ولي عَزْمٌ يَشق الماء شقاً ... ويَفقس بيضتين على التوالي
وتلك مَزِيَّة الشجعان مثلي ... يَفِرُّ عدوُّها قبل النزال

ــ ولو كنتم صادقين حقاً لَرَضِيتُم من الدنيا بالقليل اليسير وأنفقتم ما سواه في وجوه جهادكم المزعوم، ولعلكم ترَون أنفسكم حكماء تعملون على المدى الطويل، فلا بأس أن تَسْهَروا وتَتَمَزْرَعوا (= الذهاب إلى المزارع) وترتادوا النوادي للّهو والتسلية عما تلاقونه من عَناء الجهاد، أمّا الرسول ﷺ وصحبُه فكانوا مُتَسَرِّعِين بعضَ الشيء أو أن "زماننا غير زمانهم"!!!

ـــ وبعضُهم يَحسَب نفسه كـــ "صلاح الدين" يُعِدُّ لحرب الصليبيين وما أَدْرَكَ أن إعداد "صـــلاح الدين" كلَّه يَصُبُّ في ميادين القتال: تَعَلُّم الرماية والدبابات والطيران... بينمـــا إعـــدادكم يصُـــبُّ في الجيوب و"الكروش"! وقارِن بين عَيْشِهِ وعيشكم، فِلَسطينكم بالكلام والسهرات والصـــور وفِلَســـطينه بالحُرقة والعمل ليلاً نهاراً!

القدس لا ترجع بالكلام إنما بالعمل، حتى إذا علم الله منا صدقاً فتَحها لنا، لا بد من فرائض نطبقها على أنفسنا كفريضة الإعداد (ألا إن القوة الرمي).

ـــ راجع فِقْرة "زماننا غير زمانهم" رقم ٥ لترى هل إعدادك المزعوم في بلدك من أجـــل فلســـطين مشروع أم أنك حقاً مخدوع! وراجع فقرة "الإصلاحات الجزئية".

ـــ فإن احتُلَّت أرض إسلامية وجب الخروج لقتال المحتل، فإن عَجَزْتَ وجب الإعداد للقتال، فـــإن لم يتيسر لك الإعداد فالهجرة إلى مكان تُعِدُّ فيه لتعود مطهراً الأرض من الكافرين أو المرتدين.

وإليك أقوالَ العلماء في الهجرة وحكمها وضوابطها:

١ـــ فتح الباري ٣٠٨/٦ -دار المعرفة-: (فلا تَجبُ الهجرة من بلد قد فَتحه المسلمون، أمّا قبل فتح البلـــد فمَن به من المسلمين فَأَحَدُ ثلاثة: الأول: قادر على الهجرة منها لا يمكنه إظهارُ دينـــه ولا أداءُ واجباتـــه فالهجرة منه واجبة، الثاني: قادرٌ لكنه يُمكنه إظهار دينه وأداء واجباته فمستحبة لتكثيرِ المســـلمين بهـــا ومعونتهم، وجهادِ الكفار، والأمنِ من غدرهم، والراحةِ من رؤية المنكر بينهم، الثالث: عاجز بِعُذْر مـــن أَسْر أو مرَضٍ أو غيره فتجوز له الإقامة فإن حَمَل على نفسه وتكلَّف الخروج منها أُجِرَ)، وفي ٢٢٩/٧: (وقد أَفْصَح ابن عمر بالمراد فيما أخرجه الإسماعيلي بلفظ: انقطعت الهجرة بعد الفتح إلى رسول الله ﷺ ولا تنقطع الهجرةُ ما قُوتِلَ الكفار؛ أي ما دام في الدنيا كُفْرٌ، فالهجرة واجبة منها على من أَسْلم وخشي أن يُفتن عن دينه، ومفهومه أنه لو قُدِّر أن يبقى في الدنيا دار كفر أن الهجرة لا تَنْقَطِعُ لانقطاع مُوْجِبِها والله أعلم)، وسيأتي مِن كلام التهانوي -إن شاء الله- ضابطُ الفتنة عن الدين.

٢ـــ فتح الباري ١٢٢/٦ -دار الفكر-: (قال الخطَّابي وغيرُه: كانت الهجرة فرضاً في أول الإسلام على من أسلم لِقِلَّةِ المسلمين بالمدينة وحاجتهم إلى الاجتماع، فلما فتح الله مكة دخل الناس في دين الله أفواجـــاً، فسقط فرض الهجرة إلى المدينة، وبقي فرض الجهاد والنية على من قام به أو نزل به عدو اهـــ. وكانت الحكمة أيضاً في وجوب الهجرة على من أسلم لِيَسْلَم من أَذَى ذويه من الكفار، فكانوا يعذِّبون من أسلم إلى أن يرجع عن دينـــه، وفـــيهم نزلـــت ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾

النساء٩٧ ، وهذه الهجرة باقية الحكم في حق من أسلم في دار الكفر وقَدَر على الخروج منها، وقد روى النسائي: (لا يقبل الله من مشرك عملاً بعدما أسلم أو يفارقَ المشركين)، وهذا محمول على مَن لم يَأْمَنْ على دينه... قوله: "ولكنْ جهاد ونية" قال الطيبي وغيره: ...المعنى أن الهجرة التي هي مفارقة الوطن التي كانت مطلوبة على الأعيان إلى "المدينة" انقطعت إلا أن المفارقة بسبب الجهاد باقية، وكذلك المفارقة بسبب نية صالحة كالفرار من دار الكفر والخروج في طلب العلم والفرار بالدين من الفتن...)، وفي ٦٣١/٧: (...زرتُ عائشة... فسألناها عن الهجرة؟ فقالت: لا هجرةَ اليوم كان المؤمنون يَفِرُّ أحدهم بدينه إلى الله تعالى وإلى رسوله مخافةَ أن يُفْتن عليه، فأما اليوم فقد أَظْهَرَ الله الإسلام واليومَ يَعْبُد ربَّه حيث شاء !!! ولكن جهادٌ ونية"...، ومِن ثَمَّ قال الماوردي: إذا قدَر على إظهار الدين في بلد من بلاد الكفر فقد صارت البلد به دار إسلام فالإقامة فيها أفضل من الرِّحلة منها لما يُتَرَجَّى من دخول غيره في الإسلام) اهـ ، وعبادة الله ليست الجمعة والجماعة والزكاة والحج فحسبُ، فالتحاكم إلى شرع الله وترك الربا وإقامة الحدود كلها من العبادات التي لا يمكن أن نقوم بها في بلادنا اليوم، بل حتى اللحية التي هي من خصال الفطرة لا يمكن لكثيرين أن يقوموا بها، بل يُرْغَمون على حلقها أو يُطردون من عملهم!

ـ وعند حديث (لا تَنْقَطع الهجرة ما قُوْتِل الكفار) رجاله ثقات، قال ابن النحاس في تهذيب مشارع الأشواق صـ٨٣: (والحديث دَالٌّ على وُجوبِ الجهاد، وليس وجوب الهجرة، ومعناه: كُلّ من آمن وجاهد الكفار فهو لاحِقٌ بالمهاجرين في الفضل ولو لم يهاجر من بلده) اهـ، وعند النَّسائي وابن حِبَّان: (ما قوتل العدو)، وعند الطبراني: (إن الهجرة لا تنقطع ما دام الجهاد) رجاله ثقات كما قال الهيثمي، وعند أحمد بنحوه، وفي رواية: (...ما كان الجهاد) رجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي.

ـ صريح جواب الصادق المصدوق ﷺ لما سأله صحابي: (...فأيُّ الهجرة أفضل؟ قال ﷺ: الجهاد، قال: و"ما الجهاد"؟ قال ﷺ: أن تقاتل الكفار إذا لقِيْتهم، قال: فأي الجهاد أفضل؟ قال ﷺ: مَن عُقِر جواده وأُرِيْقَ دَمُه) أحمد وهو صحيح.

٣ـ الفتح ٥٣٥/١٤ -دار الفكر-، باب من كَره أن يُكَثِّر سواد ... رقم ٧٠٨٥: (...أن أناساً من المسلمين كانوا مع المشركين يُكثِّرون سَوَاد المشركين على رسول الله ﷺ ... فأنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ : فِيمَ كُنتُمْ ؟قَالُوا۟ : كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ :أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ؟!! فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾ النساء٩٧.

قال ابن حجر رحمه الله: (فيه تَخْطِئَةُ من يُقيم بين أهل المعصية باختياره لا لِقَصْدٍ صحيحٍ من إنكارٍ عليهم مثلاً أو رجاءِ إنقاذ مسلم من هَلَكَةٍ، وأن القادر على التحول عنهم لا يُعذَر، كما وقع للذين

كانوا أسلموا ومَنَعَهم المشركون من أهلهم من الهجرة ثم كانوا يَخرجون مع المشركين لا لِقَصْدِ قتال المسلمين بل لإيهام كثرتهم في عيون المسلمين، فحصلت لهم المؤاخذة بذلك)، وفي ٩/١٤١ رقم ٤٥٩٦ حول نزول ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ... ﴾: (استنبط سعيد بن جُبير من هذه الآية وجوبَ الهجرة من الأرض التي يُعمل فيها المعصية) اهـ لأن فيها تكثيراً للسواد، وفي ١٤/ ٥٠٠ -دار الفكر- كتاب الفتن: (ويؤخَذُ من هذا الحديث استحباب هجر البلدة التي يقع فيها إظهار الفتن فإنها سبب وقوع الفتن... قال ابن وهب: عن مالك تُهْجَر الأرض التي يُصنع فيها المنكر جهاراً وقد صنع ذلك جماعة من السلف)، وفي ١٤/٥٦٣ كتاب الفتن: (وقد شوهد... البلد من بلاد المسلمين يهجمها الكفار فيبذلون السيف في أهله، وقد وَقَعَ ذلك من الخوارج قَديماً ثم من القرامِطَة ثم من الطَّطَر أخيراً والله المستعان... وأمّا مَن أمر ونهى فهم المؤمنون حقاً لا يُرْسِلُ الله عليهم العذاب بل يَدفع بهم العذاب، ويؤيده قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ القصص٥٩، ويَدُلُّ على تَعْميم العذاب لِمن لم يَنْهَ عن المنكر، وإن لم يتعاطاه قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ﴾ النساء١٤٠ ، ويُستفاد من هذا مشروعيةُ الهرب من الكفار ومن الظَّلَمة؛ لأن البقاء معهم مِن إلقاء النفس إلى التهلكة، هذا إذا لم يُعِنْهم و لم يَرْضَ بأفعالهم فإن أعان أو رضي فهو منهم، ويُؤَيِّدُه أمرُه بالإسراع بالخروج من ديار ثمود... وفي الحديث تحذيرٌ وتخويف عظيم لمن سكت عن النهي فكيف بمن داهن؟ فكيف بمن رضي؟ فكيف بمن عاون؟ نسأل الله السلامة) اهـ، قلت: هذا بمُجَرَّدِ ظهور المعصية فكيف إن أُلْغِيَت أحكام الله؟ بل جُبِرْتَ على معصية الله من صغيرها إلى كبيرها، وقد تَرَكَ أبو الدرداء معاويةَ رضي الله عنهما في الشام لّما خَالَفَ حديثاً واحداً، وحلف أن لا يساكنه؛ كما في "الإحكام" لابن حزم.

فأنا كعبد يُطْلَب مني تطبيق قوانين الله كلها كيفما كانت، فإن لم أستطع ذلك أترك الأرض هذه وأحاول جاهداً تخليصها مما ران عليها قل: ﴿ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ العنكبوت٥٦ ، فإذا لم تستطع في هذه البلدة فسافِر، وإن خفت على عيالك ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ﴾ العنكبوت٦٠.

وإذا بقينا في البقعة التي لا نستطيع عبادة الله فيها فـ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ

﴿مَصِيرًا ٩٧﴾ النساء٩٧ ؛ أورد البخاري أن هذه الآية نزلت في مؤمني مكة الذين خرجوا مع أبي جهل في بدر إذ لم يهاجروا مع رسول الله ﷺ فقال أهل المدينة: نَقتل إخواننا!!! فأنزلها الله تعالى.

ـــ ويحلو لأقوامٍ أن يتشبثوا ولو بما لا يصلح دليلاً، فقط ليَضحكوا على أنفسهم بأننا معنا دليلٌ يُسوِّغ تركَنا الهجرة من البلاد التي لا نستطيع إقامة ديننا فيها؛ فمن ذلك استدلالهم بقول النبي ﷺ لما خَرج من مكة (واللهِ إني أعلم أنكِ خير أرض الله وأَحَبُّها إلى الله ولولا أنّ أهلَكِ أخرجوني ما خَرَجت) والحديث صححه ابن عبد البرّ في "التمهيد"، ولكنهم جَهِلوا أو تَجاهلوا ما أخرجه البخاري من قصة الهجرة (استأذن النبيَّ ﷺ أبو بكر في الخروج حين اشتد عليه الأذى فقال له: أَقِمْ، فقال: يا رسول الله! أتطمع أن يؤذن لك؟ فكان رسول الله ﷺ يقول: إني لأرجو ذلك..)، وفي لفظ أحمد في كتاب "فضائل الصحابة": (أُذِنَ لي بالهجرة)، وعند الحاكم (أقام رسول الله بمكة ينتظر أن يأذن الله له في الهجرة)، وفي المتفق عليه (أُمِرْتُ بقرية تأكل القرى)، فالرسول ﷺ أراد الهجرة لما أجدبت مكة وعجزت أن تعطي أزهاراً شذية العطر، وانتظر الإذن حتى أتى الإذن بل الأمر، أما قليلو العلم فيستشهدون موهمين أن الرسول يريد أن يبقى لكن قومه أخرجوه غَصباً، وإنما الصواب الذي تلتئم به الأدلة أن قوله (أخرَجوني) من باب التسبب، أي تسببوا بأن أقرر الخروج لما أعرضوا عن الدعوة وقاموا بالإيذاء والصد عنها، وهذا شائعٌ في لغة العرب من باب المجاز العقلي، وفي البخاري (...فلما ابتُلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة حتى إذا بلغ بَرْكَ الغِماد لَقِيَه ابن الدَّغِنَّة .. فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجَني قومي؛ فأريد أن أَسِيح في الأرض وأعبد ربي)، فنَسَب الإخراج إليهم مع أنه هو الذي خرج بنفسه، وذلك لأنهم بمضايقتهم وصدِّهم تسببوا بقراره ذاك، وأياً ما كان فنحن مُتعبَّدون بما مات عليه الرسول ﷺ لا بما بدأ به مما نُسِخَ حكمه، ونصوص العلماء صريحة في أن الله تعالى أذن لهم بالهجرة إلى الحبشة ثم إلى المدينة بهذه الصيغة (أذن)، وراجع كتب السِّيَر فهي متفِقة على هذا، وراجع "الأم" للشافعي تحت عنوان "الإذن بالهجرة" (كان المسلمون مستضعفين بمكة زماناً لم يؤذن لهم فيه بالهجرة منها، ثم أَذن الله عز وجل لهم بالهجرة وجعل لهم مخرجاً فأعلمهم رسول الله ﷺ أنْ قد جعل الله تبارك وتعالى لهم بالهجرة مَخرجاً وقال: ﴿۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ١٠٠﴾ النساء١٠٠ ، وأمرهم ببلاد الحبشة ....ثم أَذِن الله تبارك وتعالى لرسوله ﷺ بالهجرة إلى المدينة....) اهـ

ولماذا يؤمر الرسول ﷺ بالهجرة إلى المدينة؟ ولماذا الهجرة إلى الحبشة؟ لأنهم لم يستطيعوا عبادة الله، فلْتُتْرك خير بقعةٍ على وجه الأرض بنص الحديث الذي يستدل به أولئك، ومَن التارك؟ إنه سيد البشر.

٤ـ وفي مغني المحتاج للشربيني: (...المسلم المقيم بدار الحرب إن أَمْكَنَه إظهارُ دينه لكونه مطاعاً في قومه أو لأن عشيرته يَحْمونَه، و لم يَخَفْ فتنة في دينه استُحِبَّ له الهجرة إلى دار الإسلام لـئلا يُكَثِّر سوادَهم... وإنما لم يجب لقدرته على إظهار دينه .

تنبيه: محل استحبابها ما لم يُرْجَ ظهور الإسلام هناك بمُقامه، فإن رَجَاه فالأفضلُ أن يُقِيمَ؛ ولو قدَر على الامتناع بدار الحرب... وَجَبَ عليه المُقام لأن موضعه دار الإسلام، فلو هاجر لصار دارَ حرب فيَحْرُم ذلك، نعم إن رجا نُصْرَةَ المسلمين بهجرته فالأفضل أن يهاجر قاله الماوردي... وإن لم يُمْكِنْه إظهارُ دينه أو خاف فتنة فيه وجبَت عليه الهجرة رجلاً كان أو امرأة -وإن لم تجد مَحْرماً- لقوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾ النساء٩٧، ويُستثنى من الوجوب مَن في إقامته مصلحة للمسلمين، فقد حكى ابن عبد البر وغيره أن إسلام العباس... فكتب إليه النبي ﷺ: إن مُقامك بمكة خير، ثم أظهر إسلامه يوم فتح مكة، ويَلْتحق بوجوب الهجرة من دار الكفر مَن أسلم... ببلدة من بلاد الإسلام، و لم يقدر على إظهاره فتلزمه الهجرة من تلك: نقله الأذْرُعِي... وذكر البَغَوي مِثْلَهُ... فقال: يجب على كل من كان ببلد تُعمل فيها المعاصي ولا يمكنه تغيير ذلك الهجرة إلى حيث تَتَهَيَّأ له العبادة، فإن استَوَتْ جميع البلاد في عدم إظهار ذلك... فلا وجوبَ بلا خلاف) اهـ.

٥ـ وفي نيل الأوطار للشوكاني ١٨٨/٥ (قال الماوردي: إن قدَر على إظهار الدين في بلد من بلاد الكفر فقد صارت البلد به دار إسلام فالإقامة فيها أفضل من الرحلة عنها؛ لما يُتَرَجَّى من دخول غيره في الإسلام اهـ ولا يَخْفَى ما في هذا الرأي من المصادمة لأحاديث الباب القاضية بتحريم الإقامة في دار الكفر)، ثم قال الشوكانيّ: (والحَقُّ عَدَمُ وُجُوبِهَا من دار الفسق لأنها دار إسلام وإلحاقُ دار الإسلام بدار الكفر لمجرد وقوع المعاصي فيها على وجه الظهور ليس بمناسب لعلم الرواية ولا لعلم الدِّرَايَةِ، وللفقهاء في تفاصيل الدُّور والأعذار المُسَوِّغَة لترك الهجرة مباحثُ ليس هنا محل بسطها). لكن عَقّب التَّهانويُّ مُوَضِّحاً:

٦ـ إعلاء السنن للتَّهانوي ١٥٤/١٢: (قلت: إن كان الفاسقون يَحملونه على معصيةٍ -فعلٍ أو تركٍ- فلا شك في كون دار الفسق هذه في حكم دار الكفر، لكونه قد فُتن عن دينه فيها، وإن كانوا لا يحملونه على المعاصي، لكنه يخاف على دينه من مجالستهم ومواكلتهم ومشاربتهم لكون الطباع مُتَسَرِّقَة فالهجرة منها إلى دار الصلاح والصلحاء مستحبة حتماً ... وقال المُوَفَّق في المغني: "فالناس في الهجرة على ثلاثة أَضْرُب: أحدها: مَن تَجِبُ عليه وهو من يَقدر عليها، ولا يمكنه إظهار دينه وإقامة واجبات دينه

مع المقام بدار الكفار...، الثالث: من تُستَحب له ولا تجب عليه، وهو من يقدر عليها لكنه يتمكن من إظهار دينه وإقامته في دار الكفر، فتُستحب له لِيَتَمَكَّنَ من جِهَادِ وتكثير المسلمين ومعونتهم ويتخلصَ من تكثير الكفار ومخالطتهم...، ولا تجب عليه لإمكان إقامة واجب دينه بدون الهجرة).

ورزايا الطواغيت العرب مما لا يُحصيه العادُّ إلا بشق الأنفس، فمنها: إرغام الناس على التحاكم إلى قوانين بشرية لا دينية والتنكيل بمن تراوده نفسه بالمطالبة بتحكيم شرع الله:

ومنها: منع إقامة الصلاة كما شرعها الدين جماعة بل قد يمنعونها كلياً في عدد من القطع العسكرية.

ومنها: محاربة شرائع الإسلام من واجبات أو سنن؛ فاللحية ممنوعة في كثير من قطاعات الدولة وإلا هُدِّد مُطْلِقها بالطرد، والحجاب يُشَبِّهونه بأكياس القمامة ويَسِمون الملتزمة به بالتشدد، بل هو ممنوع في بعض دولنا العربية على من تريد التوظف في إحدى دوائر الدولة، وهناك شواطئ خاصة للفساق العراة أو شبه العراة ويُمْنَع المُتَسَتِّرون من دخولها حرصاً على السمعة السياحية من التشويه، وأما الدروس الدينية فممنوعة إلا لمن طأطأ رأسه وباعهم دينه أو من فعلها سراً أو تحت غطاء أحد كلابهم، ويلاحَق من يُقيمها في بيته ولو كانت لمدارسة القرآن، بل حتى من يُعطونه الضوء الأخضر إذا ما رأوه انساب في المجتمع بما يُرضي الله سارعوا لقطع لسانه، ويَمنعون حتى من تداول الأشرطة الدينية للتفقه في الدين بحجة أنها أفكارٌ رجعية من العصر الحجري، ويُهدد عملاؤهم بكتابة التقارير المخابراتية بمن لا ينصاع، وبالمقابل ترى المواقع الإباحية على الإنترنت (٩٠٪) منها غير محجوب في كثير من الدول العربية، بينما أغلب المواقع الإسلامية محجوبة، وترى لإفساد دين الناس مسالك نظامية: كالمعهد العالي للموسيقى، ومعهد التمثيل المسرحي، ومعاهد وفِرَق الفلكلور والرقص الشعبي،...إلخ، وأما ما تبثه القنوات الفضائية فحدِّث عن البحر ولا حرَج بحيث يُضيَّق على الشحيح بدينه إلى درجة الاختناق أو أن يبيع دينه أو جزءاً منه علناً أو بفتاوى أُجرائِهم!

ومن الرزايا: إجبار الشعب على التعامل بالربا شاء أم أبى؛ بالرواتب والضرائب....إلخ، حتى يُضطر المرء أن يُصاب من غباره لأن الدولة تتعامل بالربا فرواتب العاملين بها لا بد سينالها ما ينالها، ومن الرزايا تسلّط كثير من موظّفي الدولة على الناس مطالبين لهم علناً بالرشا، فساد في فسادٍ في فسادٍ، وبعد كلِّ هذا ألم يَحملوا الناس على معاصٍ هائلة فعلية أو تركية؟ فالهجرة يا قومنا إن وجدتم بلداً يُقيم حكم الله ولو أكلتم معهم الأحجار.

٧ــ مقدمة تاريخ الخلفاء للسيوطي رحمه الله صــ٨ عندما تحدث عن الفاطميين العُبيديين: (..والخَيِّرُ منهم رَافِضِيٌّ خَبِيْثٌ لئيم يأمر بسبِّ الصحابة ﷺ، ومثل هؤلاء لا تَنْعَقِدُ لهم بيعة، ولا تصح لهم إِمَامَةٌ)،

ثم نقل عن القاضي عِياض: (سُئل أبو محمد القيرواني الكيزاني من علماء المالكية عمن أكرهه بنو عُبيد على الدخول في دعوتهم أو يُقْتَل، قال: يختار القتل، ولا يُعذَر أحدٌ في هذا الأمر؛ كان أولُ دخولهم قبل أن يُعرَف أمرهم، وأما بعدُ فقد وجب الفرار، فلا يُعذَرُ أحدٌ بالخوف بعد إقامته، لأن المُقام في موضع يُطلب من أهله تعطيل الشرائع لا يجوز، وإنما أقام من أقام من الفقهاء على المُبَايَنة لهم؛ لئلا تخلوَ للمسلمين حدودهم فيفتنوهم عن دينهم).

٨ـ شرح النووي على مسلم عند حديث ٣٤٢٧: (......قال القاضي -أي عِيَاض- أجمع العلماء على أن الإمامة لا تَنْعَقِدُ لكافر، وعلى أنه لو طَرَأَ عليه كُفْرٌ وتغيير للشرع أو بدعة خَرَجَ عن حكم الولاية، وسَقَطَتْ طاعته، ووَجَبَ على المسلمين القيامُ عليه، وخَلْعُهُ ونَصْبُ إمامٍ عادل إن أمكنهم ذلك، فإن لم يقع ذلك إلاّ لطائفة وَجَبَ عليهم القيام بخلع الكافر، ولا يجب في المبتدع إلا إن ظَنُّوا القُدْرَةَ عليه، فإن تَحَقَّقُوا العَجْزَ لم يجب القيام، وليهاجر المسلم عن أرضه إلى غيرها، ويَفِرَّ بدينه ...).

٩ـ فتح الباري ١٢٣/١٣ -دار المعرفة- رقم ٦٧٢٥ (لا طاعة في معصية... وقد تقدم البحث... ومُلَخَّصُهُ يَنْعَزِل -أي الحاكم- بالكفر إجماعاً، فيجب على كل مسلم القيامُ في ذلك، فمن قَوِيَ على ذلك فله الثواب، ومن داهن فعليه الإثم، ومن عجَز وجبت عليه الهجرة من تلك الأرض) و ١٨/١٥رقم ٧١٤٤-دار الفكر-.

١٠ـ (إن الهجرة خَصْلَتان: إحداهما تَهْجُر السيئات، والأخرى تهاجر إلى الله ورسوله، ولا تنقطع ما تُقُبِّلت التوبة، ولا تزال التوبة تُقبَل حتى تطلع الشمس من مغربها ...) قال ابن كثير: حسن الإسناد، بل جاء في بعض ألفاظ حديث الغربة صراحةً (طوبى للغرباء، قيل: ومَن الغرباء؟ قال: النُّزّاع من القبائل) ابن ماجهْ والدارمي وغيرهما، واستشهد به النهووي في شرحه على مسلم: (وجاء فى الحديث تفسير الغرباء وهم النزاع من القبائل، قال الهروي: أراد بذلك المهاجرين الذين هجروا أوطانهم الى الله تعالى) اهـ، وقال المناوي: (أي الذين نَزَعوا عن أهلهم وعشيرتهم)، وفي لفظٍ آخر: (..الغرباء.. الفَرَّارون بدينهم) السنن الواردة في الفتن.

ـ فأَسْرِع بمغادرة الأرض التي لا تُقيم شرعَ الله، وإلا قيلَ فيك (لكنَّ البائسَ سعْدُ بنُ خَوْلَة). (راجع البخاري لمعرفة قصته).

يَلومونني أن بِعتُ بالرُّخْص منزلي ... وما علموا جاراً هناك يُنَغِّص
فقلت لهم: كُفُّوا المَلام، فإنما ... بجيرانها تغلو الديار وترخُص

٨ــ فإن قالوا: لعلهم عملاء، أو يُقاتِلون للملك أو..إلخ!، فخيرٌ لنا في هذه الفتن العزلة ؟!! فقل لهم:

والــدعاوى مــا لم تُقِيمــوا عليهــا بَيِّنـــاتٍ أصحــابُها أدعيــاءُ

ــ فبِقَولكم هذا هدَّمتم علم الجرح والتعديل كله؛ فهل وصلكم بنقل العدول الضابطين من مبتدأ السند حتى منتهاه مع السلامة من الشذوذ والعلة القادحة أن أولئك المجاهدين عملاء؟!!! وهل سَلِمَ الخبر من التصحيف أو التحريف أو القلْبِ أو الزيادة أو النقصان أو الإدراج من أحد الكَذّابين؟ فهكذا شأن العاجزين عن الحجج العصماء يلجؤون إلى الاتهامات العَرجاء أُسوةً منهم بأعداء الأنبياء!

ألا تراهم اتهموهم بالسعي إلى المناصب والحكم: ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ يونس٧٨.

ألا تراهم اتهموهم بالإفساد في الأرض والإتيان بدين جديد ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ٢٦ ﴾ غافر٢٦.

ألا تراهم اتهموهم بأنهم إذا اتبعوهم سيحصُل الفقر وتتعطل موارد الاقتصاد (كقطع السياحة وتعطيل دور الزنى والفنادق): ﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآ ﴾ القصص٥٧، ﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعۡتُمۡ شُعَيۡبًا إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ٩٠ ﴾ الأعراف٩٠.

ثم ألا تراهم اتهموهم بفرض الرأي بالقوة لا عن طريق الأغلبية: ﴿ فَأَرۡسَلَ فِرۡعَوۡنُ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ٥٣ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ ٥٤ ﴾ الشعراء٥٣-٥٤ ... ألا تراهم وتراهم... فليس في الأمر جديد، عباراتهم شتى والقُبْح واحد.

ــ وترى كثيراً من المُثبِّطين عن القتال من علماء السلطة تراهم إن كفَّر أحدهم الحاكم الظالم يدافعون وينافحون ويُمالئون ويَتَلَمَّسون له المَعاذير مع أن ضَلالَه بَيِّنٌ، وبالمقابل إذا ما زُكِّيَتْ جماعةٌ إسلامية مقاتلةٌ في مكانٍ ما تراهم يُهَوِّلون أكاذيبَ إذاعاتِ الكفر، ويُكَبِّرون الحَبّة لتغدوَ قُبَّة، ويَتظاهر بعضهم بالحكمة فيقول بلهجته المصرية: "واللهِ الجماعة الفلانية ..يعني..ما كانشِ من الحكمة إنها تعمل كِدا..."!

فهلا كِلتم بنفس المكيال لمن ظاهره الخيرُ ممن يقاتلون وهم على الحق ظاهرون، لكنهم على حد ما قالوا: أَسَدٌ عليَّ وفي الحروب نَعامة، فما أَظلمَ هؤلاء!

ــ وإن شككْتَ بجهةٍ ما فابحث عن غيرها للقتال، وهو موجود بنص رسول الله ﷺ الذي بشَّرنا: (لن يَبْرَح هذا الدين قائماً يقاتلُ عليه عُصْبَة من المسلمين حتى تقومَ الساعة) مسلم، وفي رواية (لا تزال طائفة من أمتي... يقاتلون...)، فابحث عن راية صادقة، ولا تُبح لنفسك الجلوسَ في بيتك مُشككاً كالمنافقين تقول: ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡ﴾ الأنفال٤٩ ، فهل سَعَيْتَ حقاً -ولو بالسؤال- لِتَعْرف أخبار المجاهدين ومكانَهم أم اكتفيْتَ بما تَبُثُّه وكالات الأنباء الكافرة أو العميلة؟ أفهذا بالمنصفين يليق؟!؟! فأين أنت من مواقعهم ولو على "الإنترنت"؟

ــ هل اسْتَفْسَرْتَ كما تَسْتَفْسِر عن فُرصة عمل تَدُرّ الأموالَ في دولة خليجية، أو كما تستفسر عن تجارة رابحة تُعرَضُ عليك في مجال من المجالات، أو عن خاطب يخطِب ابنتك؟ صدقني لا أُرى كثيراً منا يُبالي بهذا إلا ما رَحِم... رُبَّما لأجل تلك الوظيفة أو المخطوبة سألْتَ لأيامٍ وشهور حتى تميل إلى إحدى الجهتين.

ــ ومعلومٌ أن القتال الشديد بين الروم والفرس كان دائماً، فلا يمكن لعاقل أن يقول: إن المسلمين لما بدؤوا بالروم في غزوة مؤتة كانوا عملاء للفرس، وإنما تقاطعت المصلحة، فقتالك للروم -وهو واجب على الأمة- كان يُفرِح الفُرسَ، ولكن بعد غَزَوَات للروم بدؤوا بالفرس، فتقاطُعُ المصالح بدون اتفاق لا يعني الصِّلة أو العَمَالة، وهذا واضح لا لَبْسَ فيه، وتَحَدَّ عني مَن يَزْعُم عَمالة المجاهدين بأن يأتيَ بدليل واحد إلا الدعاوى الفارغات التي لا تَنْطلي إلا على الرَّعاع!

ــ وكأني بهؤلاء سيتَّهمون "صلاح الدين" بالعَمَالة أيام الحروب الصليبية رُغْمَ وُضُوحِ الراية، والحُجَّة هي هي: (الأيام أيام فِتَن، والحق لا يُعرف، ومن يدري لعل "صلاح" عميل للشرق أو للصليبيين أنفسهِم، ومِن أين لك أن تَجزم أن تَحْرِيضَه وحروبَه لم تكن للمناصب والزعامات والمُلك؟!! خاصة أنه سعى لتفكيك وحدة المسلمين وتَشْتِيت جهودهم بقضائه على الفاطميين المسلمين!!!)؛ أخبروني أيها العقلاء بماذا ستجيبون؟ هل سَتَعْتَزِلُون، أم سترفعون أصواتكم مؤيدين لـ "صلاح" وذَامِّين للفاطميين الأدعياء الزنادقة المحسوبين على المسلمين عند الساذجين أو العملاء فقط!

وهذه أقوال العلماء في العُزلة وضوابطها ليَحيى مَن حَيَّ عن بيِّنة و...:

١ــ في ١٣ /١٣١ كتاب الرقاق من فتح الباري: ("ورجلٌ في شِعب من الشعاب إلخ" هو محمول على من لا يَقْدر على الجهاد، فيُستَحبَّ في حقه العُزلة لِيَسلمَ ويَسلمَ غيره منه... وللنَّسائي: ... "ألا أُخبركم بخير الناس؟ رجلٌ مُمْسك بعِنان فرسه" الحديثَ، وفيه "ألا أخبركم بالذي يتلوه؟ رجل معتزل في غُنَيْمةٍ يُؤَدّي حق الله فيها") وأخرجه الترمذي واللفظ له، وقال: حسن... .

٢ــ فتح الباري ٨١/٦: ("...قيل يا رسول الله: أَيُّ الناس أفضل؟، فقال رسول الله ﷺ: مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله، قالوا: ثم مَن؟ قال: مؤمن في شعب من الشعاب يَعبد الله ويَدَع الناس من شره"...، وإنما كان المؤمن المعتزل يتلوه في الفضيلة لأن الذي يخالط الناس لا يَسلم من ارتكاب الآثام، فقد لا يَفي هذا بهذا وهو مقيَّد بوقوع الفتن) اهـ.

وبوَّب الحافظ ابن حِبّانَ في صحيحه: (ذكر البيان بأن العزلة عن الناس أفضل الأعمال بعد الجهاد في سبيل الله) ثم أوردَ نحو حديث "مسلم" الذي ساقه الحافظ في "الفتح".

٣ــ فتح الباري ٨٢/٦ كتاب الجهاد: (...وللترمذي وحسّنه... "أن رجلاً مَرَّ بشِعب فيه عين عذبة، فأعجبه فقال: لو اعتزلْتُ!! ثم استأذن النبي ﷺ فقال: لا تَفعل فإن مُقام أحدهم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عاماً "...، وأما اعتزال الناس أصلاً فقال الجمهور: مَحلٌّ ذلك عند وقوع الفتن، قال ابن عبد البر: ...الشِّعب والجبل... في الأغلب يكون خالياً من الناس، فكُلٌّ موضع يَبْعُد عن الناس فهو داخلٌ في هذا المعنى)، فكيف تدّعون العزلة وأنتم تخالطون الناس وتشاهدون الظلم والانحرافات الخلقية والسلوكية ثم تقولون: "الواجب في هذه الأيام الاعتزال"!!

٤ــ فتح الباري ٥٣٤/١٤ كتاب الفتن: (...يُشير إلى ما وقع بين مروان ثم عبد الملك ابنِه وبين ابن الزبير، وما أَشْبَهَ ذلك. وكان رأيُ ابن عمر تَرْكَ القتال في الفتنة ولو ظهر أن إحدى الطائفتين مُحِقَّةٌ والأخرى مُبْطِلة، وقيل: الفتنة مُخْتَصَّةٌ بما إذا وقع القتال بسبب التغالب في طلب الملك، وأما إذا عُلِمَت الباغيةُ فلا تُسَمَّى فتنةً، وَتَجِبُ مُقاتَلَتُها حتى ترجع إلى الطاعة، وهذا قول الجمهور).

٥ــ فتح الباري ٥٢٧/١٤ كتاب الفتن: (المراد بالفتنة ما ينشأ من الاختلاف في طلب المُلك حيث لا يُعْلَم المُحِقّ من المُبْطِل، قال الطبري: اختلف السلف فحمَل ذلك بَعْضُهُم على العموم، وهم من قَعَد عن الدخول في القتال بين المسلمين مطلقاً كسعدٍ وابن عمر ومحمد بن مَسْلَمة وأبي بَكْرة وآخرين، وتَمَسَّكوا بالظواهر المذكورة وغيرها، ثم اخْتَلَفَ هؤلاء فقالت طائفة: بلزوم البيت، وقالت طائفة: بل بالتَحَوُّل عن بَلَدِ الفِتَنِ أصلاً، ثم اختلفوا فمنهم... وقال آخرون: إذا بَغَتْ طائفة على الإمام فامتنعت

عن الواجب عليها و نَصَبَت الحربَ، وَجَبَ قتالُها، وكذلك لو تَحَارَبَت طائفتانِ وَجَبَ على كل قادرٍ الأخذُ على يَدِ المُخْطِئ ونصرُ المصيبِ وهذا قول الجمهور، وفَصَّل آخرون فقالوا: كُلُّ قِتالٍ وَقَعَ بين طائفتين من المسلمين حيث لا إمامَ للجماعة، فالقتال حينئذ ممنوعٌ وتُنَزَّل الأحاديث التي في هذا الباب وغيره على ذلك، وهو قول الأوزاعي، قال الطبري: والصواب أن ... إنكار المنكر واجب على كل من قدَر عليه فمن أعان المُحِق أصاب ومن أعان المخطئ أخطأ، وإن أَشْكل الأمر فهي الحالة التي ورد النهي عن القتال فيها.

وذهب آخرون إلى أن الأحاديث وردت في حق ناس مخصوصين، وأن النهي مخصوص بمن خُوطِبَ بذلك، وقيل: إن أحاديث النهي مخصوصة بآخر الزمان حيث يحصل التحقق أن المقاتَلَة إنما هي في طلب الملك، وقد وقع في حديث ابن مسعود ... "قلت: يا رسول الله ومتى ذلك؟... قال: حين لا يَأْمَنُ الرجل جليسه") اهـ.

٦ـ فتح الباري ١٤/ ٥٣٠ كتاب الفتن: (وذهب جمهور الصحابة والتابعين إلى وجوب نَصر الحق وقتال الباغين، وحَمَل هؤلاء الأحاديثَ الواردة في ذلك على من ضَعُف عن القتال أو قَصُر نظره عن معرفة صاحب الحق، ... قال الطبري: لو كان الواجب في كل اختلاف يقع بين المسلمين الهربَ بلُزُوم المنازل وكَسْر السيوف لَمَا أُقيم حد ولا أُبطل باطل، ولَوَجد أهلُ الفسوق سبيلاً إلى ارتكاب المحرمات مِن أخذ الأموال وسَفْكِ الدماء وسَبْيِ الحَرِيم بأن يحاربوهم، ويَكُفَّ المسلمون أيديَهم عنهم، بأن يقولوا: "هذا فتنة وقد نُهينا عن القتال فيها"، وهذا مُخَالِفٌ للأمر بالأخذ على أيدي السفهاء اهـ. وقد أخرج البزار في حديث "القاتل والمقتول في النار" زيادةً تُبَيِّن المراد وهي: "إذا اقتتلتم على الدنيا فالقاتل والمقتول في النار"، ويؤيده ما أخرجه مسلم ...، قال القرطبي: ... ومِن ثَمَّ كان الذين تَوَقَّفوا عن القتال في الجَمَل وصِفِّين أقلَّ عدداً من الذين قاتلوا، وكلُّهم مُتأوِّلٌ مَأْجُورٌ إن شاء الله).

ـ في فتح الباري١٤/٥٩٥: (أخرج ابن أبي شيبة بسند صحيح... سمعتُ عماراً يوم صِفّين يقول: مَن سَرَّه أن يَكْتَنِفَه الحور العين فليَتقدَّم بين الصَّفَّيْن مُحتسباً) اهـ وهذا من أدلة أنه إن ظهر له الحق يقاتِل.

٧ـ في فتح الباري ١٤/٥٣٩ كتاب الفتن: (...السلف... منهم من آثر السلامة واعتزل الفتن كسَعد ومحمد بن مسلمة وابن عمر في طائفة، ومنهم مَن باشَر القتال وهم الجمهور...، وقد أخرج الطبراني: ..."لعن الله من بَدَا بعد هجرته إلاّ في الفتنة فإن البَدْو خير من الفتنة").

٨ــ فتح الباري ١٣٢/١٣: ("يأتي على الناس زَمَانٌ يكون الغَنَم فيه خيرَ مال المسلم"... ولفظه هنا صريح في أن المراد بِخَيْرِيَّةِ العُزْلَةِ أن تَقَعَ في آخر الزمان، وأما زمنه ﷺ فكان الجهاد فيه مطلوباً حتى كان يَجِبُ على الأعيان إذا خرج رسول الله ﷺ...، وذكر الخطّابي: ...أن العزلة والاختلاط يختلف باختلاف متعلّقاهما، فتُحمل الأدلة الواردة في الحض على الاجتماع على ما يتعلق بطاعة الأئمة وأمور الدين وعكسُها في عكسه ... فمن عرف الاكتفاء بنفسه في حَقِّ معاشه، ومحافَظَة دينه، فالأولى له الانكفاف عن مخالطة الناس بشرط أن يحافظ على الجماعة والسلام والرد وحقوق المسلمين من العيادة وشهود الجنائز ونحو ذلك، والمطلوب إنما هو ترك فُضُولِ الصُّحْبَة لما في ذلك من شغْل البال وتضييع الوقت عن المُهِمَّات...).

٩ــ وفي عُمدة القاري لِلْعَيني ١٦٣/١ الطبعة المنيرية: (بابٌ "من الدين الفِرار من الفتن" ...بيانُ استنباط الفوائد وهو على وجوه: الأول: فيه فضل العزلة في أيام الفتن إلاّ أن يكون ممن له قدرة على إزالة الفتنة فإنه يجب عليه السعي في إزالتها إما فرضَ عين وإما فرضَ كفاية بحسب الحال والإمكان، وأما في غير أيام الفتنة فاختلف العلماء في العزلة، والاختلافُ أيُّهما أفضل؟! قال النووي: مذهب الشافعي والأكثرين إلى تفضيل الخلطة لما فيها... فإن كان صاحبَ علمٍ أو زُهْدٍ تأكّدَ فضلُ اختلاطه، وقال الكرماني: المختارُ في عصرنا تفضيلُ الانعزال لِنُدور خُلُوِّ المحافل عن المعاصي... الثاني: فيه عن الاحترازُ عن الفتن وقد خرجَت جماعة من السلف من أوطانهم وتغرَّبوا خوفاً من الفتنة، وقد خرج سَلَمة بن الأَكْوَع إلى الرَّبَذَة في فتنة عثمان رضي الله عنهما)اهـ

ــ وفي فتح الباري ٥٦٣/١٤ كتاب الفتن -وقد سَبق-: (...ويدل على تعميم العذاب لِمَن لم يَنْهَ عن المنكر وإن لم يتعاطاه قولُه تعالى ﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ النساء١٤٠ ، ...ويؤيده أمره بالإسراع بالخروج من ديار ثمود... وفي الحديث تحذيرٌ وتخويف عظيم لمن سكت عن النهي فكيف بمن داهن؟ فكيف بمن رضي؟ فكيف بمن عاون؟).

ــ بل الحديث صريح: (المؤمن الذي يُخالطُ الناس ويصبر على أذاهم أعظمُ أجراً من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم) بسند جيد في الأدب المفرد للبخاري.

١٠ــ فتح الباري٥٨٢/١٤ كتاب الفتن حول تمني الموت: (وفيه إيحاء إلى أنه لو فعل ذلك بسبب الدِّين لكان محموداً، ويؤيده ثبوت تَمَنِّي الموت عند فساد أمر الدين عن جماعة من السلف. قال النووي: لا كراهة في ذلك بل فعله خلائقُ من السلف منهم عمر بن الخطاب وعيسى الغفاري وعمر بن عبد العزيز وغيرهم....، ومِن ثَمَّ عَظُم قَدْرُ العبادة أيام الفتنة كما أخرج مسلم: (العبادة في الهَرْج كهجرة

إليّ)...، وقد أخرج الحاكم من طريق أبي سَلَمَة قال: عُدْت أبا هريرة ﷺ فقلت: اللهم اشفِ أبا هريرة، فقال: ...إن استطعت يا أبا سَلَمة فَمُتْ، والذي نفسي بيده لَيَأْتِيَنَّ على العلماء زَمَانٌ المَوْتُ أحبُّ إلى أَحَدِهم من الذهب الأحمر، وليأتين أحدُهم قبرَ أخيه فيقول: يا ليتني كنت مكانه!") اهـ وهذا يُحمل عند عجزه عن الجهاد أو الهجرة إلى مكان يُقيم فيه دينَه كما هو ظاهر من مجموع النقول والأدلة والله أعلم.

١١ـ فتح الباري ٥٣٣/١٤ كتاب الفتن عند حديث (...فهل بَعْدَ هذا الخيرِ من شر؟ قال: نعم دعاةٌ على أبواب جهنم من أجابهم إليها قَذَفُوه فيها... قلت: فما تأْمُرُني إن أَدْرَكَني ذلك؟ قال: تَلْزَمُ جماعةَ المسلمين وإمامهم؛ قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفِرقَ كلَّها، ولو أن تَعَضَّ بأصل...)، قال ابن حَجَر: (...زاد في رواية أبي الأسود" تَسمَعُ وتطيع وإن ضربَ ظَهْرَكَ وأَخَذَ مالك" وكذا... عند الطبراني: "فإن رأيتَ خليفةً فالْزَمْهُ وإن ضَرَبَ ظَهْرَك، فإن لم يكن خليفةٌ فالهربَ")اهـ ولاحظ التنكير في قوله: "خليفةً".

ـ وفي ٥٣٤/١٤: (وفي رواية... عند ابن ماجه "فَلأَنْ تموتَ وأنت عاضٌّ على جِذْلٍ خير لك من أن تَتَّبِعَ أحداً منهم"... قال الطبري: والصواب أن المرادَ من الخبر لُزُومُ الجماعة الذين في طاعة مَن اجتمعوا على تَأْمِيْره، فمن نَكَثَ بَيْعَتَهُ خرج عن الجماعة، قال: وفي الحديث أنه متى لم يكن للناس إمام فافترق الناس أحزاباً فلا يَتَّبع أحداً في الفُرقة ويعتزل الجميع إن استطاع ذلك، خَشْيَةً من الوقوع في الشر وعلى ذلك يَتَنَزَّل ما جاء في سائر الأحاديث وبه يُجمع بين ما ظاهِرُهُ الاختلاف منها) اهـ، إلا إن استطاع تنصيب خليفة، أو اجتمعوا على تأمير واحد، أو عَرَفَ الطائفة المنصورة التي وصفها الحديث بـ (يُقاتلون)، وليس (يعتزلون)!! وحديث الطائفة مخصِّصٌ لحديث اعتزال الفِرَق، أو هو مستثنًى منه لأن الطائفة المنصورة تُعيد إلى الدين نضارته، وليست من الفرق الداعية إلى أبواب جهنم، فحديث "حذيفة" نصٌّ في اعتزال الفِرق التي تدعو إلى أبواب جهنم كأن تقاتل لنصرة بدعة أو للملك، وليس الحديث دعوةً إلى اعتزال الخير أومَن يدعو إلى الخير أو من يحاول أن يُصلح من يدعو إلى أبواب جهنم أو من يَظهر عليه الخير ويَدعو إلى تحكيم شرع الله، ونراه حقاً بدأ بتحكيم شرع الله، وبدأ يُشكِّل نواة الخلافة الإسلامية، فمثل هذا ما كان الشرع لِيأمرنا باعتزاله.

وهل تنصيب خليفةٍ الذي اتفق العلماء على وجوب تنصيبه هل إعادته اليوم تكون بغَمضة عين أم بتضحياتٍ وأشلاء؟ فكيف يَجتمع الأمر بالاعتزال المطلق مع الأمر بتنصيب خليفة؟ إنما هو أمرٌ باعتزال

الفِرق الداعية إلى أبواب جهنم، وهناك من الفرق والطوائف ما لا شكّ في أنها داعية إلى هدًى ورشاد بنور الكتاب والسنة وهدي السلف الصالح والعلماء الأثبات ومن تبعهم بإحسان..

وليس معنى الاعتزال -في حالٍ من الأحوال- أن لا يَنْشُرَ بين الناس وجوبَ تَنصيب خليفة أو أن لا يُحَرِّض على إخراج الكفار من بلاد المسلمين، فالشرع لم يَأْمرنا بمثل هذه العزلة عن الحق، بل صريح رواية مسلم (....ورجلٌ في شِعْبٍ من هذه الشِّعاب يُقيم الصلاة ويُؤتي الزكاة، ويَدع الناس إلا من خير)، وأيُّ خيرٍ أعظمُ من إعادة الخلافة ودحر الكافرين المحتلين لبلاد المسلمين؟

والله أَمر رسوله بالتحريض على القتال، ولم يقل: "يا أيها النبي حرِّض المؤمنين وبالأخص طلبة العلم على العزلة".

أين هذا الانهزامي من حديث (كلما سَمع هَيْعةً أو فَزْعةً طار إليها) مسلم.

وكان الصحابة يَطلبون الولد لأجل الجهاد، ولم نسمع أن أحداً فَعل ما يفعله مَن يَنتسب لأهل العلم اليوم، فبوّب البخاري (باب من طلب الولد للجهاد)، وليس للعزلة، وعلماؤنا الأقدمون كانوا صدّاحين بالحق لدى سلاطين زمانهم ولو كان الثمن حياتَهم؛ كأحمد بن نصر الخُزاعي، والعزّ ابن عبد السلام، والنووي.

وإذا وَجب الجهاد وكان المسلمون عاجزين عن الخروج لإخراج العدوّ فإن فرضهم يتحوَّل إلى الإعداد لإخراج العدوّ أو الهجرة للإعداد، ثم عند استحالة كل هذا يأتي دور العزلة عن الباطل وأهله، فالعزلة دواء عند تَعذُّر كل هذا، فكيف نتهالك لننشر العزلة بين الناس والأندلس تنادي أبناءها؟ فضلاً عن فلسطين والفلبين!

بل لا شك أن الهجرة قد تكون من لوازم اعتزال فرق الضلالة الداعية إلى أبواب جهنم المأمور به في حديث "حذيفة"، كما هو حال كثير من مشايخ بلادنا العربية الذين يُرْغَمون أن يَمْدحوا طواغيت العرب الظلمة الفجرة البعيدين عن شرع الله أن يَمدحوهم في خطب الجمعة أو العيد أو المناسبات الدينية أو الأحاديث التلفزيونية على القنوات الفضائية... وهو في مثل هذا مشارك للدعاة على أبواب جهنم مشارك لهم بالكلمة، فأين العزلة التي يَزعمون؟ فإن قالوا: نحن مُجْبرون! فقل: بل أنتم تَكذبون؛ لأنكم ما سَعَيْتم مجرد سعيٍ أن تهاجروا إلى بلد لا تُجْبرون فيه على المداهنة والنفاق للحاكم الهالك.

١٢ـــ فتح الباري ١٤/٥٣٠: (واتفق أهل السنة على وُجُوبِ مَنْعِ الطعن على أحد من الصحابة بسبب ما وقع لهم من ذلك، ولو عَرَف المُحِقَّ منهم لأنهم لم يقاتلوا في تلك الحروب إلا عن اجتهاد، وقد عفا الله تعالى عن الخطأ في الاجتهاد، بل ثَبَت أنه يُؤْجَر).

ـــ وفي ١٤/٥٤١ من كتاب الفتن: (والحق حَمْلُ عمل كلٍّ أحدٍ من الصـــحابة المـــذكورين علـــى السداد، فمن لابَسَ القتالَ اتضح له الدليل لثبوت الأمر بقتال الفئة الباغية، وكانت له قدرة على ذلك، ومَن قعد لم يَتَّضِحْ له أيُّ الفئتين هي الباغية ولم يكن له قدرة على القتال، وقد وقع لخُزيمة بن ثابت أنـــه كان مع علي، وكان مع ذلك لا يُقاتِل! فلما قُتِل عمارٌ قاتل حينئذ وحدَّث بحديث" يَقتل عماراً الفئـــةُ الباغية") أخرجه أحمد وغيره.

٩ــ فإن **قالوا**: ولكن لا جهاد إلا بوجود وإذن الإمام الأعظم الذي يَجمع كلمة المسلمين! **فقل** لهم:

ــ من أين لكم هذا؟ فــ "لا" هذه نافيةٌ للجنس، فمن أين لكم أن كل أنواع الجهاد لا تجــوز إلا بإذنه؟ إذاً فجهادكم الدعوي لا يجوز إلا بإذنه؟ أم أنكم تقصدون القتال؟

إذاً اعترفتم أن الجهاد إذا أُطلِقَ فأولُ ما يَنسحب إلى القتال!!

وحتى لو كان الأمر هكذا، فمن أين لكم أن أيَّ قتالٍ لا يجوز إلا بإذن الأمير؟ فإذا هجم لصٌّ صائلٌ على دارك وأراد قتلك أفلا يجوز قتاله حتى تستأذن الأمير؟!!

أم أنكم تقصدون قتال الكفار؟ فأعود وأسأل: من أين لكم هذا من الكتاب والسنة؟ ومَن أفتى به من علمائنا الأسبقين؟ وهل المسألة محل إجماع -هذا إن وُجد من أفتى بها على إطلاقها- حتى نراكم تُنكرون على المجاهدين الذين أَحْيَوا فريضة الجهاد؟

أم أنكم تقصدون مِن "لا" نفيَ الكمال، لا نفيَ الصحة؟ فأعود وأسألكم: من أين لكم هذا؟

ــ إن من مظاهر التحريف في هذا العصر أن يَزعم أقوام أن قتال الواحد والعشرة والعشرين والأربعين من المسلمين ليس بجهاد، كذلك دعوى عدم القتال وشرعيته إلا بوجود إمام مُمَكَّن، وهــي دعــوى عريضة ليس لها قوائم، بل مجرد تصورها كاف بالحكم عليها بالتَّباب، والقول بهذه الشروط وأمثالها من دعاوى كثيرة مآلها في الحقيقة إلى تَعطيل الشريعة، وفيها دعوى الركون إلى الأرض، وليس هناك مــن حديث واحد يَستطيع المُدّعي أن يستند إليه، أو يزعم أنّ فيه هذا المعنى، مع العلم أنّ القول بالشرطية هو من أبعد ما يخطر على بال طالب العلم، فجهاد المسلمين اليوم جهاد دَفْعٍ ورَدٍّ عدوان .... إنه معاقبــةٌ بالمثل؛ فلا يُشترط الإمام الأعظم -الذي لا وجود له الآن في الواقع- ليجتمعوا تحت رايته، لا يُشترط لا لجواز الجهاد ولا للقيام به، ولم يقل بذلك أحد من أهل العلم، أم لعلكم تريدون منا الانبطاح للأعــداء حتى يَخرج الإمام ... فما أشبه هذا بعقائد الرافِضة!

بل أقوال أهل العلم طافحة بالرد عليه، والأدلة الشرعية النقلية فيها الغَناء لرد هذا الغُثاء:

وإليكم تجليةَ الأمر في إذن الأمير من أقوال العلماء:

١ــ في المغني٩/١٦٦: (وأمر الجهاد موكول إلى الإمام واجتهاده ويَلْزَمُ الرعيةَ طاعتُه فيما يراه مــن ذلك... ويغزو كُلُّ قوم من يليهم إلاّ أن يكون في بعض الجهات مَن لا يفي به مَن يليه، فيَنْقُــل إلــيهم قوماً من آخَرين، ...فإن عُدِمِ الإمام لم يؤخَّر الجهاد؛ لأن مَصْلَحَتَه تَفُوتُ بتأخيره، وإن حَصَلَت غَنيمــة

قَسَمَها أهلُها على مُوْجِب الشرع...فإن بَعث الإمام جيشاً وأمّر عليهم أميراً فقُتل أو مات فللجيش أن يُؤَمِّروا أحدهم كما فعل أصحاب النبي ﷺ في جيش مؤتة...) اهـ وقد عقد ابن قدامة رحمه الله هذا الفصل بعد مسألة: "ويقاتل كل قوم من يَليهم من العدو" فهو يَتحدث عن الغزو، ومن عادة ابن قدامة أن يَذكر الخلاف المعتبَر إن وُجد.

ـ وفي ١٧٤/٩: (إذا جاء العدو صار الجهاد عليهم فرض عين فوجب على الجميع فلم يَجُزْ لأحد التخلف عنه، فإذا ثَبت هذا فإنهم لا يخرجون إلاّ بإذن الأمير، لأن أمر الحرب موكول إليه وهو أعلم بكثرة العدو وقلتهم ... فينبغي أن يُرْجَع إلى رأيه؛ لأنه أحوطُ للمسلمين، إلاّ أنْ يَتَعَذَّرَ استئذانُه لُمفاجأة عدوِّهم فلا يجب استئذانُه؛ لأن المصلحة ... ولذلك لما أغار الكفار على لَقاح النبي ﷺ وصادَفهم "سَلَمة بن الأَكْوَع ... فقاتَلهم ... فمدحه النبي ﷺ فقال: خير رَجّالَتنا سَلَمَة بن الأكوع)، فإن لم يكن هناك إمام وقامت طائفة كعمل "سَلَمَة" رضي الله عنه فمن باب أولى والله أعلم. "رجّالة جمع راجل".

٢ـ وفي كَشّاف القناع للبُهوتي ٧٣/٣ (ولا يجوز الغزو إلاّ بإذن أمير لأنه أعْرَفُ بالحرب وأمْرُه موكول إليه... إلاّ أن...يَطْلُع عليهم بَغْتَةً عدوٌّ يَخافون كَلَبَه ... بالتوقف على الإذن، لأن الحاجة تدعو إليه لِمَا في التأخير من الضرر، وحينئذ لا يجوز التخلف لأحد إلاّ مَن يُحتاج إلى تخلفه لحفظ المكان والأهل والمال، ومَن لا قُوَّةَ له على الخروج، ومَن يمنعه الإمام، ومن يجدون فرصة يَخافون فَوْتَها إن تركوها حتى يستأذنوا الأمير فإن لهم الخروج بغير إذنه؛ لئلا تفوتَهم، ولأنه إذا حضر العدو صار الجهاد فرض عين فلا يجوز التخلف عنه.) "واستدَل بقصة سَلَمة بن الأكوع رضي الله عنه".

٣ـ وفي مغني المحتاج ٢٢٠/٤: (يُكره غزوٌ بغير إذن الإمام أو نائبه تأدُّباً معه، ولأنه أَعْرَفُ من غيره بمصالح الجهاد، وإنما لم يَحرُم لأنه ليس فيه أكثرُ من التغرير بالنفوس وهو جائز في الجهاد ... ...

تنبيه: استَثْنى البُلقيني من الكراهة صوراً: أحدها: أن يَفوته المقصود بذهابه للاستئذان، ثانياً: إذا عطَّل الإمام الغزو وأقبل هو وجنوده على أمور الدنيا كما يُشاهد، ثالثها: إذا غلب على ظنه أنه لو استأذنه لم يأذن له ...)اهـ وذكر نحوه الشيخ زكريا في "فتح الوهاب" ٢٩٩/٢. قلت: هذا في فرض الكفاية لأنه غزوٌ، فكيف بفرض العين؟

٤ـ ابن النحاس في تهذيب مشارع الأشواق في فضائل الجهاد صـ٣٦٧: (يُستثنى من الكراهة الحالات التالية: الأولى...، الثانية: إذا عطَّل الإمام الجهاد وأقبل هو وجنوده على الدنيا مما هو مشاهد في هذه الأعصار والأمصار، فلا كراهة في الجهاد بغير إذن الإمام لأن الإمام معطِّل للجهاد، والمجاهدون

يقومون بالفرض المعطَّل. الثالثة...، وقال ابن قدامة: إن عُدِم الإمام لم يُؤَخَّر الجهاد؛ لأن مصلحة الجهاد تفوت بتأخيره).

٥ــ البجيرمي ٤/٢٥٢: "فصل فيما يكره من الغزو ... قوله: كُرِه غزو إلخ أي للمتطوعة، وأما المرتزقة فيَحرم بغير إذن الإمام (شرح المروَزي) لأنهم مرصدون لمهمات... يَصرفهم الإمام فيها فهم بمترلة الأُجَراء (شرح الروض)، وسواء في الحرمة عَطَّل الإمام الغزوَ أم لا فيُخَصُّ ما يأتي من عدم كراهة الغزو بغير إذنه حينئذ بالغزاة المتطوعة به اهـ (حاشية الشبراملسي على شرح المنهاج للرملي)، وهو بعيد بل المرتزقة كغيرهم، قوله: إن عَطَّل الغزوَ إلخ وينبغي الوجوب في هذه اهـ (الطبلاوي الكبير وابن قاسم العبادي)".

٦ــ عند قوله تعالى: ﴿فَقَـٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ النساء٨٤ قال القرطبي: (هي أمرٌ للنبي ﷺ بالإعراض عن المنافقين، وبالجِدِّ في القتال في سبيل الله وإن لم يساعده أحد على ذلك). ثم قال: (ولهذا ينبغي لكل مؤمن أن يجاهد ولو وحده، ومن ذلك قول النبي ﷺ: والله لأقاتلنهم حتى تَنْفَرِد سالفتي، وقول أبي بكر وقت الردة: ولو خالفتني يميني لجاهدتها بشمالي).

٧ــ وفي "المحلى" لابن حزم: (٩٢٩- ويُغزى أهل الكفر مع.... ويغزوهم المرء وحده إن قَدَرَ أيضاً).

٨ــ وفي بدائع الصنائع للكاساني ٧/٩٨: (فأما إذا عمَّ النفيرُ بأن هجم العدو على بلد فهو فرض عين يُفترض على كل واحد من آحاد المسلمين ممن هو قادر عليه، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ التوبة٤١ ......يَخرج ...بغير إذن... ...لأن حق الوالدين لا يظهر في فروض الأعيان كالصوم والصلاة ... ...) اهـ وهل يُستأذن الأمير في فرض الصلاة؟ والأصل أن الإمام يَأخذ أموال الزكاة ليوزعها، فإن عطّلها الإمام الشرعي أفلا يجب على كل واحد أن يُخرجها بنفسه؟ وهل يجب الاستئذان لأداء فرض الحج؟ فيُفهم أن الجهاد إذا تَعَيَّن فحُكمه كذلك.

٩ــ لكنْ قال التهانوي رحمه الله في الإعلاء ١٢/٢ طبعة كراتشي تحت عنوان: (اشتراط الإمام للجهاد، والأمر بالعزلة إذا لم يكن للمسلمين إمام):

(...فإذا لم يكن للمسلمين إمامٌ فلا جهاد، نعم يجب على المسلمين أن يَلتمسوا لهم أميراً، ويدل على أن الجهاد لا يصح إلاّ بأمير ما رواه البخاري عن حذيفة (وذكر رقم:١١ في فِقْرة "العزلة" هنا) ... ... فَتَلَخَّص منه: أن المسلم إذا كان في جماعة ليس لهم إمام وأمير فهو مأمور بالاعتزال واللزوم بخاصّة نفسه، وليس بمأمور بالجهاد وما يشبهه من الأمور مما لا يتم بدون الجماعة) اهـ وكلامه رحمه الله فيه نظر، لأنه عَنْوَنَ بخلاف ما يُفهَم من خلاصته، فالعنوان فيه المنع ما لم يكن خليفةٌ للمسلمين، أما الخلاصة

فيُفهَم منها أنه إن وُجد لجماعةٍ ما أميرٌ فلا مَنْعَ، وهذا يتفق مع حديث الطائفة المنصورة المقاتلة المُخَصِّص لحديث حذيفة ﷺ في اعتزالِ الفرق وخاصَّةِ نفسك، أو هي مستثناةٌ لأنها ليست من الفرق الداعية إلى أبواب جهنم، أو يقال: حديث حذيفة ﷺ فيمن لم يَهتد إلى الطائفة المقاتلة، وإلا فلا تجتمع الأمة على معصيةِ ترك الجهاد، وعلى التَّنَزُّل لا تجتمع على ضلالة ترك الإعداد وهو ما لا يتم الواجب إلاّ به.

فليس في حديث "حذيفة" إلا الأمر باعتزال الفرق الداعية إلى أبواب جهنم، وهو واضح في قوله: (تلك الفرق كلها)، والعلماء متفقون على وجوب تنصيب خليفة والسعي لذلك من كل مستطيع، ولا يقول عاقل: إن تنصيب خليفة لا يجوز إذا انعدم بدليل حديث "حذيفة" لأن الرسول أمره باعتزال الفرق و لم يأمره أن يسعى لتنصيب خليفة!!! لا يَصحّ هذا الاستدلال لأن الأصل جمع الأحاديث مع بعضها لا ضربُها ببعضها ولا أَخْذُ بعضها الذي يُريحنا من العناء إلى الانهزامية، فكذلك يقال: ليس في حديث حذيفة المنع من الجهاد إنما الأمر باعتزال فرق الضلالة الداعية إلى أبواب جهنم وليس اعتزال من يدعو لتنصيب خليفة أو الطائفة المنصورة المجاهدة.

وأمرٌ آخر: فإن العنوان لم يُفَرِّق بين الغزو –وهو جهاد الطلب وحكمه فرض كفاية– وبين جهاد الدفع –وهو فرض عين–، فيُمكن أن يُقال: يُطاع أمر الأمير لترك فرض الكفاية بخلاف فرض العين فلا يُطاع أحدٌ في تركه إلا إن كان الأمير مشرفاً على الجهاد ورأى أن المصلحة في تخلُّف "زيدٍ" من الناس فهذا أمرٌ آخر، بل يُفهَم صريحاً من أقوال باقي العلماء المتقدمة أن الإمام إن وُجد وعطَّل الغزوَ فلا يُستأذن؛ فتأمّل.

فينبغي التفريق بين وجود الخليفة وإشرافه على المعارك، فلا بُدّ من طاعته، وبين وجوده وعدم جهاده، وبين انعدامه أصلاً، والحالتان الأخيرتان تؤولان إلى بعضهما كما هو واضح، فإن كان الجهاد جهاد دفع –كما هي حال المسلمين اليوم– فلا يجب استئذان الخليفة المعطِّل لجهاد الدَّفْع قولاً واحداً، فمن باب أولى إن لم يكن خليفة، وللمرء الخروج ولو كان وحده لإحداث النكاية في المحتلين بأي شكل كانت النكاية، وإن كنا في حالة جهاد طلب فالذي يَظهر لي أنه إن اجتمع قومٌ على أميرٍ وبايعوه –عسى أن يكون نواة لإعادة الخلافة– فهذا تجب طاعته والجهاد معه ما دام قائماً بالحق ولا تجوز مخالفته، وهذا يتلاءم مع حديث الطائفة المنصورة المقاتلة لأنها موجودة لا يَخلو منها زمان كما هو نصُّ الحديث، ويتلاءم أيضاً مع نقول العلماء السالفة، أما من لم يبايع أميراً البتة ففرضه حسب تعبير التهانوي أن يلتمِس له أميراً يَجمع كلمة المسلمين؛ فـ(مَن مات وليس في عنقه بيعةٌ مات ميتةً جاهليةً) أخرجه مسلم، ثم بعد ذلك إما أن يكون الأمير المبايَع عاملاً بالجهاد والإعداد له إعلامياً وتربوياً وعسكرياً فهذا يُطاع في

أمور الحرب، وإما أن يُعطِّله فهذا لا يُطاع؛ لأن المسلمين كلهم آثمون حتى تقوم طائفة تسدّ الكفاية، وبينهما أمورٌ مشتبهات فاسأل الله السداد.

وهل يَجرؤ أحدٌ أن يُفتيَ أبناء بيت المقدس أن يتوقفوا عن جهادهم لليهود بحجة انعدام الخليفة؟ سبحان الله الوهَّاب! إنك لا تجد هذه الشُّبه إلا بين طلبة العلم المبتدئين أو المغرضين الانهزاميين.

بل لقائلٍ أن يقول: إن الأمر بالعزلة ربما يكون خاصاً بالسائل وهو "حذيفة"، جمعاً بين الأدلة، ولأنه ليس من المنطق أن يَفرَّ جميع الناس ولا يَسعى أحدٌ لإعادة الحق إلى نصابه، وهل تعود الخلافة وبلاد المسلمين والناس معتزلون وتاركون للأسباب؟!!!

ولقائل أن يَقول: إن الأمر بالعزلة في حديث "حذيفة" أتى عند حالة انعدام الأمير والجماعة للمسلمين، ولكن في صحيح مسلم (يَأتي على الناس زمان يكون خيرُ الناس فيه منزلةً مَن أَخذَ بعِنان فرسه في سبيل الله يَطلب الموت مَظانه، ورجلٌ في شِعْبٍ من هذه الشِّعاب يُقيم الصلاة ويُؤتي الزكاة، ويَدع الناس إلا من خير)، فسياق الحديث واضح منه أنه أمرٌ مستقبليٌّ سيأتي على الناس يكون فيه أفضلهم المجاهد والمعتزل، ولكنه في حديث "حذيفة" لم يأمره بالاعتزال إلا عند انعدام الأمير للمسلمين، فمِن الحديثين يُفهم أن الجهاد يكون أيضاً عند انعدام الأمير فليس وجوده شرطاً إذاً؛ لأنه أمره بالاعتزال عند انعدام الخليفة للمسلمين، وفي حديث "مسلم" مدح الجهاد والاعتزال في حالةٍ ستأتي مستقبلاً على المسلمين، فهذا يَتضمّن مشروعية الجهاد عند انعدام الأمير، وأيهما أفضل في تلك الحالة الجهاد أم الاعتزال؟ في حديث مسلم جاء التعبير بالواو، ولكن في أحاديث أخرى مرت معنا في فقرة "العزلة" جاءت بـ "ثم" فالجهاد مقدَّمٌ على الاعتزال.

وبعد هذا نتوجَّه بسؤال بسيطٍ لمن أغمضوا عيونهم إلا عن عنوان التهانوي رحمه الله لنسألهم: هل أنتم حقاً تلتمسون خليفةً للمسلمين؟ وَضِّحوا لنا -بارك الله فيكم!- ما صنعتموه حتى الآن! فأقلُّ ما يقال: هل نشَّأتم أولادكم الذين هم من لحمكم ودمكم وخواصَّ تلاميذكم على هذا؟ نسأل الله ذلك، ودمعةٌ من عوراء غنيمةٌ باردة!

بل التهانوي نفسه في أول كتاب "السِّيَر" ١٢/٢ قال: (...وفيه دليل على أن الجهاد لا يزال ماضياً ما دام الإسلام والمسلمون إلى ظهور الدجال وأما بعد ظهوره...)، فكيف يستقيم هذا مع ما عَنْوَنَ به هنا؟!!! إلا مع الإقرار باستمرارية الطائفة المنصورة.

وأوضح من هذا كلامه المتين عند الحديث عن القومية الهندية حيث حرَّض بجلاء على منابذتهم..إلخ، فراجع كلامه ثَمّةَ.

وكذلك الشوكاني في نيل الأوطار ٣١/٨: (قوله والجهاد ماض إلخ، فيه دليل على أن الجهاد لا يزال ما دام الإسلام والمسلمون إلى ظهور الدجال).

ومِن قبلهما ابن حَجَر في فتح الباري ١٤٤/٦: (بابٌ "الجهاد ماضٍ مع البَرِّ والفاجر" لقول النبي ﷺ: "الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة" ... وفي الحديث الترغيب في الغزو على الخيل، وفيه أيضاً بشرى ببقاء الإسلام وأهله إلى يوم القيامة، لأن مِن لازِم بقاءِ الجهاد بقاء المجاهدين، وهم المسلمون، وهو مِثْل الحديث الآخر "لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق" الحديث...).

وفي تلخيص الحبير ١٤١/٣ قال: (لوجود هذه الطائفة القائمة لله بالحق إلى يوم القيامة لا يَحصل الاجتماع على الباطل).

وعلى العِلات فليست العزلة المرادة من كلام التهانوي أن أَعمل وأُتاجر وأسافر وأَختَلط بمن تيسر لي ثم لا أُنكر المنكرات وأقول: "أنا معتزل"!!

١٠ـ وفي "فتح القدير" لابن الهمام ٤٣٤/٥: (هذا إذا لم يكن النفير عاماً؛ فإن كان بأن هَجموا على بلدة من بلاد المسلمين فيصير من فروض الأعيان ... فيجب على جميع أهل تلك البلدة النَّفْر، وكذا مَن يَقْرُب منهم إن لم يكن بأهلها كفاية، وكذا من يَقْرُب ممن يَقْرُب إن لم يكن بمن يَقْرُب كفاية، أو تكاسَلوا، أو عصَوا، وهكذا إلى أن يجب على جميع أهل الإسلام شرقاً وغرباً كجهاز الميت والصلاة عليه يجب أولاً على أهل مَحِلّته، فإن لم يفعلوا عَجْزاً وَجب على من ببلدهم على ما ذكرنا، هكذا ذكروا... ويجب أن لا يأثم من عزم على الخروج، وقعوده لعدم خروج الناس وتكاسلهم، أو قعود السلطان، أو مَنْعِه) اهـ. ونقل هذا المقطع الأخير في "البحر الرائق"، وفي "الحاشية" دون تعَقُّب، وعليه ملحوظات كثيرة:

- فسياقته يُفهَم منها أنها احتمالٌ أبداه من عنده وليس منصوصاً عليه من كلام من تَقَدَّمه من أهل المذهب؛ لأنه ذكره بعد قوله: هكذا ذكروا؛ أي علماء المذهب، وعبَّر عنه بصيغة: "ويجب أن..." التي يُفهَم منها أنه استنباط من عنده رحمه الله، ولو كان عند ابن الهمام نصٌّ في المذهب أو دليلٌ في أنّ مَنْع الإمام يُسْقِط الإثم لما توانى في الجزم بعبارته ولقال: "لا يأثم من عزم..إذا منعه السلطان..."، ولو سبقه أحدٌ من علماء المذهب لضمَّ هذا المقطع إلى إخوته من المقاطع التي قبلها، فمن وَجد أحدَ علماء المذهب سبق "ابن الهمام" إلى مثل هذا فليُرشدنا.

- ولا حَرَج من الإتيان بما لم تأت به الأوائل إذا اقترن بالدليل، لكنه لم يَذكر دليلاً واحداً لِما طرحه، بل الأدلة على خلافه؛ فإذا كان أمرٌ ما فرضَ عين فـ(لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) كما

ثبت في الحديث، ولو كان إذنُ السلطان شرطاً لفِعل فرض العين لجاء في حديث أو أثرٍ أو في قول أحد المتقدِّمين من علماء المذاهب على الأقل.

– والجهاد حينما يكون فرض كفاية مثَّله أهل المذهب بتجهيز الميت للدفن؛ فإن لم يَقُم به أَحَدٌ أَثِم جميعُهم، فلو عَزَم أحدٌ على تغسيله ودفنه لكنه تكاسل أو قَعَدَ السلطانُ أو مَنَعَ من دفنه أفيقال: يجب أن لا يأثم مَن عَزَم.....إلخ؟!!! أم يقال: "ويأثم تارك تجهيز الميت ولو كان عازماً مع تكاسل الناس، ولا عبرة بمنع أحدٍ لا سلطانٍ ولا غيره، بل للمُجَهِّز أجرٌ لأنه ساهم في إسقاط الإثم..." (هذا في فرض الكفاية).

– ومعلومٌ أنّ إذن السلطان شرطٌ عند الحنفية في عقد الجمعة؛ فإن لم يأذن السلطان لأحدٍ بعَقْدِها و لم يَعْقِدها هو بل مَنَع من عقدها فهو آثمٌ ولا رَيب، ولكن هل يقال عندها: "يجب أن لا يَأثم المرء إن تخلف عن الجمعة ما دام عازماً، ولكنّ قعودَه كان لمنع السلطان..."؟ فإذا شوهد السلطان –الشرعي– عِياناً لا يَأْبه بما يَحْدثُ للمسلمين في بلادٍ بعيدة ثم بعد هذا لم يأذن لأحدٍ من جنده أو رعيته أن يذهب ليُنْجِد المحتاجين أفلا يكون هو آثماً؟ بلى؛ إذ لا فرقَ بين الفريضتين، ومن فَرَّق فعليه بالدليل على تفريقه.

– فابن الهمام ربط سقوط الإثم لتارك الخروج للجهاد –عند تحوله إلى فرض عين– بثلاث صور: العزم على الخروج مع تكاسل الناس وقعودهم، أو العزم على الخروج مع قعود السلطان، أو العزم على الخروج مع منع السلطان، فالسؤال: هل يوجد في الشرع نظائر لهذا على الأقل؟ بمعنى: هل يوجد في شرعنا فرض عين لا يأثم تاركه –المستطيع فعله– إذا تكاسَلَ غيره أو مَنَع السلطان منه؛ لا يأثم بشرط أن يكون المرء عازماً على فعل الفرض بمجرد أن يفعله السلطان أو الناس؟ هل يوجد مثل هذا؟

فإنه لا يُعْلَم خلافٌ بين العلماء أن فرض العين لا يَسْقُط عن المرء إذا تكاسل غيره عن فعله أو إذا تكاسل السلطان أو إذا مَنع السلطان أو الأبوان أو سواهم؛ سواءٌ في ذلك عَزَمَ الرجل منا على ذاك الفرض أو لم يَعزم فلا يَسقط عنه الفرض ويَأثم بتركه، فهذا المقطع الأخير لابن الهمام رحمه الله يَتعارض مع معنى "فرض على الأعيان"، فلو كان تكاسُل مَن حوله –أياً كان– يُعفيه مما تعيَّن عليه فلا يكون هذا الشيء فرضَ عينٍ أصلاً.

– ولا يقال: لعل سبب عدم الإثم في عبارة ابن الهمام هو عدم استطاعة الخروج لوحده بسبب الخوف من الطريق؛ لا يقال هذا لأن علماء المذهب لم يَروا خلوَّ الطريق من المحاربين وقُطاع الطرق لم يروه شرطاً لوجوب الخروج لمساعدة من هاجمهم العدو عند تعيُّن الخروج، وراجع كتب المذهب كالحاشية والبدائع والبحر وسواها.

– وليس السبب أيضاً أنه إن خرج لوحده فلن يُغْنِيَ شيئاً فلذا يجب أن يَسقط الإثم.... ليس هذا هو السبب لأنه ربما يَخرج من بلاد أخرى مَن يُنجدهم فينضم المرء إليهم، ولأن ابن الهمام نفسه بعد عدة أسطر قال: (وأما الذي يَقْدر على الخروج دون الدفع ينبغي أن يَخرج؛ فإن فيه إرهاباً)، فليست القدرة على الدفع شرطاً للخروج، بل في كلامه قبل المقطع الذي ندرسه بقليل ذكر أنّ تكاسُل ناحية لا يُعفي ناحيةً أخرى من الخروج، فهل من دليل على هذا التفريق؟ أعني: إذا كان تكاسُلُ ناحية لا يُسْقِط الإثم عن ناحية أخرى فكذلك تكاسل أفراد مدينته أو بلده لا يُسقط الإثم عنه، وعلى فَرَض أن جميع النواحي كسلت وأن السلطان قَعَد فواجبٌ كل فردٍ نَصْب الكمائن للعدوّ إن استطاع وإلا فالإعداد العسكري الحقيقي لإلحاق النكاية بالعدوِّ المحتل كتفجيرٍ أو اغتيالٍ أو نحوها، وفي أقل تقدير التحريض باللسان والبَنان لأبنائه وتلاميذه وأقربائه ومعارفه ولو في نطاق المأمونين من المقربين، هذا إن قَعَد جميع المسلمين وهيهات! فإنّ الطائفة المنصورة المقاتلة باقية بنص الحديث الصحيح.

ـ وأخيراً: يا تُرى لو لم يأذن الخليفة العباسي الذي ما كان له يومها من الخلافة إلا اسمها لو لم يَأذن لـ"صلاح الدين" أفكان عليه شرعاً أن يَنصاع؟ وهذا في خليفةٍ ضعيفِ السلطان، فكيف إذا لم يكن له وجود كحالتنا؟ والذين كانوا يَخرجون هل كانوا يَستأذنون عمر ﷺ واحداً واحداً؟ فها هو ﷺ لما أتاه الخبر (أنه أُصيب النعمان وفلان وفلان ورجالٌ لا نعرفهم قال: ولكنّ الله يَعْرفهم)، وإسناده حسن كما قال الهيثمي، فلو كان في أيامنا خليفةٌ ربانيٌّ لَما وسعه إلا إعلان النفير العام، أو على الأقل النفير العام للإعداد الحقيقي لخوض المعركة القتالية.

ـ ويكفي أن الفقهاء اتفقوا على أنه إذا خرج رجلٌ دون إذنٍ من الأمير فقُتِل فهو شهيد بإذن الله.

١٠ــ فإن **قالوا**: تصوَّرْ أننا خرجنا جميعاً للقتال مَن سيبقى هنا ليُعَلِّم ويعمل ويدعو؟ **فقل** لهم:

ــ ما شُبْهَتُكم إلا كشبهة من يقول معترضاً على حد السرقة: تصوَّر أن الحَدّ طُبِّقَ! لرأيت النــاس يمشون مقطَّعي الأيدي؟!

وما درى هذا المَعْتوه أن الحدَّ إن طُبِّق فلن يبقى سارق واحد! وكذلك لو خَرجَتِ الكفاية وسُدَّت لَمَا احْتَجْنا إلى باقي الناس، أمَا والكفاية لم تُسَدَّ فدفع العدو الصائل مقدَّم على كل شيء من المندوبات والإعدادات السلمية الوهمية.

ــ ولا تنسَ أن التَّهْلُكة كانت في ترك النفقة للجهاد وليس في فعل الجهاد، وراجــع شــرح ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ البقرة١٩٥.

ــ ولو أنك خرجتَ وخرجتُ وخرجَ... لحصَلَت الكفاية وانتصرنا، لكننا نَتَصَــرَّفُ كالمنــافقين المُعَذِّرين ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ التوبــة٩٠، وما كان الله الذي يُريد بنا اليســر لم يكن ليأمرنا بالمستحيل.

١١ــ فإن **قالوا**: لكننا نرى بين صفوف المجاهدين أخطاء متعددة؟! **فقل** لهم:

ــ ومن الذي من الأخطاء لا يسلم؟ والأصل أن الجهاد لعامة الأمة لا لخاصَّتهم فحسبُ، والخطأ لا يخلو منه أيُّ تَجَمُّع حتى في صفوف مُرْتادي الجماعة في المسجد، فهل تُلْغي صلاة الجماعة لوجود خطأ من بعض المصلين، وهل يقال: اترك العمل الصالح حتى تتخلّص من الشر الذي فيك أم يقال: أبْقِ الحق واخلع الباطل؟ بل هَبَّ كثيرون عسى ينالون الشهادة فتُغفَر ذنوبهم، وقد مرّبنا في رقم 8 قصة أبي مِحْجن الذي كان يَشرب الخمرَ مراراً.

ــ ومذهبُ أهل السنة والجماعة أن الإنسان قد يجمع إيماناً وضلالاً في آنٍ معاً، فَنُحِبُّه لِمَا فيه منه خير، ونُبغضه إن وُجِدَت فيه معاصٍ، وتذكَّرْ يوم نَهى رسولنا ﷺ أن يُسَبَّ شارب خمر لَمَّا أُتي به فَجُلد، وعَلَّلَ رسولنا ﷺ: (لا تلعنوه فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله) البخاري، ورسولنا ﷺ نفسه بَرِئَ من صنيع "خالد" رضي الله عنه لَمّا قَتل أقواماً ما أَحْسَنوا أن يُعَبِّروا عن إسلامهم فقالوا: "صبَأْنا"، فَقَتَلَهم "خالد" رضي الله عنه فقال رسولنا ﷺ: (اللهم إني أَبْرَأُ إليك مما صنع خالد) البخاري، ومع ذلك لم يَعْزِلْه، ولم يُشَهِّر به.

ــ أليس هكذا هديُ الإسلام في التعامل مع الأشخاص فعلام نَكيل بمكيالين؟

١٢ــ فإن **قالوا**: إنّ آباءَنا وأمهاتِنا لا يَسمحون لنا، وزوجاتنا وأولادنا سيَبْقَون لوحدِهم؟ **فقل لهم**:

ــ لا والله لا يُستأذن أحدٌ لأداءِ فرضٍ من فروض الأعيان، فهل تُستأذن الزوجة أو الأب أو الأم للصلاة أو الصيام؟ فإن تَحَوّلَ الجهاد إلى فرض عين تَتْرُك لهم الكَفاف وتسافر؛ لأن الأمر أخطر.

ــ وهاهو نبيك ﷺ يُخبِرنا عن حِيَل الشيطان في فرض الكفاية: (إن الشيطان قعــد لابــن آدم بطريق الإسلام فقال له: تُسلم وتذر دينك ودين آبائك؟! فعصاه فأسلم فغُفر له، فقعد له بطريق الهجرة فقال له: تهاجر وتذر أرضك وسماءك؟! فعصاه فهاجر، فقعد له بطريق الجهاد فقال له: تجاهد وهو جهد النفس والمال فتُقاتل فتُقتل فتُنكح المرأةُ ويُقسَم المال؟!!!! فعصاه فجاهد، فقال رسول الله ﷺ: فمن فعل ذلك فمات كان حقاً على الله أن يدخله الجنة أو قُتل كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، وإن غَرِقَ كان حقاً على الله أن يُدْخِله الجنة، أو وَقَصَتْه دابة كان حقاً على الله أن يدخله الجنة) حديث صحيح.

ــ وقال عن الولد (الولد مَبْخَلَةٌ مَجْبَنة) صحح إسناده البوصــيري، وقال المناوي في شرح الجامع عنــده: (أي يُجْبِن أباه عن الجهاد خشيةَ ضَيْعَته، وعن الإنفاق في الطاعة خوفَ فقره، فكأنه أشار إلى التحــذير من النكول عن الجهاد والنفقة بسبب الأولاد، بل يكتفي بحسن خلافة الله، فيُقْدِم ولا يُحْجِم، فمن طلب الولد للهوى عصى مولاه ودخل في قولــه تعــالى: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾ التغابن١٤.

ــ فانتصار الإسلام أغلى ما نتمنى وليست الزوجة أغلى أمانينا؛ لئلا نكون من أهــل ﴿شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا...﴾ الفتح١١.

ــ فإن **قـالوا**: ماذا تترك لهم وقد خرجْتَ بمالك ونفسك؟ فحسبك أن تقول: أَتْــرُك لهــم الله ورسوله، **قـل لهـم**: ادَّخَرتُ مالي عند ربي، وادَّخرتُ ربي لأولادي؛ وتذكَّرْ قصة "الزبير" رضي الله عنه ووفــاءَ دَينه، وقد مرت بنا في رقم ١٣، وتذكر تَصَدُّق الصّديق بكل ماله؛ فعن عمر رضي الله عنه (أَمَرَنا رسول الله ﷺ أن نتصدق فوافَق ذلك مالاً عندي، فقلت: "اليوم أَسْبِقُ أبا بكر، إنْ سَبَقْتُه يوماً"؛ فجئتُ بنصف مالي، وأتى أبو بَكْرٍ بكل ما عنده، فقال له النبي ﷺ: يا أبا بكر ما أَبْقَيْتَ لأهلك؟ قال: أبقيتُ لهم الله ورســوله)، ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَـٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ يوســف٦٤، ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ العنكبوت٦٠.

ــ هذا "عُبادة بن الصامت" ﷺ يقول لمقوقس مصر عظيم القبط: (...وما منا رجل إلا وهو يـدعو ربه صباحاً ومساءً أن يرزقه الشهادة، وألاَّ يَرُدَّه إلى بلده ولا إلى أرضه ولا إلى أهله وولده، وليس لأحدٍ منا هَمٌّ فيما خَلْفَه، وقد استَودَعَ كلٌّ واحد منا ربَّه أهلَه وولده، وإنما همُّنا ما أمامَنا) اهـ (من كتاب "فتوح مصر وأخبارها").

ــ أين نحن من مثل خالد بن الوليد الذي اختلط لحمه وعظمه مع حب الجهاد، إذ يقول: (ما ليلةٌ تُهدى إلى بيتي فيها عروسٌ أنا لها مُحِبٌّ وأُبَشَّر فيها بغلام بأحبَّ إليّ من ليلة شديدة الجليد في سرية من المهاجرين أُصَبِّح بها العدو) أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح.

وإليك أقوالَ العلماء في إذن الوالدين:

١ــ المغني ١٧١/٩: (مسألة: ...وإذا خُوطب بالجهاد فلا إذن لهما، وكذلك كل الفرائض لا طاعة لهما في تركها، يعني إذا وجب عليه الجهاد لم يُعتبر إذن والديه، لأنه صار فرضَ عين وتركُه معصية، ولا طاعة لأحد في معصية لله، وكذلك كل ما وَجَبَ مِثْلُ الحج والصلاة في الجماعة والجُمَع والسفر للعلـم الواجب، قال الأوزاعي: لا طاعة للوالدين في ترك الفرائض والجُمَع والحج والقتال؛ لأنها عبادة تَعَيَّنَـتْ عليه فلم يُعْتَبَر إذن الأبوين فيها كالصلاة).

٢ــ وفي بدائع الصنائع للكاساني ٩٨/٧: (فأما إذا عمَّ النفير بأن هجم العدو على بلد، فهو فـرض عين يُفترض على كل واحد من آحاد المسلمين ممن هو قادر عليه لقوله سبحانه وتعالى ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ التوبة٤١ ...يَخرج... بغير إذن...... لأن حَقَّ الوالدين لا يَظهر في فروض الأعيان كالصـوم والصلاة......) اهـ، وبلاد المسلمين واحدة كما هو معروف.

٣ــ ابن تيمية: (إذا دخل العدو بلاد الإسلام فلا رَيْبَ أنه يجب دفعه على الأقرب فـالأقرب، إذ إن بلاد المسلمين كلها بمترلة البلدة الواحدة، وأنه يجب النفير إليه بلا إذن والد أو غَريم).

٤ــ بل أعلى من ذلك ما في حاشية ابن عابدين ١٢٦/٤: (قال السرخسي: وكذلك الغلمان الذين لم يَبلغوا إذا أطاقوا القتال فلا بأس بأن يخرجوا ويقاتلوا في النفير العام، وإن كره ذلك الآباء والأمهات).

ــ أمّا من يُقنع نفسه بما قاله ابن حَزْم فهذا ما فَقِه كلام ابنِ حزم؛ لأن ابن حـزم ضَـبَط جـواز التخلف بضابطٍ في "المحلى" فقال: (إلا أن يُضَيَّعا أو أَحَدَهما بعده، فلا يَحِلُّ له تركُ مَن يُضَـيَّعُ منـهما) اهـ، فما معنى "يُضَيَّعا"؟

صحَّ في الحديث (كفى بالمرء إثماً أن يُضَيِّع من يَعول)، ووضَّحَت روايةٌ لمسلم الأمر أكثر: (كفى بالمرء إثماً أن يَحْبِس عمن يَملك قُوْتَه)، فهل أمك أو أبوك شيخان كبيران سيَهلكان موتاً حقيقياً بسفرك؟ أم أنك تَبني على أوهامٍ أنهما أو أحدَهما سيموت من الحزن حتى تبيضَّ عيناه فيَعمى، أو يُصاب بجُلطة دماغية، أو بشلل نصفي أو كلي؟

وما هو احتمال هذا؟ هل ١٠٠%؟ وما دليلك على هذا الاحتمال؟

تعال فلْنتصارحْ! إذا كان أحد أبويك سيحصُل له شيءٌ مما سلف من الاحتمالات فهل السبب بُعدُك عنهما أم سماعهما نبأ قتلك؟

إن كان السبب بعدَك فأجبني: لو أن ظالماً جباراً كمخابرات بلادنا العربية طلبك فهل تَهرب من البلد أم تَبقى؟ بحسب منطقك ينبغي أن تتخفى في مكان ما حتى يراك أبواك باستمرار؛ لأنك لو خرجت خارج بلدك أو سلّمت نفسك للمخابرات فكلاهما سيُحْزن أبويك ويُميتهما إذ العادة أن تتعذَّر اللقاءات الدائمة بينكما خارج بلدك أو داخل السجن، وإن كنت أنت العائلَ الوحيد لهما فإنّ كلَّ الحلول ستَضرهما لأنّ الغالب أنك في تَخَفِّيْك ستحتاج إلى من يُعِيْلك!

وإن كان السبب سماعهما نبأ قتلك فهذا كلام المنافقين ﴿لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ﴾ آل عمران١٥٦، فجاء الجواب الإلهي: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ﴾ آل عمران١٥٤.

وقبل هذا وذاك فإن لابن حزم فتاوى كثيرة لا تُرضي شهوة النفس، فعلام لا تأخذ بفتاويه تلك ما دمت من المقلدين؟

وإن كنتَ من المجتهدين الذين بَلغوا القُدْرة على الاستنباط من الأدلة بأنفسهم فهل بحثتَ فرأيتَ الدليلَ مع "ابن حَزْم"؟

أيًّا ما كان فقد تَخدَعني، أو تُسكتُني، أو ربما تُقنِعُني، لكنك لن تَخْدع رب العالمين، فأعدَّ للسؤال جواباً.

ــ فإن **قالوا**: أمك ستبكي عليك! **فقل لها**:

أماه ديني قد دعاني للجهاد وللفِدا
أماه إني ذاهب للخلد لن أتَرَدّدا
أماه لا تبكي عليَّ إذا سقطْتُ مُمَدَّداً

وقل لها:

أماه إن سحَّت دموعُكِ أو تذَكَّرْتِ اللقـــاء
وعَدَتْ عليك الذكرياتُ وهَيَّجَت فيك البكاء
فَتَجَلَّدِي بالصبر حيناً ثم جُودي بالــــدعـــاء

﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ التوبة٢٤.

١٣ــ فإن قالوا: لكننا إن خرجنا لمكان "كذا" للإعداد لا ندري ما يُفعل بنا بعدَها، فلا نعرف أين سنذهب ومن سنقاتل، فيجب أن نكون على بيِّنة، وربما نَخرج للقتال فلا ننال الشهادة، فمن يَضمن لنا ذلك، ولعلنا لا نستطيع بعدها الرجوع إلى بلادنا؟ فقل لهم:

ــ الأماكن التي ينبغي أن تُحَرّر كثيرة، والجبهة لن تُفْتَح إلا بمن أَعدّ وتَدَرَّب، وأنت لا تذهب للإعداد والتدرُّب حتى تُفتح جبهةٌ ما، إذاً وَقَعْنا في مسألة "الدَّور": فلن تَخرج حتى تُفتَح جبهة، ولن تُفتح جبهة حتى يَخرج أمثالك ويتدربَ، فمتى ستُفتح؟!

ــ وهل أعطى رسولنا ﷺ ضماناتٍ لأصحابه حتى خرجوا أم كانوا من أصحاب (كلما سَمع هَيْعَة أو فَزعة طار...) مسلم .. وانظر كلمة: "سَمِعَ" و لم يقل تَثَبَّت وتَحَرَّى ودَقَّق وأَوْرَد الإشكالات وأخذ الأَيمان المُغَلَّظة...

ــ وحسبك أن تعيش في بلدٍ يُطَبِّق الشريعة الإسلامية كاملةً ولو أَكَلْتَ معهم الأحجار!

ــ وعلى أية حال لا تَتَسَرّع، واسأل واستفسر، ولا يَعْبَثْ بِك الشيطان، و(إنْ تَصْدُقِ الله يَصْدُقْك) النَّسائي وهو صحيح، والتاريخ يشهد.

وحسبُك أنّ (مَن فَصَل في سبيل الله فمات أو قُتِل أو وَقَصَتْه فرسه أو بعيره أو لدغته هامَّة أو مات على فراشه بأي حَتْف شاء الله، فإنه شهيد وإن له الجنة) أبو داود والحاكم وهو حسن.

ــ و(مَن سأل اللهَ الشهادة بصِدق بَلَّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه) مسلم، وفي رواية لمسلم: (من طلب الشهادة صادقاً أُعطِيَها، ولو لم تُصِبْه).

فلا يخدعنك من يقول لك: هل تَضْمَن أن تُقْتل هناك مرابطاً أو شهيداً؟!

ــ وقد ضمن الله للمجاهد الجنة (إنْ قُتِل أو مات غرَقاً أو حَرْقاً أو أَكَلَه السَّبُع) النَّسائي وأحمد والحديث صحيح.

ــ (مَن خرج مِن بيته مجاهداً في سبيل الله عز وجل... فَخَرَّ عن دابته ومات فقد وقع أجره على الله أو لَدَغَتْه دابة فقد وقع أجره على الله أو مات حَتْفَ أنفه فقد وقع أجره على الله، ومَن مات قَعْصاً فقد استوجب المآب) صححه الحاكم وأقره الذهبي؛ وقد سعى لها "خالدٌ" رضي الله عنه فما نالها.

ــ ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ النساء١٠٠ ، فأيُّ وضوحٍ بعد هذا؟

١٤ـــ فإن قالوا: لكننا -وبصراحة- جبناء ولسنا بشجعان، فنحن نخاف من القتل، نخاف أن نُشَلَّ أو تُقَطّع أيدينا أو أرجلنا، أو تُفقأ عيوننا، أو نموت من الجوع؛ فمن أين سنؤَمِّن مصروفنا؟ أو ربما نقع في الأسر فنذوق ألوان التعذيب من العدو أو من المخابرات؛ كتقليع الأظافر ونتف الشعر ولسع الكهرَباء أو غيرها مما لا نَقْوى عليه، فنخاف أن لا نصبر، وفينا صغار السنّ ممن دون العشرين، وكبار السن ممن تجاوزوا الأربعين،...إلخ، فقل لهم:

ـــ ﴿ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ﴾ التوبة٨١ ، وأشدُّ لَسْعاً، وزَبَانيةُ جهنم أشدُّ جبروتاً من زبانية سجون بلادك، ﴿ عَلَيۡهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦ ﴾ التحريم٦ ، ﴿ فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ ١٧ سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ١٨ ﴾ العلق١٦-١٨ ، فيها ما لا عين رأت ولا أذنٌ سَمعت ولا خَطَر على قلب بشر من ألوان العذاب، (يُؤْتى بأَنْعَم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيُصْبَغ في النار صَبْغَةً ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيتَ خيراً قطّ؟ هل مَرَّ بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب!! ويُؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة فيُصْبَغُ صَبْغَة في الجنة فيقال له: يا بن آدم هل رأيتَ بؤساً قطُّ؟ هل مَرَّ بك شدة قطُّ؟ فيقول: لا والله يا رَبُّ ما مَرَّ بي بُؤسٌ قَطّ ولا رأيت شِدَّةً قطّ) مسلم، يكفي أن حرّ جهنم أشد من نار الدنيا بسبعين ضعفاً، يكفي أن وقودها الناس والحجارة، يكفي هذا، فامضِ مجاهداً لضمان النجاة من النيران.

ـــ واللهُ لم يأمرنا بما لا نُطيق، ﴿ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ ﴾ الأنعام١٥٢ ، ففرقٌ بين الاستحالة وبين الصعوبة والمشقة؛ ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡ ﴾ البقرة٢١٦.

ـــ وأين نحن من بَلْسَم الإيمان بالقضاء والقدر:

- ﴿ قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡ ﴾ آل عمران١٥٤، فهل تظن أنك لن تُشلّ وأنت بين أهلك؟ وهل تَضمن أن لا تَصدمك سيارةٌ فَيَنْهَرس نخاعك الشوكي؟ هل تأمَنُ أن لا تُصاب بجُلْطة دماغية مفاجئة؟ فلعلَّ الله يعاقبك لمعصية ترك الجهاد بمرض عضال؛ فيَنْحَلُ جسمك، ويَرِقُّ عظمك، ويُحفَر قبرك!

- ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾ التوبة٥١ ، ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾ التغابن١١.

– ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ (١٦٦) وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ ﴾ آل عمران١٦٦–١٦٧.

– (واعلم أن ما أصابك لم يكن ليُخطئك، وما أخطأك لم يكن ليُصيبك) الطبراني، وهو حسن؛ فالرصاصة التي كُتب عليها اسمك لن تُخطئك.

– (واعلم أن الأمة لو اجتَمَعَت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كَتَبَه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يَضُرُّوك بشيء لم يَضُرُّوك إلا بشيء قد كتبه الله عليك) الترمذي، وقال: حسن صحيح.

– وتَسَلَّح بهذا الدعاء /٣/ مرات حين تصبح، و/٣/ مرات حين تُمسي (بِاسْمِ الله الذي لا يَضرُّ مع اسمه شيءٌ في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم)، فمَن قاله (لم يَضرَّه شيء) حسن صحيح عند الترمذي، وفي رواية أبي داود (لم يَفْجَأْه بلاء).

– وكان ﷺ إذا خاف قوماً قال في دعائه: (اللهم إنا نَجْعَلك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم) سنده صحيح كما قال العراقي.

– فـ(إنْ أصابك شيءٌ فلا تقل: لو أني فعلتُ كذا لكان كذا وكذا؛ ولكن قل: قَدَّرَ الله وما شاء فَعَلَ؛ فإنَّ "لو" تَفْتَحُ عَمَلَ الشيطان) مسلم.

ـــ إن ثمن الدعوات باهظ، وثمن نقل المبادئ إلى العالم الفعلي يحتاج إلى كثير من التضحيات، والشهداء هم وقودها، وما دبَّ على الثرى خير من رسولنا ﷺ، ومع ذلك قال الله تعالى: ﴿ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ ﴾ البقرة٢١٤ ، فانظر ما أعنفَ تعبير "زُلْزلوا"، ولعل هذا يَنقلب على الُمخَذِّلين؛ ليدل على اعوجاجِ نهجهم؛ لأن جهادهم المزعوم لا عناء فيه.

لا والله! ما كانت الدعوات يوماً طريقاً مفروشةً بالورود والرياحين، فكم سُجن ونُفِي "لينين" وغيره من دعاة الضلال، أمَا قُتل /٣٠٠,٠٠٠/ إنسان ليُخرِجوا الكنيسة من سيادتها في الغرب، أمَا حُرق /٣٠,٠٠٠/ منهم أحياء؟ فهذا نتاج تضحيات أقوام من أجل أفكارهم.

هكذا قانون الحياة! فأصحاب المبادئ لا بُدَّ لهم من مِحَن ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ (٢) ﴾ العنكبوت٢ ، فمَن أراد أن يَسلك هذه الطريق فليتوقع المصائب من كل حَدَبٍ وصَوْبٍ، فاصبر حتى لو سِرْتَ على هذه الطريق وحدك، فالطريقُ طويلة والحِمْل ثقيل، ولكن الأجر جزيل ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ (١٥٥) ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ (١٥٦) أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ

صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ البقرة١٥٥-١٥٧ ، ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ يوسف٩٠، أمَّا أن تأتيَ على بارد الماء فهيهات!

﴿ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾ النساء١٠٤.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ ﴾ آل عمران٢٠٠، وكيف نصبر؟ يُعلِّمنا ربنا: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ النحل١٢٧؛ فاستعن به وأَكْثِرْ من الدعاء... اسأل مولاك الثبات والصبر على مرِّ القضاء؛ (ومن يَستَعْفِفْ يُعِفَّه الله، ومن يَسْتَغْنِ يُغْنِه الله، ومن يَتَصَبَّر يُصَبِّره الله) متفق عليه، واستبشِر خيراً؛ فـ(ثلاثةٌ حقٌّ على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله...) الترمذي وابن حبّان وسنده حسن، وكرِّر أحاديث الصبر وأجرِ الصابر: (يأتي على الناس زمانٌ، الصابرُ فيهم على دينه كالقابض على الجَمْر) الترمذي، وهو صحيح بمجموع الطرق، وأَدْمِن قصص أسلافنا الذين صبروا حقّ الصبر فستَشُد عزيمتك، وستُعلي همَّتك.

ـ وإياك أن تَسْخَط من ربك! إياك أن تَشكوَ مولاك! أمّا المنافق ﴿ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ العنكبوت١٠ ، وأما المؤمن فـ(عَجَباً للمؤمن! إنّ أمرَه كلَّه خيرٌ، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن؛ إن أصابته سَرَّاء شَكَرَ فكان خيراً له، وإنْ أصابته ضَرَّاء صَبَرَ فكان خيراً له) مسلم.

ـ ما أحلى هذا اللحن: (هل أنتِ إلا إصبع دَمِيْتِ وفي سبيل الله ما لَقِيْتِ) البخاري، قالها ﷺ لما دَمِيَتْ إصبَعُه في إحدى المشاهد.

ـ فلله حِكَمٌ في كل الأحوال؛ ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ محمد٣١، ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ ﴾ العنكبوت٢، ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾ آل عمران١٤٢ ، إنها نار التمحيص، و(لا يُصيب المؤمنَ نَكْبةٌ مِن شوكة فما فوقها، ولا وَجَعٌ إلا رَفعَ الله له به درجة، وحطَّ عنه خطيئة) مسلم؛ إنها تكفير للسيئات أو رفعٌ للدرجات، وتذكَّر أنه ﷺ قال لعائشة عن العمرة: (أَجْرُك على قَدْرِ نَصَبِك) متفق عليه، ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ البقرة: ٢١٦.

ـ فاحمد الله كلما زاد البلاء من أجل الدين؛ لأنه بِشارةٌ بصلابة دينك؛ فـ(أشدُّ الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثلُ فالأمثلُ، يُبتلى الرجل على حسَب دينه) البخاري، هذا نبينا جُرِحَ وجهه وكُسِرَتْ رَباعِيَتُه،

وهُشِّمَت البيضة على رأسه، كما روى لنا "مسلم"، (فكانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تَغسل الــدم، وكان علي بن أبي طالب يَسكب... فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرةً أَخذت قطعةَ حصيرٍ فأحرَقَته حتى صار رماداً ثم ألصقته بالجرح فاستمسك الدم) مسلم.

ـــ أخي صبراً على ظلم الظالمين، فلا بد لليل أن ينجلي، وهذه طريق الأنبياء، فليكن مبــدؤك مــا يُروى في السيرة (إنْ لم يكن بك غَضَبٌ عليَّ فلا أُبالي).

ماذا لاقَينا نحن أمام ما لاقاه أسلافنا؟

– هذا أبو موسى الأشعري يَقصُّ علينا: (خرجنا مع رسول الله ﷺ في غَزاة ونحن ستة نَفَر بيننــا بعير نَعْتَقِبه... فَنَقِبَت قدماي وسقَطَتْ أظفاري فكنا نَلُفُّ على أرجلنا الخِرَق؛ فسُــمِّيَتْ غــزوةَ ذات الرِّقاع لِمَا كنا نَعصبُ على أرجلنا من الخِرَق...) متفق عليــه، يقول الراوي عنه: (فحدَّث أبو موسى بهذا الحديث ثم كَرِه ذلك... كأنه كره أن يكون شيئاً من عمله أفشاه).

- تَذَكَّر أم عَمّار أولَ شهيدة في الإسلام كيف قتلها أبو جهل؟ طعناً في فرجها.
- تذكر كيف كان عم الزبير يُعَلقه ويُشعل النار ويُدخِّن عليه؟
- تذكر ضعاف المسلمين أول أمرهم، تذكر بلالاً كيف عذبوه في حرِّ الشمس اللاهب.
- تذكر أبا ذرٍّ كيف انهالوا عليه ضرباً حتى خلَّصه العباس من أيديهم.

ومن قبله كم عذّب فرعون زوجته "آسية"، قال القرطبي: (قيل: هذا حَثٌّ للمؤمنين على الصـــبر في الشدة أي لا تكونوا في الصبر ثم الشدة أضعفَ من امرأة فرعون حين صبرت على أذى فرعون)، وذكَر بعض ما ذُكر في عذابها: (أَوْتَد لها أوتاداً، وشَدَّ يديها ورجليها فقالت: ربِّ ابْنِ لي عندك بيتاً في الجنة، ووافق ذلك حضور فرعون فضحكت حين رأت بيتها في الجنة فقال فرعون: ألا تَعْجَبون من جنونها إنا نعذبها وهي تضحك! فقَبض روحها، ...كانت تُعَذَّب بالشمس فإذا آذاها حَرُّ الشمس أَظَلَّتْها الملائكــة بأجنحتها، وقيل: سَمَر يديها ورجليها في الشمس ووضع على ظهرها رَحىً، فأَطْلَعهــا الله حــتى رأت مكانها في الجنة... وقيل: إنه من دُرَّة... فهي تأكل وتشرب وتتنعم)، ويكفيها هذا الوسام النبوي (كَمُل من الرجال كثيرٌ و لم يَكْمُل من النساء إلا مريمَ بنتَ عِمران، وآسيةَ امرأةَ فرعون) صحيح عند الترمذي وغيره.

– أين نحن من الداعية "زينب الغزالي" وما أكرمها الله به وهي تُجَرجَر في سلاسل التعذيب (راجع مــا كتبه الشيخ عبد الله عزام).

ـ هذي هي حالة الصابرين من الأمم السالفة: (قد كان مَن قبلكم يُؤْخَذ الرجل فيُحْفَر له في الأرض فيُجعل فيها، فيُجاء بالمنشار فيُوْضع على رأسه فيُجعل نصفين، ويُمَشَّط بأمشاط الحديد ما دونَ لحمه وعَظْمه فما يَصُدُّه ذلك عن دينه، والله لَيَتِمَّن هذا الأمرُ حتى يَسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يَخاف إلا اللهَ والذئبَ على غَنمه، ولكنكم تَستعجلون) البخاري؛ فاستبشر خيراً ولا تكونَنّ دون غيرك.

يا من تخافون على بطونكم،يا من تخافون على مصروفكم، يا من تخافون من شَظَف العيش:

ـ أما قرأتم ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡ ﴾؟ العنكبوت٦٠ ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا ﴾؟ هود٦

ـ أما سمعتم؟ ﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةً فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَ ﴾؟ التوبة٢٨

ـ أما اسْتَوْقَفَتْكم ﴿ ۞ وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗ ﴾؟ النساء١٠٠

ـ أما مرَّ معكم؟ (لن تموت نفسٌ حتى تَسْتَكْمل رزقها) حديث حسن؟ فعلام الخوف؟

ـ أين التوكل الذي تعلمناه؟ (لو أنكم تتوكلون على الله تعالى حقّ تَوَكُّلِه لرزقكم كما يَرزق الطير؛ تَغدو خِماصاً وتَروح بِطاناً) الترمذي: حسن صحيح.

ـ ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَصۡبَحَ مَآؤُكُمۡ غَوۡرٗا فَمَن يَأۡتِيكُم بِمَآءٖ مَّعِينِۭ ٣٠ ﴾ ؟ الملك٣٠، أوليس الماء بيد الله؟ فمَّم الخوف؟ أوليس الله قادرٌ أن يُخفي الماء من النيل والفرات ومن جميع الخزانات؟ فعلام التثاقل إلى الأرض؟

ـ أين النصائح الذهبية التي تربينا عليها؟ (كُنْ في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل) البخاري، (إنما يكفي أحدَكم كزاد الراكب) إسناده جيد، (إياك والتَّنعُّم؛ فإن عباد الله ليسوا بالمُتَنعِّمين) رجال أحمد ثقات، والحديث حسن، (ما قَلَّ وكَفى خيرٌ مما كَثُرَ وألهى) أبو يعلى، وهو صحيح، فعلام كل هذا التعلق بالدنيا ونعيمها؟

ـ أين ثوابتنا التي نشأنا عليها؟ ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ٤ ﴾ البلد٤، (الدنيا سِجْنُ المؤمن وجَنَّة الكافر) مسلم.

ـ أين نحن من جوع أسوتنا؟ فكم شدَّ الحجر على بطنه!

ـ أين نحن من جوع صحبه وتحملهم لإعلاء هذا الدين؟ هذا سيِّد الحُفَّاظ ورواة الحديث أبو هريرة يُحدِّثنا (لقد رأيتُني وإني لَأَخِرُّ فيما بين منبر رسول الله ﷺ إلى حُجْرَة عائشة مَغْشِيّاً عَلَيَّ فَيَجِيْءُ الجائي فيضع رجلَه على عنقي ويرى أني مجنون، وما بي من جنون ما بي إلا الجوع) البخاري.

ـــ وذات يوم (بعث رسول الله ﷺ بَعْثاً قِبَل الساحل، فَأَمَّرَ عليهم أبا عبيدة ابـــن الجَـــرّاح، وهـــم ثلاثمائة)، يقول جابر بن عبد الله: (وأنا فيهم، فخرجْنا، حتى إذا كنا ببعض الطريق فَنِي الـــزاد، فَـــأَمَر أبوعبيدة بأزواد ذلك الجيش فجُمع ذلك كله، فكان مِزْودي تَمر، فكان يَقوتنا كلَّ يوم قليلاً، حتى فَنِي فلم يكن يُصيبنا إلا تمرة تمرة، فقلت (القائل هو تابعيٌّ يسأل جابر بن عبد الله راوي الحديث): وما تُغْني تَمْرةٌ؟ فقال: لقد وَجْدنا فَقْدها حين فَنِيَتْ، ثم انتهينا إلى البحر، فإذا حوتٌ مثلُ الظَّرِب، فأكل منه ذلك الجيش ثماني عشرة ليلة، ثم أَمَرَ أبوعبيدة بضلعين من أضلاعه فنُصِبا، ثم أَمَر براحلة فَرُحِّلَـــت ثم مَـــرَّتْ تحتهما) البخاري، وعند مسلم (فقلت: كيف كنتم تَصنعون بها؟ قال: نَمصها كما يَمص الصبي الثـــديَ ثم نشرب عليها الماء فتكفينا يومَنا إلى الليل، وكنا نضرب بعصينا الخَبَط ثم نَبُلُّه بالمـــاء فنأكلـــه)؛ أي ورق الشجر اليابس، كانوا يأكلونه بسبب الجوع الشديد الذي أصابهم، فثِق بالله أيها المجاهد، فلن يُضَـــيِّعك الله.

ـــ تذكر كيف حَصروهم في الشِّعبِ حتى كادوا يموتون من الجوع وليس لديهم إلا ورق الشجر... تذكّر وتذكّر..

أينَ أنتم من شجاعة وبطولات صغار الصحابة وكبارهم؟

ـــ هذا "عُبادة بن الصامت" رضي الله عنه يقول لمقوقس مصر عظيم القبط: (...وما منا رجلٌ إلا وهو يـــدعو ربه صباحاً ومساءً أن يرزقه الشهادة، وألاَّ يَرُدَّه إلى بلده ولا إلى أرضه ولا إلى أهله وولده، وليس لأحدٍ منا هَمٌّ فيما خَلْفَه، وقد اسْتَودَعَ كلٌّ واحد منا ربَّه أهلَه وولده، وإنما همُّنا ما أمامَنا) اهـــ (من كتـــاب :فتـــوح مصر وأخبارها).

ـــ ولما ارتدّ طليحة الأسدي جاءه ابن الوليد بجنده، فلما رأى طليحة كثرة انهـــزام أصـــحابه قـــال: (ويلكم ما يَهزمكم؟ قال رجل منهم: أنا أحدثك ما يَهزمنا! إنه ليس منا رجل إلا وهو يُحب أن يموت صاحبُه قبله، وإنا لنَلقى قوماً كلهم يُحب أن يموت قبلَ صاحبه) راجع ١٧٥/٨ من سنن البيهقي.

ـــ وعلام تخاف من القتل و(ما يجد الشهيد من مسِّ القتل إلا كما يَجد أحدكم من مسِّ القرصـــة) الترمذي وصححه الشيخ شاكر؟

ـــ وعَدَدُ الذين قُتلوا بالحوادث أليس أكبر ممن قُتل في المعارك من المجاهدين؟ بل إصابات كرة القـــدم من الكثرة بمكان، فما دام الموت لا مَناصَ منه فمُت شهيداً بدل أن يَنهشَك مرض السكري وتصـــلُّب الشرايين، وسرطان الرئة... إلخ.

ـــ أوَلم يَطلب "خالد بن الوليد " رضي الله عنه القتلَ مظانَّه فما قُتِل!؟...... فعلام الخوف؟! أما قـــال عنـــد وفاته: (لقد طلبْتُ القتل فلم يُقَدَّر لي إلا أن أموت على فراشي، وما من عملي أَرْجى من لا إلــه إلا الله وأنا مُتَتَرِّس بها ثم قال: إذا أنا مِتُّ فانظروا سلاحي وفرسي فاجعلوه عُدة في سبيل الله) الطبراني وإسناده حسن.

أما روي عنه: (لقد شَهِدْتُ كذا وكذا موقفاً، وما من عضو من أعضائي إلا وفيه رميةُ أو طعنـــة أو ضربة، وها أنا ذا أموت على فراشي كما يَموت العَيْر، فلا نامت أعين الجبناء)، يعني أنه يتألم لكونه ما مات قتيلاً في الحرب، ويتأسف على ذلك. (راجع البداية لابن كثير، وسير النبلاء للـــذهبي)، والعَيْر= الحمار الوحشـــي والأهلي.

أما كتب في رسالته: (بسم الله الرحمن الرحيم. من خالد بن الوليد إلى مَرازِبة فارس: السلام على من اتبع الهدى فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو... الذي... فَرَّق جماعتكم، ووَهَّن بَأْسكم، وسَلَبَ مُلْككم، فإذا جاءكم كتابي هذا فاعتقدوا مني الذمة وأدوا إليَّ الجِزية وابعثوا إليَّ بالرهن، وإلا فوالله الذي لا إله إلا هو لألقاكم بقوم يُحبون الموت كحبكم الحياة) أبو يعلى.

أو لم يقل لأهل مدينةٍ أغلقوا حصونهم في وجهه: (أين تذهبون منا؟ والله لو صَـــعدتم إلى الســـحب لأصعَدَنا الله إليكم أو أَمْطَرَكم علينا).... ففُتِحت المدينة؟

ألم يَقل رجلٌ: ما أكثر الروم؟ فقال له خالد رضي الله عنه: (اسكت! بل ما أقلَّهم! وَدِدْتُ لو أن عَدَدهم زاد وأن الأشقر شُفيَتْ)، والأشقر فرسه.

أما ظنّ "ماهان" أن المسلمين خرجوا بسبب الجوع فقال: (إنا قد علمنا أن ما أخرجكم من بلادكم الجهدُ والجوع، فهلموا إلى أن أُعْطِي كلَّ رجل منكم عشرة دنانير وكسوةً وطعاماً وتَرجعون إلى بلادكم فإذا كان من العام المقبل بعثنا لكم بمثلها، فقال خالد: إنه لم يُخْرِجنا من بلادنا ما ذكرتَ غير أنا قـــومٌ نَشرب الدماء، وإنه بَلَغَنا أن لا دَمَ أطْيَبَ من دَم الروم فجئنا لذلك! فقال أصحاب "ماهان": هـــذا والله ما كنا نُحَدِّث به العرب)، فأَلْقى اللهُ الرعب فيهم وهُزِموا بإذن الله (راجع "البدابة" لابن كثير ٧/١٠).

ـــ وفي معركة "اليمامة" يُحدثنا ابن عمر رضي الله عنه: (رأيتُ عماراً يوم اليَمامة على صخرةٍ وقـــد أشْـــرَف يَصيح: يا معشر المسلمين أَمِنَ الجنة تَفِرُّون؟! أنا "عمار بن ياسر" هَلُمُّوا إليّ! وأنا أنظر إلى أذنـــه قـــد قُطِعت فهي تَذَبْذَبُ، وهو يقاتل أشدَّ القتال) أخرجه ابن سعد.

ــ ألا تذكر كتب التاريخ الإسلاميّ أن عمرﷺ أرسلَ إلى سعدٍ (قد أَمْدَدْتك بألفَي رجل عمرو بن مَعْديْ كَرِب وطُليحة بن خويلد الأسدي فشاوِرْهما في الحرب ولا تُوَلِّهما)؛ لعظيم شجاعتهما فيُخشى أن يُدخِلوا الجيش بما لا قِبَل له به.

ــ وفي تاريخ الطبري أن أبا بكر أمدَّ خالداً بــ "القعقاع بن عمرو التميمي" فقيل باستغراب: رجل!!!؟ فقال ﷺ: (لا يُهْزَم جيشٌ فيهم مثل هذا).

ــ أو لم يَتحَنَّطَ "ثابت بن قيس" ﷺ يوم اليمامة وقال: (...ما هكذا كنا نفعل مع رسول الله ﷺ، بئسما عوَّدتُم أقرانَكم) البخاري، فقاتَل حتى قُتل.

ــ وعند ابن سعد (وشَهِدَ أبو دجانة بدراً وكانت عليه يوم بدر عِصابة حمراء... كان أبو دجانة يُعْلَم في الزُّحوف بعصابة حمراء ... وشهد أيضاً ... أُحداً وثَبت مع رسول الله ﷺ وبايعه على الموت..... عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ أخذ سيفاً يوم أحد فقال: من يأخذ هذا السيف؟ فبَسَطوا أيديهم كلٌّ إنسان منهم يقول: أنا أنا، فقال: مَن يَأخذه بحقه؟!! فأَحْجَم القوم فقال:... أبو دجانة أنا آخذه بحقه! فأخذه ففَلَق به هام المشركين)، و(حين أعطاه النبيُّ ﷺ سيفه يوم أحد ... ارتجز يقول:

أنا الذي عاهدني خليلي بالشِّعب ذي السَّفح لدى النخيل
ألا أكون آخر الأُفول إضرب بسيف الله والرسول...

وشهد أبو دجانة اليمامة، وهو فيمن شَرَك في قتل مسيلمة الكذاب وقُتل أبو دجانة يومئذ... في خلافة أبي بكر الصديق) اهـ

ــ أَلَم يُتَرْجم الذهبي لنا "البراء بن مالك" ﷺ (البطل الكَرّار... شَهد أحداً وبايع تحت الشجرة، قيل كَتب عمر بن الخطاب إلى أمراء الجيش لا تَستعملوا البراء على جيشٍ فإنه مَهْلكة من المهالك يَقْدُم بهم، وبَلَغنا أن البراء يومَ حرب مسيلمة الكذاب أَمَرَ أصحابَه أن يَحمِلوه على تُرْسٍ على أَسِنَّة رِماحهم ويُلْقوه في الحديقة فاقتحم إليهم وشَدَّ عليهم وقاتَل حتى افتتح باب الحديقة فجُرِح يومئذ بضعة وثمانين جرحاً، ولذلك أقام خالد بن الوليد عليه شهراً يُداوي جراحه، وقد اشْتَهر أن البراء قَتَل في حروبه مئة نفسٍ من الشجعان مبارزةً).

(عن أنسٍ مرفوعاً قال: (كم من ضَعيفٍ مُتَضَعَّف ذي طِمْرَين لو أَقْسَم على الله لأَبَرَّه منهم البراء بن مالك)، وإنّ البراء لَقِيَ المشركين وقد أَوْجَع المشركون في المسلمين فقالوا له: يا براءُ إن رسـول الله ﷺ قال: إنك لو أَقسمتَ على الله لأَبَرَّك، فأقسِمْ على ربك، قال: أُقْسِم عليكَ يا رَبُّ لَمّا مَنَحْتَنا أكتافهم).

ـــ و(لما كان يوم أحد انهزم ناس من الناس عن النبي ﷺ وأبو طلحة بين يدي النبي ﷺ... وكان أبو طلحة رجلاً رامياً شديد النَّزْع، وكَسَر يومئذ قوسين أو ثلاثاً، فكان الرجل يَمُر معه الجَعْبة مـن النَّبْـل فيقول: انثرها لأبي طلحة، ويُشْرِف نبي الله ﷺ يَنْظر إلى القوم فيقول أبو طلحة: يا نبي الله بـأبي أنـت وأمي لا تُشْرِف لا يُصِبْك سهم من سهام القوم، نحري دون نحرك،... ولقد وقع السيف من يـدي أبي طلحة إما مرتين أو ثلاثاً من النعاس) متفق عليه، و(كان أبو طلحة حسن الرمي وكان يتترس مع الـنبي ﷺ بترس واحد، وكان أبو طلحة حَسَنَ الرميِ، فكان إذا رمى تَشَرَّف النبي ﷺ فينظر إلى موضـع نَبْلـه) البخاري.

قال الذهبي في سيره: (كان إذا بقي مع النبي ﷺ جثا بين يديه وقال: نفسي لنفسك الفداء ووجهـي لوجهك الوقاء... قال رسول الله: لصوت أبي طلحة أشد على المشركين من فئة).

ـــ حقاً ما أقواها من كلمة: (فُزْتُ وربِّ الكعبة)!!!

وذلك لَمّا أرسل نبينا سبعين من الأنصار يقال لهم: القرّاء، وكـان القـرّاء (يقـرؤون القـرآن ويتدارسون بالليل يتعلمون، وكانوا بالنهار يَجيئون بالماء فيَضعونه في المسـجد ويَحتطبـون فيبيعونـه ويشترون به الطعام لأهل الصفة وللفقراء) مسلم، فأرسَلهم ومنهم "حرام بن مِلْحـان" فوقـف (فبينمـا يحدثهم عن النبي ﷺ إذ أَومؤوا إلى رجل منهم فطعنه فأنفَذَه، فقال: "الله أكبر! فُزْتُ وربِّ الكعبـة"، ثم مالوا على بقية أصحابه فقتلوهم .... فأخبر جبريل عليه السلام النبي ﷺ أنهم قد لقوا ربهم فرضيَ عنهم وأرضاهم، فكنا نقرأ: "أنْ بَلِّغوا قومنا أنْ قد لَقينا ربنا وأرضانا"، ثم نُسِخ بعدُ، فدعا علـيهم أربعـين صباحاً؛ على رِعْل وذكوان وبني لحيان وبني عُصَيَّة الذين عصوا الله تعالى ورسوله ﷺ) البخاري.

وفي رواية للبخاري: (لَمّا طُعِن حَرام بن مِلْحان ... يوم بئر معونة قال بالدم هكذا، فَنَضَحَه علـى وجهه ورأسه ثم قال: فُزْتُ ورَبِّ الكعبة)، فماذا بعد هذا؟ يا ويحنا ما أجبَنَنا، ومـا أشـجعهم، ومـا أسرعهم إلى جنة عرضها السموات والأرض.

ـــ **حتى النساء** حفظ لنا التاريخ نماذج راقية لبطولات فريدة قلما تجدها في الرجال وهم رجال، هذه "نَسيبة بنت كَعْب المازنية" "أم عُمارة" قال الذهبي في "سيره": (شَهِدَت أم عمارة ليلة العقبة، وشَهدت أحداً والحُديبية ويوم حُنين ويوم اليمامة، وجاهدت وفعلت الأفاعيل، وقُطعت يدها في الجهـاد، وقـال

الواقدي: شَهدت أحداً مع زوجها ... ومع ولديها، خرجت تسقي ... وقاتلت وأَبْلت بــلاء حسـناً، وجُرِحت اثني عشر جرحاً) ،ومما أُثِرَ عن رسول الله فيها (لَمُقام نَسيبة بنت كعب اليوم خير مــن مُقــام فلان وفلان، وكان يراها يومئذ تقاتل أشدَّ القتال، وإنها لحاجزة ثوبها على وسطها حتى جُرحت ثلاثــة عشر جرحاً)، وقال عنها وعن زوجها وأولادها في المعركة: (اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة)، ثم قــال الذهبي: (جُرِحَت أم عمارة بأُحُدٍ اثني عشر جرحاً، وقُطِعَت يدُها يوم اليمامة، وجُرحت يــوم اليمامــة سوى يدها أَحد عشر جرحاً، فقَدِمَت المدينة وبها الجِراحة، فلقد رُئي أبو بكر ﷺ وهو خليفــةٌ يَأْتيهــا يَسْأل عنها، وابنها "حبيب".... هو الذي قَطَّعَه مسيلمة، وابنها الآخر ... قُتل يوم الحَرَّة، وهو الذي قَتَل مُسيلمة الكذاب)، (وذكر الواقدي أنه لما بَلَغها قَتْل ابنها "حبيب" عاهَدَت الله أن تموت دون مسيلمة أو تُقتل، فشهدت اليمامة مع خالد بن الوليد ومعها ابنها عبد الله فقَتل مسيلمة، وقُطعت يدها في الحرب).

وها هي ذي تُحدثنا عن يوم أُحد: (خرجْت ومعي سقاء وفيه ماء فانتهينا إلى رسول الله ﷺ وهو في أصحابه والدولة والريح للمسلمين، فلما انهزم المسلمون انحَزْتُ إلى رسول الله ﷺ، فكنت أباشر القتــال وأَذُبُّ عنهم بالسيف، وأَرْمي عن القوس حتى خَلُصَتْ الجراح إليَّ -فرأيت على عاتقها جرحاً أَجْوَف له غَوْرٌ فقلت: من أصابك بهذا؟ قالت: ابن قمئة)، (أَقْبَل ابن قمئة وقد وَلَّى الناس عن رسول الله يَصــيح: دلوني على محمد فلا نجوتُ إن نجا، فاعتَرَضَ له مصعب بن عمير وناسٌ معه فكنت فيهم فضربني هــذه الضربة، ولقد ضربته على ذلك ضرَبات، ولكن عدو الله كان عليه درعان، ....وكان أعظمَ جراحهــا فداوته سنة، ثم نادى منادي رسول الله إلى "حمراء الأسد" فَشَدَّت عليها ثيابها فما استطاعت من نــزف الدم، ولقد مكثنا ليلتنا نكمد الجراح حتى أصبحنا، فلما رجع رسول الله من الحمراء ما وصل رسول الله إلى بيته حتى أرسل إليها عبد الله بن كعب المازني يَسأل عنها).

قالت أم عُمارة: (قد رأيتُني وانكشف الناس عن رسول الله فما بقي إلا في نَفير ما يُتِمُّون عشرة وأنا وابناي وزوجي بين يديه نَذُبُّ عنه، والناس يَمُرّون به منهزمين ورآني لا تُرْسَ معي، فرأى رجلاً مُوَلِّيــاً معه ترس، فقال لصاحب الترس: أَلْقِ تُرْسَك إلى من يُقاتل، فألقى ترسه، فأخذتُه، فجعلت أتترس به عن رسول الله، وإنما فعل بنا الأفاعيل أصحاب الخيل، لو كانوا رَجّالة مثلَنا أصبناهم إن شاء الله، فيُقْبِل رجل على فرس فضربني وتترستُ له، فلم يَصنع سيفه شيئاً وولَّى، وأضرب عُرقوب فرسه فوقع على ظهــره فجعل النبي ﷺ يصيح بابن أم عمارة: أُمَّك أمَّك، فعاونني عليه).

وحَدَّث ابنها: (جُرحت يومئذ جرحاً في عضدي اليسرى ضربني رجل ... ولم يُعَرِّج عليّ، ومَضــى عني وجعل الدم لا يَرْقَأ، فقال رسول الله: اعصب جرحك، فتُقْبِل أمي إليّ ومعها عصائب في حِقْوَيها قد

أَعَدَّتْها للجِراح، فربطَتْ جرحي والنبي واقف يَنظر إليّ ثم قالت: انهض بُنَيّ فضارِب القوم فجعل النبي ﷺ يقول: ومَنْ يُطيق ما تُطيقين يا أم عمارة؟ قالت: وأقبل الرجل الذي ضرب ابني فقال رسول الله: هذا ضاربُ ابنك، فأَعْتَرض له فأضرب ساقه؛ فَبَرَك، فرأيتُ رسول الله يَتَبَسَّم حتى رأيتُ نواجذه وقال: اسْتَقَدتِ يا أم عمارة ..... فقال النبي ﷺ: الحمد لله الذي ظَفرك وأَقَرَّ عينك من عدوك، وأراك ثأرك بعينك)، أفلا نَخجل من أنفسنا ونحن رجال؟ (راجع لما مضى من سيرتها طبقات ابن سعد والإصابة وسير أعلام النبلاء)

ـــ ثم مَن قال: إن الصحابة كانوا على درجة واحدة من الشجاعة؟ من قال: إنه لم يكن منهم من يخاف؟ لكنهم توكلوا على الله واستبشروا بوعد الله؛ فحلاوة الأجر تُنسي مرارة الصبر، (ألا أُنَبِّئُكم ليلةً أفضلَ من ليلة القدر؟ حارسٌ حَرَس في أرضِ خوفٍ لعله ألاَّ يرجعَ إلى أهله)، الحاكم وسنن البيهقي والحديث على شرط البخاري، (ما خالَط قلبُ امرئٍ رَهْجٌ "= خوف" في سبيل الله إلا حرّم الله عليه النار) رجاله ثقات وهو حسن، (خير الناس منزلة: رجل على متن فرسه، يُخيف العدو ويخيفونه) صحيح لغيره، وجاء بإسناد جيد.

ـــ وفي البخاري (أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا للزبير يوم اليرموك: ألا تَشُدُّ فَنَشُدُّ معك؟ فقال: إني إن شَدَدْتُ كذبتم، فقالوا: لا نَفْعل، فحَمل عليهم حتى شَقَّ صفوفهم فجاوزهم وما معه أحد، ثم رجع مُقْبلاً فأخذوا بلجامه فضربوه ضربتين على عاتقه بينهما ضربة ضُرِبَها يوم بدر،قال عروة: كنتُ أُدْخِل أصابعي في تلك الضربات أَلعب وأنا صغير، قال عروة: وكان معه عبد الله بن الزبير يومئذ وهو ابن عشر سنين فحَمَله على فرس ووَكَلَ به رجلاً).

ـــ ألم يحدِّثنا أنس بن مالك عن عمه فقال: (عمي أَنس بن النَّضْر ﷺ سُمِّيْتُ به لم يَشْهَد مع رسول الله ﷺ يوم بَدر فَشَقَّ عليه وقال: أولُ مَشْهد شَهده رسول الله ﷺ غِبْتُ عنه لئن أَراني الله تعالى مَشْهَداً فيما بعدُ مع رسول الله ﷺ لَيَرَيَنَّ الله عز وجل ما أَصْنَعُ .... فَشَهِد مع رسول الله ﷺ يومَ أُحد فاستقبلَ سعد بن معاذ ﷺ فقال له أنس ﷺ: يا أبا عمرو أين؟ واهاً لريح الجنة إني أَجده دون أُحُد، فقاتلهم حتى قُتل ﷺ، فوُجِد في جسده بِضعٌ وثمانون بين حُصول وطَعْنَة ورمية، فقالت أُخته عمتي الرُّبَيِّع ابنةُ النضر: فما عرفْتُ أخي إلا ببنانه، فنزلت هذه الآية: (من المؤمنين رجال صَدَقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قَضى نَحْبَه ومنهم من يَنْتَظر، وما بَدَّلوا تَبْديلاً)) ... مسلم وأحمد والترمذي.

وفي رواية البخاري: (...لئن أَشْهَدني الله عز وجل قتالاً للمشركين لَيَرَيَنَّ الله تعالى ما أَصْنَع، فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون فقال: اللهم إني أَعتذر إليك مما صنع هؤلاء يعني أصحابه، وأَبْرَأ إليك مما جاء به هؤلاء يعني المشركين، ثم تقدم فلَقيه سعد يعني ابنَ معاذ ﷺ ... فقال أنا معك، قال سعدٌ ﷺ: فلم أستطع أن أصنع يا رسول الله ماصَنع، فلما قُتل وُجد فيه بضع وثمانون ضربة سيف وطعنة رمح

ورمية سهم)، وفي "فتح الباري" (ظاهره أنه نفى استطاعة إقدامه الذي صدر منه حتى وَقع له ما وقع من الصبر على تلك الأهوال بحيث وجد في جسده ما يزيد على الثمانين من طعنة وضربة ورميةٍ فاعترف سعد بأنه لم يستطع أن يُقْدِم إقدامَه ولا يَصنع صنيعه)، و"سعد" اهتز لموته عرش الرحمن (صحيح عند الترمذي وغيره).

ـــ وفي البخاري: (عن قيس بن أبي حازم قال: رأيت يد طلحة التي وقى بها النبيَّ ﷺ قد شُلَّت)، فماذا حدث؟

ـــ وفي "المغازي" لابن إسحاق أن عكرمة بن أبي جهل ضرب معاذ بن عمرو فقطع يده فبقيت معلقةً حتى تَمَطَّى عليها فألقاها، وقاتل بقية يومه، ثم بقي بعد ذلك دهراً حتى مات في زمن عثمان. (راجع الإصابة لابن حجر).

ـــ و رمى أبو دجانة بنفسه يوم اليمامة إلى داخل الحديقة فانكسرت رجله، فقاتَل وهو مكسور الرجل حتى قُتل رضي الله عنه، وذلك أن النبي ﷺ عَرَضَ ذلك السيف حتى قال: مَن يأخذ هذا السيف بحقه؟ فأحجم الناس عنه فقال أبو دجانة: وما حقه يا رسول الله؟ قال: تقاتل به في سبيل الله حتى يَفْتَح الله عليك أو تُقتل، فأخذه بذلك الشرط، فلما كان قبل الهزيمة يومَ أُحُدٍ خرج بسيفه مُصْلتاً وهو يَتَبَخْتَر ما عليه إلا قميص وعمامة حمراء قد عَصَب بها رأسه). (راجع الإصابة).

ـــ و(شهد أبو عبيدة بدراً، فقَتل يومئذ أباه وأبلى يوم أُحُدٍ بلاء حسناً، ونَزَع يومئذ الحلْقتين اللتين دخلتا من المِغْفَر في وَجْنَة رسول الله ﷺ من حُصول أصابَتْه، فانقلعت ثنيّتاه، فَحَسُنَ ثَغْرُه بذهابهما). (سير أعلام النبلاء للذهبي).

يامن تتعللون بكبر السن:

ـــ أوَلم يقاتل "اليمان" رضي الله عنه و"ثابت بن وَقْشٍ" رضي الله عنه في "أُحد" رغم كبر سنهما، ورغم أن رسول الله ﷺ عَذَرهما وجعلهما مع النساء في مؤخَّرة الجيش؟

ـــ وهذا "عمرُو بن الجَموح" رضي الله عنه وهو شيخٌ أعرجُ لم يَخرج في بَدْر لِعَرَجه، فلما كانت "أُحُد" أَمَر بَنيه أن يُخرجوه فَتَعَلَّلوا له، فقال لهم: (هيهات! منعتموني الجنة ببدر، وتمنعونيها بأُحُد!).

ـــ وفي فتح الباري١٤/٥٩٥: (أخرج ابن أبي شيبة بسند صحيح ... سمعتُ عماراً يوم صِفّين يقول: مَن سَرَّه أن يَكْتَنِفَه الحور العين فليَتقدَّم بين الصَّفَّيْن مُحتسباً) اهـ وهو في التسعين.

ــ وهذا هدْيُ أسوتنا، فقد كانت كل غزواته بعد أن جاوز الخمسين، وشهد تَبوك وقد جاوز الستين؛ فيا حسرةً عليك يابْنَ العشرين والثلاثين!

يامن تتعلّلون بصغر السنّ:

ــ أمَا (كان النبي ﷺ يَعرض غلمان الأنصار في كل عام فمن بلغ منهم بَعثه؛ فعرضهم ذات عام فمر به غلام فبعثه في البَعْثِ، وعُرض عليه "سَمُرة" من بعده فرَدَّه، فقال سمرة: يا رسول الله أَجَزْتَ غلاماً ورددتني ولو صارعني لصرعته! قال: فدونك! فصارعْتُه فصرعْتُه فأجازني في البَعْث) الطبراني مرسلا ورجاله ثقات.

ــ وكم كان عمر أسامة لما كان قائد الجيش لحرب أكبر دولة في زمنهم؟

ــ ألم يكن عُمْر "محمد الفاتح" /١٦/ عاماً يومَ فَتَحَ القسطنطينية؟

ــ وفي "فتح الباري": (وروى ابن المبارك في "الجهاد" عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير أنه كان مع أبيه يوم اليرموك فلما انهزم المشركون حَمَل فجعل يُجْهِز على جرحاهم.... وهذا مما يدل على قوة قلبه وشجاعته من صغره).

ــ وفي سير النبلاء للذهبي عن أبي سعيد الخدري يُحَدِّث عن نفسه: (عُرِضْتُ يوم أحد على النبي ﷺ وأنا ابن ثلاث عشرة فجعل أبي يأخذ بيدي ويقول: يا رسول الله إنه عَبْلُ العظام، وجعل نبي الله يُصَعِّد فيَّ النظر ويُصَوِّبه ثم قال: رُدَّه، فردني).

ــ وذكر الذهبي أن الزبير خرج وهو غلام ابن اثنتي عشرة سنة، بيده السيف فمن رآه عَجِب، وقاتل الزبير مع نبي الله وله سبع عشرة.

ــ **فإذا قيل لك بعد هذا:** إنّ الجهاد فيه الموت، فاصبر على الوضع اليوم فقل لهم: ما جاهدت إلاّ لأموت، وصححوا مفاهيمكم: (ولا تحسبنّ الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ عند ربّهم يُرْزَقون)، والصبر على الذلّ والخزي والعار لا يرضاه الله للمسلمين،

(ولله العزّة ولرسوله وللمؤمنين)

(ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً)

شئتُ الحياة صراعاً ورحلةً ومتاعاً...

واخترتُ دربي بنفسي، وسِرْتُ فيه وحيداً...

فلا تقولوا: خسرنا من غاب بالأمس عنا...

إن كان في الخلد خسرٌ فالخير أن تخسروني.....

وردّد:

ولســـت أبالي إذا مـــــت مسلمـــــاً   على أيِّ جنب كان في الله مصـــرعي
وذلك في ذات الإلـــــه وإن يشـــــأ   يُبارك على أوصـــال شِلـــْوٍ مُمَـــزَّع

فأين هتافكم:

في ســـــــبيل الله قمنـــــــــــا   نبتغـــــــي رفـــــع اللـــــــواء
مـــــا لِحِـــــزْبٍ قـــــد عملنـــــا   نحـــــن للـــــدين فـــــــداء
فلْيَعُـــــد للـــــدين مَجْـــــــده   ولْتُـــــرَق منـــــا الـــــدماء

﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾ الزمر٣٦

﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ البقرة١٣٧

١٥ـــ فإن قـالـوا: الجهاد والشهادة عنوان فضفاضٌ، وهو الهدف الاستراتيجي الكبير ولا ريْب، ولكن كيف نحقق هدفنا البعيد عملياً؟ فأين الطائفة المنصورة وكيف سنصل إليها؟ وأين سنتدرب؟ وكيف؟ دُلُّونا حتى لا نكون خياليين! ولا تُعطونا "مُسكِّناتٍ" فحسبُ، فقل لهم:

ـــ سيَظهر الدين بلا ريب؛ فكلام الله لا يَأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والطائفة المنصورة التي من أخصّ صفاتها (يُقاتلون) باقية لا يَشكُّ في هذا من اطلع على الأحاديث فيها، ولا يُشترط أن تكون واحدة فقط، فقد تتوزع في أنحاء الأرض لتُحيِيَ شعيرة الجهاد، ولئن لم تكن لك مصادر موثوقة لتتعرَّف على المجاهدين فإن الإذاعات الكافرة أو العَميلة على ما تُكِنُّه للمجاهدين من عِداء تَسدُّ مَسدَّاً كبيراً في تلقُّف أخبار المجاهدين، وقد أكرمنا الله الآن بمواقع الإنترنت الإسلامية فهذا يُسهِّل كثيراً.

ـــ أمّا الوصول إلى خيطٍ يُبَلِّغك أرض الجهاد تحت راية لأيِّ قائدٍ في أيّ مكان بشرط أن تكون إسلامية سنية صافية على نهج سلفنا الصالح من صحابة ومن تَبعهم بإحسان من الأئمة الأربعة وغيرهم من العلماء الربانيين، فهذا الخيط لا بدَّ لك من إدمان دعاء رحمن السموات والأرض أن يُكرمك به كي يكون سبباً لنيل الشهادة؛ لأن تكالب أهل الكفر وأذنابهم يَضطر الإخوة المُشْرفين أن تزيد أَمْنِيّاتهم في مثل هذا، ولعلّ من أقرب الوسائل الحج والعمرة فهناك قد تتعرف على خيوطٍ لا خيطٍ واحد، فإن لم يكن للخروج بذاتك فللإمداد المادي.

فيا أيها الصادق في نيل الشهادة هل بدأتَ تسأل الله التيسير؟

أيها الصادق في نيل الشهادة هل بدأتَ تحاول من هنا أو هناك أن تسأل عن سبيلٍ للخروج إلى مكانٍ للإعداد، فما لا يَتِمُّ الواجب إلا به فهو واجب.

ـــ فإن تَعَذَّر عليك الوصول إلى خيطٍ أو كانت معسكرات الإعداد مغلقةً لسبب ما، فلا تترك الدعاء من سويداء قلبك، واستبشر خيراً بهذين الحديثين (إنما الدنيا لأربعة نَفَرٍ: عبد رزقه الله مالاً وعلماً فهو يتقي فيه ربه، و يَصِلِ فيه رَحِمَه، ويعمل لله فيه حقاً فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزَقه الله تعالى علماً، و لم يرزقْه مالاً فهو صادقُ النية يقول: لو أنّ لي مالاً لعَمِلْتُ بعمل فلان، فهو بنيته فأَجرُهما سواء، وعبد رزقه الله مالاً، و لم يرزقْه علماً يَخْبِط في ماله بغير علمٍ لا يتقي فيه ربَّه، ولا يَصِلِ فيه رَحِمَه، ولا يعمل لله فيه حقاً فهذا بأخْبَثِ المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالاً، ولا علماً فهو يقول: لو أنّ لي مالاً لَعمِلْتُ فيه بعمَل فلانٍ فهو بنيّته فوِزرهما سواء) أحمد والترمذي وهو صحيح، (إن بالمدينة لرجالاً ما سِرْتم مسيراً ولا قَطَعْتم وادياً إلا كانوا معكم حَبَسَهم المرض) مسلم، وأنت معذورٌ إن شاء الله ما دمتَ بذلتَ وسعك فلم تَصل، ولعلك تكون كهذا الأعرابي الصادق الذي (جاء إلى النبي ﷺ فآمن به واتبعه ثم قال: أهاجر معك،

فأوصى به النبي ﷺ فقَسم وقَسَم له، فأعطى أصحابَه ما قَسَمَ له، وكان يَرْعى ظَهرهم، فلما جاء دفعوه إليه فقال: ما هذا؟ قالوا: قَسْمٌ قَسَمه لك النبي ﷺ، فأخذه فجاء به النبي ﷺ فقال: ما هذا؟ قال: قَسَمْتُه لك! قال: ما على هذا اتبعتك، ولكن اتبعتك على أن أُرْمى ههنا وأشار إلى حلقه بسهم فأموت فأدخل الجنة، قال: إن تَصدق الله يَصْدُقك، فَلَبثوا قليلاً ثم نهضوا في قتال العدو، فأُتيَ به ... يُحْمَل قد أصـــابه سهمٌ حيث أشار، فقال النبي ﷺ: أَهُو هو؟ فقالوا: نعم، قال: صَدَقَ الله فصدقه) النسائي بسند صحيح.

فما عليك الآن إلا أن تنتقل إلى الخطوات التالية:

ــ انظر ما الذي يُفيد المجاهدين عملياً فاعكف على دراسته، أو الاطلاع ولو على شيءٍ يسيرٍ منـــه؛ ففي مواقع الإنترنت نماذج لِخَلْطات كيميائية مثلاً من موادَّ متـــوفرة في الأســـواق العاديـــة، أو تعلَّـــم الإلكترون ودارات التفجير الكهربائية والتحكُّم عن بُعد، أو اخرج إلى فَلاةٍ وتمرَّن على الرمي بما يتيسَّر لك ولو ببندقية صيد العصافير، وحاول أن تحافظ على لياقتك البدنية في حدودها المرنة، فالمرونة الجسدية من أهم ما يَلزم المجاهد في الكرِّ والفرّ، وحاول أن ترفع جاهزيتك للعَدْو لمسافات طويلة، اجلس وفكِّر ثم فكِّر بكل ما يُحْدِثُ نكايةً في الكفار الذين يَعيثون في الأرض فساداً، فكِّر ولا تَستصغر نفســـك؛ فقـــد يوجد في الأنهار ما لا يوجد في البحار، واستفتِ أهلَ علمٍ موثوقين في مشروعية ما يَخْطُر في بالـــك إن كان في الفكرة التباس حتى يكون عملك على بصيرة، تعمَّق في دراسة ما يفيد من الكمبيوترات، فكلّ ما يَصبُّ في ساقية القتال حاول دعمه ونشره وتعلمه ولو كان كلمة!!

ــ وعلى الصعيد الإيماني لك أو لغيرك، واظب على الأشرطة السمعية والمرئية، سواءٌ منها محمســـات الجهاد من أحاديث وقصص، أو أفلام لمعارك إخوتنا المجاهدين، أو صور مؤثرة لبعض الأبطال، وحـــاول أن تنشرها مع الأخذ بالأَمْنِيّات بحسب البلد الذي أنت فيه، واغرس في أولادك أو أحفادك أو رفاقـــك ومعارفك اغرس فيهم حب الجهاد سواء بسَرْد الأحاديث أو تذاكر قصص الأبطال وبطولاتهم أو عرض الأفلام الجهادية أو إعارتها، اغرس فيهم كره الكفار وبغض اليهود والنصارى والصليب والخنزير وفُلول الشيوعيين، ازرع في تلاميذك العزة والإباء والصبر على الابتلاء، احفظ وحَفِّظ وتعلَّم وعلِّم سُوَرَ القتال كالتوبة والأنفال، وزِدْ من حصيلتك العلمية خاصة فرائض الأعيان ثم ما يَلْزَمك في الســـفر وســـاحات الجهاد؛ من أحكامِ صلاةِ المسافر إلى أحكامِ التيمم، إلى أحكام المسح على الجَبيرة، إلى أحكام الجنـــائز، ونحوها، ثم تَوَسَّع في أحكامٍ أُخرى تَمُتُّ إلى الجهاد، وكلُّها متوفرة ولله الحمد على مواقـــع الإنترنـــت، فالمجاهدون في حاجةٍ كبيرة إلى طلبة العلم المتمكِّنين.

ـــ لا تتهاون بما أسلفْتُ ولو رأيتَه يسيراً فقد (سبقَ درهمٌ مئة ألف درهم) حديث حسن، وأنـــت الآن لا تَملك سواه، فلا تَحقرن من المعروف شيئاً، ولا تكن سطحياً تحسبُ أنك وعملَك لا شيءَ ما لم تَحْمِلِ الرشَّاش بيدك، فلربما نلتَ أجرَ كلِّ أصحاب الرشاشات إذا كنتَ تُؤَمِّن لهم الإمدادات، أو تُســـاهم في نقلِ ولو ورقةٍ صغيرةٍ تُساهم في إنقاذ أحد المجاهدين من أنياب الظلمة العرب أو العجم، أو تَخلُف أهل المجاهدين بخيرٍ ممن قد تتعرَّف عليهم ....إلخ؛ فـــ(إن الله يُدْخِل بالسهم الواحد ثلاثةَ نَفَر الجنة: صانعَه – يَحْتَسِبُ في صَنْعَتِه الخير–، والراميَ به، ومُنْبلَه....) أبو داود وهو صحيح، فأيُّ بشرى بعد هذه؟

ورُبَّ غائبٍ كمَن هو حاضرٍ، ألا تذكر كيف وضع رسولنا يده الأخرى بدلاً عن يد عثمان في بيعة الرضوان، لأنه أرسله بمهمة عملية، حيث (كانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة فقال النبي ﷺ بيده اليمنى: هذه يد عثمان، فضرب بها على يده فقال: هذه لعثمان...) البخاري.

ـــ ليس ما أقوله مُسَكِّناً لِما يَغلي به فؤادك، ليست كلماتي مُخَدِّراً لآلامٍ لك طالما أقضَّتْ مَضجعك، وأقلقت نومك.... فهل السيل إلا اجتماع النقط؟ وكلنا على ثغرٍ، فاللهَ اللهَ أن يُؤْتى الإسلام من قِبَله.

لا تَسَلْني عن غيبٍ لم يَعْلمه حتى الأنبياء، ولا تكنْ من المـــتعجِّلين ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾ النساء٧٧.

الخاتمة

فإن **قالوا**: بعد كل هذا ما اقْتَنَعْنا، **فقل** لهم:

وما أنت بهادي العُمْيِ عن ضلالتهم، فلا بالكتاب تَستنيرون، ولا بالسنة تهتدون، ولا لأقوال العلماء تركَنُون، ولا بالتاريخ تَعْتَبرون، فبأي حديث بعده تؤمنون؟ ...فذرهم في خوضهم يلعبون!

- أَوَبَعْدَ كل هذه البراهين تقولون -ولو بلسان الحال- عقيدتكم بها خلل؟

- وفينا من يقول لهم: عقيدتكم بها خَلَلُ
خوالفَ أمتي مهلاً بصيرتكم بها حَوَل
فليس سوى عقيدتكم سرى بكيانها الشلل

- يا أمة الإسلام داهَمَني الأسى فعجَزْتُ عن نُطقٍ وعن إعراب
يا أمة الإسلام لستِ عقيمةً ما زِلتِ قادرة على الإنجاب
إني أعاتب منك قلباً غافلاً عما تُخَبِّئُه يد القَصّاب
يا أمة الإسلام ليلُك جاثِمٌ والفجر يرفع راية الإضراب
وأنا أرى في الأفق عين خيانة تُلقي إليكِ بنظرة المُرتاب
وأراكِ صامتةً وغيرُك ناطق يُلقي عن الإلحاد ألف خطاب
وأراكِ قاعدةً وغيرُك راكض يجري إليكِ محدَّدَ الأنياب
وأراكِ لاهيةً وقلبك لم يزل يقِظاً يَمُدُّ إليكِ كفَّ خَراب
يا أمة الإسلام لا تتعلَّقي بشتائمٍ لعدونا وسِباب
يا أمة الإسلام كنتِ عزيزة بالأمس، لَمْ تقِفي على الأعتاب
سافَرْتِ في درب الجهاد كريمة وطَوَيْتِ بالإيمان كل صعاب
ماذا جرى حتى غدوتِ ذليلة مكسورة النَّظراتِ والأهداب
عيناكِ خارِطَتا ذهول قاتلٍ ويداك رَعْشَةُ خائف هيَّاب
لا، لا تُجيبي! ما سألْتُك طالباً منك الجواب، فقد عرفْتُ جوابي

فرَّطْتِ بالإسلام هـذا كـل مـا | في الأمـر لم تـسْتَرْشدي بكتـابي

– أيها المسلـم الـذي يَشْـتـكـي | لا تَلُمْني فأنت تفـضح نـفسك
لا تَخَـفْ مـن صـراحتي في حـديثي | إن هذا الحديـث بينـي وبينـك

– عذراً ثم عذراً وزِدْها ألفَ "عذراً" ... اعذرني يا أخي في الله، يا حبيبي، فوالله إني لأحب لـك الخير، أحب لك الجنة بل أعلاها، أحب أن تعود أمتنا كما كانت في عهد الراشدين، وأخاف عليك من شُبَه المنحرفين، أريدك أن تكون واقعياً لا خيالياً، كسعد وسعيد وعبادة وأبي عبيدة وسلمانَ وعمار ممن رضي الله عنهم ورضوا عنه ... فأنت ابنهم وهم أجدادك.

– حَبيبُك من يغار عليـك إذا زَلَلْـت | ويُغْلِـظ في الكـلام مـتى أسـأت
ومن لا يَكْثَـرِث بـك لا يُبـالي | أَحِـدْتَ عـن الطريـق أم اعتـدلتَ

ـــ تعال فلْنَتَصارح تعال: إنْ نَبَّأكَ طبيبٌ ثقةٌ بسرطان يسري في جسمك، فهل تُسرع لإخـراج CD تشرح عن فلسطين، أم تُوَاظب على درس علم، أو تكمل دراستك لنيل شهادة الصيدلة، أم تُهْرَع لنيل شهادة الآخرة؟

ـــ أين فقه الأولويات الذي نَتَلَمَّظُ به؟ أين فقه الموازنات الذي نَصيح به؟ رجلان: أحدهما: لمّا سمع أن الجهاد فرض عين راح يتأكد من الكتب ومن المشايخ و... والآخر: في نفس الوقت كان قد وعـد معارفه ليلعبوا كرةَ قدم صباحية بدَل الأذكار الصباحية حتى شروق الشمس، فيُصلون الضحى ولكـن على ركَلات الكرة، ولو أَنَّبْتَه لقال: كلٌّ منا على ثَغر! مع أنه مُتَرَدّد في حكم الجهاد اليوم، فإن قـال: "إنني واثق أنه فرض"، فقل له: أوَهكذا يكون الإعداد؟

ـــ والمضحك المبكي أن أصحابه هؤلاء الذين يلعب معهم الكرة بين الفَينة والأخرى لم يَزيدوا – فيما يَظهر– من الله قُرباً، وقد أُمِرْنا أن ننظر إلى الظاهر والله يتولى السرائر، فَحَتَّام نضحك على ومِـنْ بعضنا؟!

ـ يا أخي اُعذُرني:

– تكاد صرخة قلـبي عنـد حَنجـرتي | تشق مـن كَتْمِهـا قلـبي وتنطلـق
كأنها جَمْـر فيـه بـلا شـررٍ | قلـبي بها دونَ النـاس يحتـرق

ـ لا يا أخي لا أكونَنَّ وإياكَ كحال القائل:

وقف الجميع يعارضون ندائي — لم يُجْمعوا إلا على إقصائي
ذهبوا مع الصحراء خلفَ جنونهم — وبَقِيْتُ مجنوناً بلا صحراء

ـ لا يا أخي:

أنا لن أَمَلّ من النداء فربما — أجْدَى نداءٌ من فؤاديَ نابع

ـ فهيهات أن أُرَدِّد:

نَسَجْتُ لهم غزلاً رقيقاً فلم أجد — لغزلي نسَّاجاً فكسَرْت مِغْزلي

ـ وإن شئتَ أقول وقل معي:

من اليوم تَعارَفْنا، ونطوي ما جَرى منا — فلا كان ولا صار، ولا قُلْتُم ولا قُلْنا

وهيا نبحث سوياً في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأقوال أهل الذكر وواقع المسلمين.

– فإن عجَز المُحَرِّفون والمُخَذِّلون والمُرجفون بعد كل هذا فراحُوا يُتَمْتِمُون بتعاويذهم ليُثَبِّطوك عن القتال، فرتِّل عليهم سورة الأنفالِ ثم التوبةِ فالقتالُ[1]

﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾ التوبة٤٦

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ ﴿٣٧﴾﴾ ق٣٧

﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ النور٤٠

لا تحقرنَّ الرأي وهْو موافق — حُكْمَ الصواب، وإن أتى من ناقص
فالدُّرّ –وهْو أَعَزّ شيء يُقْتَنى– — ما حَطّ رُتْبَتَه هوانُ الغائص

[1] المعنى القريب ترتيل السور الثلاث المعروفة، والمعنى البعيد: إنْ قرأتَ سورةَ الأنفال فإنك ستَقْتَنِع بأهمية الجهاد، ثم تتوبُ من تركِكَ لـه، فتبدأُ عندها بالقتال.

ملحوظة: *كثيراً ما استفدت من أفكارٍ أو تعابير أو إفادات ممن كتبوا في هذا المجال، فأُضيف أو أُنْقِص أوأَدمج، فَيَتعذّر عندها أن أَعزو كل ما استفدته إلى صاحب الإفادة، والعزو من الأمانة العلمية ومن الاعتراف بالفضل لأولي الفضل، فأسأل الله أن يتقّبل مني ومنهم وإن لم تُذكَر أسماء كثيرين، فإن لم تَعرفهم أنت فإن الله يَعرفهم، وهذا حسبهم.*

وكتبه الُمقَصِّر ابن الُمقَصّر:

محمّد وائل حلواني

(ميسرة الغريب)

فهرس

